
دفع الشبه
عن الرسول و الرساله

بسم الله الرحمن الرحيم

دفع الشبه عن الرسول (ص) و الرساله

كاتب:

ابوبكر بن محمد حصنی

نشرت فی الطباعۀ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلک الی الامام احمد

اشارهٔ

سرشناسه : حصنی، ابوبکربن محمد، ۷۵۲ – ۸۲۹ق.

عنوان و نام پدیدآور : دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلک الی الامام احمد/ تالیف ابوبکربن محمدبن عبدالمومن تقی الدین الحصنی الدمشقی (۷۵۲ – ۸۲۹ ق.)؛ تحقیق جماعه من العلماء؛ باشراف السیدمحمدرضا الحسینی الجلالی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۱.

مشخصات ظاهری : ۲۵۶ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۷۱-۱

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : چاپ قبلی: المکتبهٔ الازهریه للتراث، [۱۴ق. = ۱۹م. = ۱۳].

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : فقه شافعی -- قرن ۹ق.

شناسه افزوده : حسینی جلالی، سیدمحمدرضا، ۱۳۲۴ – ، ویراستار

رده بندی کنگره : BP۱۷۶/۴/ح۶د۷ ۱۳۹۱

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۳۳۳

شماره کتابشناسی ملی : ۲۷۳۶۱۳۷

ص: ۱

اشارهٔ

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

المؤلف الإمام الحصنى

قال صاحب شَذَرَات الذَّهَب(الجزء التاسع: الصفحات ۲۷۳– ۲۷۵)، فی وفیات عام(۸۲۹ ه): وفیها الشیخ تقی الدین أبو بکر بن محمد بن عبدالمؤمن بن حریز بن سعید بن داود بن قاسم بن علی بن علوی بن علی بن ناشی بن جوهر بن علی بن أبی القاسم بن سالم بن عبداللّه بن عمر بن موسی بن یحیی بن علی الأصغر بن محمد التّقی (۱) بن حسن العسکری (۲) بن علی [الهادی] بن محمد بن الجواد بن علی الرّضا بن موسی الکاظم بن جعفر الصّادق بن محمد الباقر بن علی زین العابدین بن الحسین الشهید بن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب.

۱– کذا الصواب، وفی المطبوع: المتّقی.

۲– لفظة «العسکری» سقطت من «ط».

ص: ۶

الحِصْنی- نسبة إلی الحِصْن قریة من قری حوران (۱)- ثم الدمشقی، الفقیه الشافعی (۲).

ولـد سـنة اثنتین وخمسـین وسـبعمائة، وتفقه بالشّریشـی، والزُّهری، وابن الجـابی، والصَّرْخَـدی، والغَزّی، وابن غَنُّوم. وأخـذ عن الصَّدر الیَاسُوفی، ثم انحرف عن طریقته. وحطّ علی ابن تَیْمِیَّة (۳)، وبالغ فی ذلک، وتلقی ذلک عنه الطلبة بدمشق، وثارت بسـبب ذلک فتن کثیرة.

وکان یمیل إلی التقشف ویبالغ فی الأمر بالمعروف والنَّهی عن المنکر، وللناس فیه اعتقاد زائد.

ولخّص «المهمات» فی مجلد، وکتب علی «التنبیه».

قال القاضی تقی الدِّین الأسدی: کان خفیف الرّوح، منبسطاً، له نوادر، ویخرج إلی النُّزَه، ویبعث الطلبة علی ذلک.

مع الـدِّین المتین، والتَّحری فی أقواله وأفعـاله، وتزوَّج عـدّة نساء، ثم انقطع وتقشَّف وانجمع، وکل ذلک قبل القرن (۴)، ثم ازداد بعد الفتنة تقشّفه وانجماعه، وکَثُرَت مع ذلک أتباعه، حتَّی امتنع من مکالمة الناس، ویُطلق لسانه فی القُضاة وأصحاب الولایات.

۱- قال یاقوت فی «معجم البلدان»(۲/ ۲۶۵): «حصن مَقْدِیَة»: هو من أعمال أذرعات من أعمائل دمشق.

۲- ترجمته فی «إنباء الغمر» لابن حجر العسـقلانی ۸/ ۱۱۰ وفیه «محمد بن عبداللّه» و «طبقات الشافعیة» لابن قاضـی شبهة(۴/ ۹۷- ۹۹) و «الضوء اللامع» للسخاوی(۱۱/ ۸۱) و «درر العقود الفریدة» للمقریزی(۱/ ۱۹۰- ۱۹۱)، وترجم له أیضاً: ابن خطیب الناصریة فی تاریخ حلب، والرضیّ الغزّی فی بهجة الناظرین، وله ترجمة فی الفتاوی السهمیة فی ابن تیمیّة.

۳- لفظة «تیمیة» سقطت من «آ».

۴- أی قبل دخول القرن التاسع الهجری.

ص: ۷

وله فی الزُّهد والتَّقلُّل من الدّنیا حکایات تضاهی ما نُقِلَ عن الأقدمین، وکان یتعصب للأشاعرة، وأصیب فی سَمْعِهِ وبصره فضعف. وشرع فی عِمَارَة رِبَاطٍ داخل باب الصغیر، فساعده الناس بأموالهم وأنفسهم، ثم شرع فی عِمَارَة خان السَّبیل ففرغ فی مدة قریبة.

وکان قد جمع تآلیف کثیرة قبل الفتنة، وکتب بخطّه کثیراً فی الفقه والزُّهد.

وقال السخاوی: شَرَح «التنبیه» (۱)أی الأربعین النوویة.

(۲) و «المنهاج» (۳)أی الأربعین النوویة.

(۴) وشرح «مسلم» فی ثلاث مجلدات، ولخّص «المهمات» (۵) فی مجلدین، وخرّجَ أحادیث «الإِحیاء» مجلد (۶) وشرح «النواویة» مجلد (۷)، و «أهوال القیامة» (۸) مجلد، وجمع «سیر نساء السَّلف العابدات» مجلد، و «قواعد الفقه» مجلد، و «تفسیر القرآن إلی الأنعام» آیات متفرّقة مجلد، و «تأدیب القوم» مجلد، و «سیر السالک» مجلد، و «تنبیه السالک علی مضار (۹) المهالک» ست مجلدات، و «شرح الغایة» مجلد، و «شرح النهایة» مجلد، و «قمع النّفوس» مجلد، و «دفع الشُّبه» (۱۰) مجلد، و «شرح أسماء اللَّه الحسنی» مجلد،

۱- التنبیه لأبی إسحاق الشیرازی، فی الفقه الشافعی، والشرح

۲- مجلدات.

۳- المنهاج للنووی، والشرح فی

۴- مجلدات.

۵- المهمات للاسنوی.

۶- قلت: لم أعثر علی ذکر لکتابه المذکور عند السخاوی فی «الضوء اللامع» ولکن ذکره ابن قاضی شهبة فی «طبقاته» فی معرض حدیثه عن مؤلّفاته ولعلّ المؤلّف قد نقل عنه وعزا النقل للسخاوی. واللَّه أعلم.

۷- أی الأربعین النوویة.

۸- فی بعض المصادر: أهوال القبور.

۹- فی «ط»: «مظان» وما جاء فی «آ» موافق لما عند ابن قاضی شهبة والسخاوی، وفی اسمالکتاب اختلاف.

۱۰- کتابنا هذا.

ص: ٨

و «المولد» مجلد.

وتوفى بخلوته بجامع المزَّاز بالشاغور، بعد مغرب ليلة الأربعاء خامس عشر جمادى الآخرة وصُلِّى عليه بالمصلى، صلَّى عليه ابن أخيه، ثم صُلِّى عليه ثانياً عند جامع كريم الدِّين، ودفن بالقُبيبات فى أطراف العمارة على جادة الطريق عند والدته.

وحضر جنازته عَالَمٌ لا يحصيهم إلّااللَّه، مع بعد المسافة وعدم علم أكثر الناس بوفاته، وازدحموا على حمله للتبرك به، وختم عند قبره ختمات كثيرة، وصلّى عليه أُمَمٌ ممن فاتته الصلاة على قبره، ورؤيت له منامات صالحة فى حياته وبعد موته.

انتهى.

وفى كتاب البدر الطالع(١/ ١٦٦):

السيد أبو بكر بن محمد بن عبدالمؤمن بن حريز- بمهملتين وآخره زاى- العَلَوى الحسينى الحصنى ثم الدمشقى الشافعى المعروف بالتقى الحصنى(ولد) سنة ٧٥٢ ه.

وأخذ العلم عن جماعة من أهل عصره وبرع، وقصده الطلبة وصنف التصانيف كشرح التنبيه فى خمس مجلدات، وشرح أربعين النووى فى مجلد.

وشرح مختصر أبى شجاع فى مجلد. وشرح الأسماء الحسنى فى مجلد، وتلخيص مهمّات الأسنوى فى مجلدين، وقواعد الفقه فى مجلدين. وله فى التصوّف مصنّفات و(مات) ليلة الأربعاء منتصف جمادى الآخرة سنة ٨٢٩ ه.

وقال خير الدين الزركلى الوهابى فى الأعلام(٢/ ٩٩):

الإمام تقى الدين أبى بكر الحصنىّ الدمشقى(ت ٨٢٩ ه):

تقى‌الدين الحصنى:(٧٥٢- ٨٢٩ ه: ١٣٥١- ١٤٢٦ م).

ص: ۹

أبو بكر بن محمـد بن عبـدالمؤمن بن حريز بن معلّى الحسـينى الحصـنى، تقى الـدين: فقيه ورع من أهل دمشق. ووفاته بها. نسـبته إلى الحصن(من قرى حوران) وإليه تنسب «زاويـة الحصـنى» بناها رباطاً فى محلة الشاغور بدمشق، وله تصانيف كثيرة منها: كفاية الأخبار– ط، شـرح به الغايـة فى فقه الشافعيـة، ودفع شـبه من شـبه وتمرّد ونسب ذلك إلى الإمام أحمـد– ط، وتخريـج أحاديث الإحياء، وتنبيه السالك على مظان المهالك. ست مجلدات، وقمع النفوس.

ص: ۱۰

ص: ۱۱

سبب تألیف الکتاب و موضوعه، و نسخته

سبب تألیف الکتاب وموضوعه، ونسخته

قال العلامة التقی محبّ السنة والذاب عنها بکل ما استطاع فی هذا العصر الشیخ محمد زاهد الکوثری: فی ظهر الأصل المقابل به بخط الحافظ محمد بن طولون:

(فائدة) سبب تکلّم المؤلّف رحمه اللّه تعالی فی ابن تیمیة وأتباعه ما نقل له عن الشیخ العلامة ناصر الدین التنکزی: أَنه اجتمع ببعض من ینتسب للحنابلة قال:

فرأیته یقول بمسألة التناسخ، ولا یقطع لأطفال المسلمین بالجنة وسمع منه هذا القول شخص آخر.

ونُقل للشیخ المؤلف أیضاً: أنّ شخصاً قال عند هذا المبتدع المشار إلیه «یا جاه محمد».

فقال: لا تقل «یا جاه محمد»!

وکذا نقل له عن شخص آخر قال ذلک عنده، فقال: لا تقل «یا جاه محمد»،

ص: ۱۲

فإنّه قد بقی قفة عظام؟» نعوذ باللَّه العظیم من هذه الزلة الجسیمة.

وسمع هـذا الکلام أیضاً ابن أخ الشیخ المؤلف، فاجتمع مع عمه فتذاکرا ما وقع فیه الجاهل المشار إلیه، ثم قال: یا عمّ، لو تکلّمت فی ذلک، فقال: أَنا مشغول بنفسی.

فقال: ما یخلّصک هـذا عنـد اللَّه عزّوجلّ، کیف یتعرّض هذا الجاهل للرسول صلی الله علیه و آله و سلم، وحطّ مرتبته ومراتب النبیین ویتکلّم فی اللَّه بمـا لاـ یلیق بجلاله، وغیر ذلک مما هو زندقـة؟؟! لا یخلّصک هـذا عنـد اللَّه مع تمکّنک من ردع هـذا الزائغ عن تنزیه اللَّه، وتعظیم رسوله علیه الصلاة والسلام.

فقال المؤلّف رحمه اللَّه تعالی: ائتونی بشیء من کلام هذا الرجل، أنظر فیه، فإذا تکلّمتُ تکلمتُ علی بصیرة.

فأتی بأشیاء من کلامه، فلمّا رأی کلامه، تکلّم بما تکلّم رحمه الله (۱):

قال شیخنا النعیمی ومن خطه نقلت: نقلتها من خطّ شیخنا شهاب الدین بن قرا، تلمیذ المؤلّف ملخصاً لها:

انتهی ما وجدته بخط ابن طولون (۲) فی ظهر الأصل المذکور.

وترجمـة المصـنف مبسوطـة فی کتاب(الضوء اللامع فی القرن التاسع) للحافظ محمد بن عبدالرحمن السـخاوی، وفی(طبقات الشافعیة) للتقی ابن قاضی شهبة وفی

۱– ولاحظ ما سیذکره المؤلّف عن سبب التألیف، فی مقدمة الکتاب.

۲– فابن طولون هذا حافظ جلیل له من المؤلّفات ما یقرب من ستمائة مؤلّف وتوفی سنة ۹۵۳ سنة تسعمائة وثلاث وخمسین.

ص: ١٣

(الطبقات) للرضى الغزى العامرى.

وله مؤلّفات ممتعة: كشرحه على صحيح مسلم فى ثلاث مجلدات وشرحه على التنبيه فى خمس مجلدات، وشرح على المنهاج كذلك، وطبع حديثاً شرحه على مختصر أبى شجاع فى مجلدين، وكان من مفاخر الشافعية فى عصره زهداً وعلماً وسيرة، وسنستوفى ترجمته إن شاء اللّه تعالى عند قيامنا بشرحه.

انتهى كلام الإمام الكوثرى.

ص: ۱۴

ص: ۱۵

کلمهٔ لإدارهٔ المطبعهٔ للطبعهٔ الأولی عام (۱۳۵۰هـ)

من عجائب الصدف أننا ما کدنا ننتهی من طبع آخر ملزمهٔ من الکتاب البدیع(غوث العباد ببیان الرشاد) لحضـرهٔ صاحب الفضیلهٔ ملک البیان وحامل لواء البرهان الاستاذ الشیخ مصطفی أبو سیف الحمامی أحد العلماء وخطیب المسجد الزینبی.

حتی ساق اللَّه تعالی إلینا نسـخهٔ خطیـهٔ جلیلهٔ من کتاب «دفع شـبه من شـبّه وتمرّد ونسب ذلک إلی السـید الجلیل الإمام أحمد» للإمام الهمام أبی بکر تقی الدین الحصنی رضی الله عنه.

عُنی حضـرهٔ صاحب الفضـیلهٔ المرشد الجلیل والعلامهٔ النبیل الشیخ سلامهٔ العزّامی النقشبندی باستنساخها ونقلها من نسخهٔ أخری خطیهٔ لیس فی القطر المصری سواها- علی ما نعلم- هی لحضرهٔ صاحب الفضیلهٔ البحاثهٔ المعروف

ص: ۱۶

والجهبذ الشهير الشيخ محمد زاهد الكوثرى.

ومن فضل اللَّه علينا أن هيّأ لنا من الظروف ما مكننا بعد قليل من النسخة الأصلية التى بيد الشيخ الكوثرى.

فرأينا أن يكون الجمع مع النسخة الفرعية والمقابلة فى التصحيح على النسخة الأصلية ليخرج الكتاب كما نحب له من الصحة والاتقان.

وإنا نقدمه، بيد الفرح والسرور، إلى إخواننا فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، راجين أن يكون ذلك خدمة لهم ولديننا الحنيف الذى يعنينا ويهمّنا كثيراً أن نعيش ونموت فى خدمته.

وربنا المسؤول- وهو أكرم الأكرمين- أن يحقق لنا هذه الأمنية الغالية.

إدارة مطبعة

دار إحياء الكتب العربية

القاهرة ۱۳۵۰ ه.

ص: ۱۷

هذه النسخة

اعتمدنا فی تحقیق الکتاب علی النسخة المطبوعة فی دار إحیاء الکتاب العربی، لأصحابها عیسی البابی الحلبی وشرکاؤه، فی القاهرة عام(۱۳۵۰ ه) عن نسخة الإمام المحقق العلامة الکوثری، مع تعلیقاته الثمینة.

وقد اطلعنا علی وجود نسخة للکتاب مخطوطة فی مکتبة جستربتی بمدینة دبلن الایرلندیة برقم(۴) فی المجموعة(۳۴۰۶) کتبت عام(۸۳۰) أی بعام واحد بعد وفاة المؤلّف جاء ذکرها فی مقال(ذخائر التراث العربی) المنشور فی مجلة(المورد) البغدادیة، العدد الأول السنة الاولی.

وقد قمنا بتصحیح المطبوعة، وعرضها علی المصادر التی اعتمدها المؤلّف، مثل کتاب(دفع شُبَه التشبیه) لابن الجوزیّ الحنبلی.

الذی نقل عنه المؤلّف قسماً کبیراً من عباراته واعتمدنا النسخة المطبوعة حدیثاً فی دار الإمام النووی- فی الأردن- عمّان، بضبط فضیلة الشیخ حازم نایف أبو عزان، وتحقیق وتقدیم العلامة المحدّث السید حسن السقاف.

ص: ۱۸

وقد حاولنا تخريج ما أثبته المؤلف من الأحاديث الشريفة، حسب المتوفّر من المصادر، وتصحيح المطبوعة حسب الوارد فيها.

وكذلك تصويب العبارات التى وقع الخطأ فى طباعتها، ومنها عبارة الصلاة البتراء التى وقعت فى الكتاب، بعد ذكر الرسول، حيث أثبتناها مع ذكر(آله) حذراً من ذلك البتر، واتّباعاً للسنّة المطهّرة التى علّمتنا الصلاة والسلام على نبيّنا الأكرم، بذكر آله معه فى ذلك التكريم.

ثم وضعنا عناوين لما جاء فى الكتاب مستخدمين المعقوفات لتمييزها عما جاء من العناوين فى الأصل المطبوع.

وقدّمنا الكتاب بتقديم احتوى على التعريف بالمؤلّف، حسب المصادر التى ترجمت لحياته.

والتعريف بالكتاب وذكر سبب تأليفه وبيان موضوعه، وعن نسخته هذه.

ونسأل اللَّه أن يوفق المسلمين لقراءته والتزوّد مما أثبته المؤلّف فيه من حقائق، وأن يجزيه وإيانا على العمل الصالح، ويغفر لنا سيّئات أعمالنا آمين.

ونحمد اللَّه على إحسانه وإفضاله، ونسأله الرضا عنا بجلاله وإكرامه، إنّه ذوالجلال والإكرام.

وآخر دعوانا أنّ الحمد للَّهربّ العالمين.

ص: ۱۹

مقدمة المؤلف و سبب التأليف

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّهربّ العالمين: وصلّى اللَّه على سيّد الأوّلين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، وسلّم ومجّد وكرّم.

سبحان من بيده الضرّ والنفع، والوصل والقطع، والتفرقة والجمع، والعطاء والمنع، وفّق من أحبّ لتنزيهه، فحمى موضع نظره منه، وكذا السمع، وخذل من أبغض، فجرى لشقاوته على ما اعتاده وألِفه من ردیء الطبع، فهبّ على الأوّل نسيمُ إسعاده، وعلى الثانی ريحُ إبعاده، لصدع قلبه بتمويه العدّو، فياله من صَدْعِ.

تقدّس وتمجّد بعزّ كبريائه وجلاله، وتفرّد بأوصاف عظمته وكماله، كما عمّ بجوده و إفضاله و نَواله. تقدّس و تبارك عن مشابهة العبيد، و تنزّه عن صفات الحدوث.

فمن شبّه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد، ومن عطّل ما ثبت له من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحقّ مائل ومُحيد (۱)، وكلا القسمين سفيه وشقّی وغير

۱- كان ينبغی أن يقول: «حائد»، ولعلّه اختار ذلک مراعاة للسجع. انتهی. مصحّحه.

ص: ۲۰

رشید، ومن ورائهما عذاب شدید.

ونال خِلَع الرضوان فی دار الأمان من نزّه، مع تزاید الکرامات ولدیه مزید.

فشتّان بین من هو راتع فی ریاض السلامهٔ، ونُزُل الکرامهٔ، فی دار المقامهٔ، وبین المطرود المبعود (۱)، وقد حقّ علیه الوعید.

وبعدُ: فإنّ سبب وضعی لهذه الأحرف الیسیرهٔ، ما دهمنی من الحَیْرهٔ من أقوام أخباث السریرهٔ؛ یُظهرون الانتماء الی مذهب السیّد الجلیل الإمام أحمد؛ وهم علی خلاف ذلک والفرد الصمد.

والعجب أنّهم یُعظّمونه فی الملأ، ویتکاتمون إضلاله مع بقیّهٔ الأئمهٔ!

وهم أکفر مّمن تمرّد وجحد، ویضلّون عقول العوامّ وضعفاء الطلبهٔ بالتمویه الشیطانی، وإظهار التعبّد والتقشّف، وقراءهٔ الأحادیث، ویعتنون بالمُسنَد.

کلّ ذلک خُزَعْبَلات منهم وتمویه.

وقد انکشف أمرهم حتّی لبعض العوامّ، وبهذه الأحرف یظهر الأمر- إن شاء اللّه تعالی- لکلّ أحد، إلّالمن أراد عزّ وجلّ إضلاله وإبقاءه فی العذاب السرمد.

ومن قال بنفی ذلک- أی بنفی خلود العذاب وسرمدیّته، وهو ابن تیمیّهٔ وأتباعه- فد تجرّأ علی کلام الغفور، قال تعالی والّذین کَفَرُوا لَهمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا یُقْضی عَلَیْهِمْ فَیمُوتُوا ولا یُخَفَّفُ عَنْهم مِنْ عَذابِهْا کذلک نجزی کلَّ کَفُور (۲)

.

وعلی العلیم الحکیم فی قوله تعالی: یُرِیدونَ أن یخرجوا مِن النّار وما هُمْ بخارجین منها ولهم عذابٌ مُقیم (۳)

.

والآیات فی ذلک کثیرهٔ عموماً وخصوصاً.

۱- اسم المفعول «مُبَعد»، فیقال فیه کما قیل فیما قبله. انتهی. مصحّحه.

۲- سورهٔ فاطر: ۳۶.

۳- سورهٔ المائدهٔ: ۳۷.

ص: ۲۱

ومنها قوله تعالى: رَبّنا اصرفْ عَنّا عَذَاب جَهنم إنّ عذابها كان غراما (۱)

والغرام المستمّر الذى لا ينقطع، فلو انقطع قدر نَفَسٍ لا يسمى غراماً.

ومن ذلك قوله تعالى: وجاء رَبُّك (۲)

.

قال الإمام أحمد: معناه جاء أمر ربك. قال القاضى أبو يعلى: قال الإمام أحمد: المراد به قدرته وأمره، وقد بيّنه فى قوله تعالى: أو يأتى أمر رَبِّكَ (۳)

.

يُشير إلى حمل المُطلق على المُقيَّد، وهو كثير فى القرآن والسنّة والإجماع وفى كلام علماء الأُمة، لأنّه لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى.

ومثله حديث النزول.

ومّمن صرّح بذلك الإمام الأوزاعى والإمام مالك؛ لأنّ الانتقال والحركة من صفات الحَدَث، واللَّه عزّ وجلّ قد نزّه نفسه عن ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى إستوى على العرش (۴)

.

فإذا سأل العامّى عن ذلك فيقال له: الاستواء معلوم، والكَيْف مجهول (۵)، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة (۶).

۱- سورة الفرقان: ۶۵.

۲- سورة الفجر: ۲۲.

۳- سورة النحل: ۳۳.

۴- سورة الأعراف: ۵۴.

۵- فى(دفع شبه التشبيه) لابن الجوزى: والكيف غير معقول.

۶- قاله ابن الجوزى فى(دفع شبه التشبيه) ص ۱۱۰.

ص: ۲۲

وسنوضّح ذلک إن شاء اللَّه تعالی.

وإنّما أجاب الإمام ربیعهٔ بذلک، وتبعه تلمیذه مالک؛ لأنّ الاستواء الذی یفهمه العوامّ من صفات الحدث، وهو سبحانه وتعالی- نزّه نفسه عن ذلک بقوله تعالی لیس کمثله شیء (۱)

، فمتی وقع التشبیه ولو بزنهٔ ذَرّهٔ جاء الکفر بالقرآن.

قال الأئمهٔ: وإنّما قیل: السؤال بِدعهٔ؛ لأنّ کثیراً مّمن یُنسب الی الفقه والعلم، لا یُدرکون الغوامض فی غیر المتشابه، فکیف بالمتشابه؟!

فآیات المتشابه وأحادیثه لا یعلمها إلّااللَّه سبحانه، والقرآن والسُنّهٔ طافحان بتنزیهه عزّ وجلّ.

ومن أسمائه القُدّوس، وفی ذلک المبالغهٔ فی التنزیه ونفی خیال التشبیه.

وکذا فی قوله تعالی: قُلْ هُو اللَّه أحد... الی آخره (۲)

لما فیها من نفی الجنسیّهٔ والبعضیّهٔ، وغیر ذلک مّما فیه مبالغهٔ فی تنزیهه سبحانه وتعالی.

وکان الإمام أحمد رضی الله عنه یقول: أمِرّوا الأحادیث کما جاءت (۳).

وعلی ما قال جری کبار أصحابه کإبراهیم الحربی وأبی داود والأثرم، ومن کبار أتباعه أبو الحسین المنادی، وکان من المحقّقین، وکذلک أبو الحسن التمیمی، وأبو محمد رزق اللَّه بن عبدالوهاب، وغیرهم من أساطین الأئمهٔ فی مذهب الإمام أحمد (۴).

وجروا علی ما قاله فی حالهٔ العافیهٔ وفی حالهٔ الابتلاء.

فقال تحت السیاط: «فکیف أقول ما لم یقل».

۱- سورهٔ الشوری: ۱۱.

۲- سورهٔ الأخلاص: ۱.

۳- سنن الترمذی ۴/ ۶۹۲، لاحظ دفع شبه التشبیه ص ۱۱۱.

۴- نفس المصدر والموضع.

ص: ۲۳

وقال فی آیة الاستواء: «هو کما أراد».

فمن قال عنه: إنّه من صفات الذات، أو صفات الفعل، أو إنّه قال: إنّ ظاهره مراد، فقد افتری علیه، وحسیبه اللّه تعالی فیما نسب إلیه مّما فیه إلحاقه- عزّ وجلّ- بخلقه الذی هو کفر صراح؛ لمخالفته کلامه فیما نزّه نفسه به سبحانه وتعالی عمّا یقولون.

القائلون بالتجسیم من أئمة الحنابلة

ومنهم ابن حامد (۱) والقاضی تلمیذه (۲) وابن الزاغونی (۳)، وهؤلاء مّمن ینتمی الی الإمام، ویتبعهم علی ذلک الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده مّما ذکرت بعضه، وبالغوا فی الافتراء؛ إمّا لجهلهم، وإمّا لضغینة فی قلوبهم، کالمغیرة بن سعید وأبی محمّد عبداللّه الکرامی؛ لأنهم أفراخ السامرة فی التشبیه ویهود فی التجسیم.

۱- الحسن بن حامد البغدادی الورّاق(توفی ۴۰۳) کان من أکبر مصنفی الحنابلة وشیخهم، لهشرح اصول الدین، ردّ علیه ابن الجوزی فی(دفع شبه التشبیه) ترجم له الذهبی فی سیر أعلام النبلاء ج ۱۷.

۲- هو القاضی أبو یعلی، محمد بن الحسین بن الفرّاء الحنبلی(توفی ۴۵۸) هو صاحب کتاب الصفات نقل ابن الأثیر فی الکامل ۱۰/ ۵۲ قول التمیمی فیه: لقد شان أبو یعلی الحنابلة شیناً لا یغسله ماء البحار. وقال فی حوادث عام(۴۲۹) فیها أنکر العلماء علی ابن الفرّاء ما ضمنه کتابه من الصفات المشعرة بأنه یعتقد التجسیم.

۳- علی بن عبیداللّه بن نصر الحنبلی(توفی ۵۲۷) صاحب کتاب الإیضاح، وهو من کتب التجسیم.

ص: ۲۴

وحُرِق المغيرة ومعه خمسة من أتباعه، كما أذكره من بعد.

قال ابن حامد فى قوله تعالى: ويبقى وجه ربّكَ (۱)

، وفى قوله تعالى: كُلُّ شىء هالك إلّاوجههُ (۲)

: «نُثبت للّهوجهاً، ولا نثبت له رأساً»، وقال غيره:

«يموت إلّاوجهه».

وذكروا أشياء يَقْشَعِرُّ الجسد من ذكر بعضها.

قال أبو الفرج بن الجوزى (۳): رأيت من تكلّم من أصحابنا فى الأُصول بما لا يصلح وانتدب للتصنيف، وهم ثلاثة: ابن حامد، وصاحبه القاضى، وابن الزاغونى، صنّفوا كُتباً شانوا بها المذهب.

وقد رأيتهم نزلوا الى مرتبة العوامّ، فحملوا الصفات على مقتضى الحسّ.

فسمعوا أنّ اللّه- سبحانه وتعالى- خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وعينين وفماً ولهوات وأضراساً ويدين وأصابع وكفّاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفَخِذاً وساقين ورِجلين.

وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا: يجوز أن يُمَسّ ويَمُسّ ويُدنى العبد من ذاته.

وقال بعضهم: ويتنفّس.

ثمّ إنّهم يُرضُون العوامّ بقولهم: لا كما يُعقل.

وقد أخذوا بالظواهر فى الأسماء والإضافات، فسمّوا الصفات تسمية مُبتدعة؛ لا دليل لهم فى ذلك من النقل ولا من العقل.

۱- سورة الرحمن: ۲۷.

۲- سورة القصص: ۸۸.

۳- دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزيه ص ۹۷- ۱۰۴.

ص: ٢٥

ولم يلتفتوا الى النصوص الصارفة عن الظواهر الى المعانى الواجبة للّٰهسبحانه وتعالى، ولا ـ الى إلغاء ما توجبه الظواهر من سِمات الحَدَث.

ولم يقنعوا أن يقولوا: صفة فعل؛ حتّى قالوا: صفة ذات.

ثمّ لمّا أثبتوا أنّها صفات [ذات] قالوا: لا ـ نحملها على ما توجبه اللغة، مثل اليد على النعمة أو القدرة، ولا المجيء على معنى البِرّ واللطف، ولا الساق على الشدّة، ونحو ذلك.

بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة.

والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميّين، والشيء إنّما يُحمل على حقيقته إذا أمكن، فإن صرف صارف حُمل على المجاز.

وهم يتحرّجون من التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السُّنّة وكلامهم صريح في التشبيه.

وقد تبعهم خلق من العوامّ على ذلك لجهلهم ونقص عقولهم، وكفروا تقليداً، وقد نصحتُ للتابع والمتبوع.

عتاب المؤلف مع الحنابلة

ثمّ أقول لهم على وجه التوبيخ: ياأصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول [وهو تحت السياط]: «كيف أقول ما لم يقل؟!».

هل بلغكم أنّه قال: إنّ الاستواء من صفة الذات المقدّسة، أو صفة الفعل؟

فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء؟!

وهذا كلّه ابتداع قبيح بمن ينكر البِدْعة؟

ثمّ قلتم: إنّ الأحاديث تُحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة.

وإنّما يقال: تُمرّ كما جاءت، ولا تقاس بشيء.

ص: ۲۶

فمن قال: «استوى بذاته»، فقد أجراه مجرى الحسّيات، وذلك عين التشبيه.

فاصرفوا بالعقول الصحيحة عنه سبحانه ما لا يليق به من تشبيه أو تجسيم.

وأمِرّوا الأحاديث كما جاءت من غير زيادة ولا نقص.

فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت، لما أنكر عليكم أحد.

ولا تُدخِلوا فى مذهب هذا الرجل الصالح السلفى- أعنى الإمام أحمد- ما ليس منه، فلقد كسوتم هذا المذهب شيناً قبيحاً؛ حتّى لا يقال عن حنبليّ إلّامجسّم.

ثمّ زيّنتم مذهبكم بالعصبيّة ل «يزيد بن معاوية»، وقد علمتم أنّ صاحب المذهب أجاز لعنته.

وقد كان أبو محمّد التميمى يقول فى بعض أئمتكم: لقد شان المذهبَ شيناً قبيحاً لا يُغسل الى يوم القيامة (۱).

فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضى وابن الزاغونى- من التشبيه والصفات التى لا تليق بجناب الحقّ- سبحانه وتعالى- هى نَزْعة سامرية فى التجسيم، ونزعة يهودية فى التشبيه، وكذا نزعة نصرانية.

فإنّه لمّا قيل عن عيسى عليه السلام: إنّه روح اللّه سبحانه وتعالى، اعتقدت النصارى أنّ للّهصفة هى روح ولجت فى مريم عليها السلام.

وهؤلاء وقع لهم الغلط من سوء فهمهم، وما ذاك إلّاأنّهم سمّوا الأخبار أخبار صفات، وإنّما هى إضافات، وليس كلّ مضاف صفة.

فإنّه- سبحانهوتعالى- قال: ونَفَخْتُ فيه مِنروحى (۲)

، وليس للّهصفة تسمّى روحاً، فقد ابتدع من سمّى المضاف صفة، ونادى على نفسه بالجهل وسوء الفهم.

۱- إلى هنا المنقول عن ابن الجوزى فى(دفع شبه التشبيه) وبين المنقول والمطبوع هناك اختلاف، أثبتنا بعضه بين المعقوفات.

۲- سورة الحجر: ۲۹، سورة ص: ۷۲.

ص: ۲۷

تأرجح الحنابلة مع الهوى فى التجسيم والتأويل

ثمّ إنّهم فى مواضع يؤوّلون بالتشهّى.

وفى مواضع أغراضِهم الفاسدة يُجرون الأحاديث على مقتضى العرف والحسّ، ويقولون ينزل بذاته، وينتقل ويتحرّك، ويجلس على العرش بذاته.

ثم يقولون: لا كما يُعقل، يغالطون بذلك من يسمع من عامّى وسيّء الفهم.

وذلك عين التناقض، ومكابرة فى الحسّ والعقل؛ لأنّه كلام متهافت يدفع آخره أوّله وأوّلُه آخره.

وفى كلامهم: «نُنزّهه غير أنّنا لا ننفى عنه حقيقة النزول».

وهذا كلام من لا يعقل ما يقول.

ومثل قول بعضهم: المفهوم من قوله: هُو اللَّهُ الحىّ القيُّومُ (۱)

فى حقه هو المفهوم فى حقّنا إلّاأنّه ليس كمثله شىء.

فانظر- أرشدك اللَّه- كيف حكم بالتشبيه المساوى، ثمّ عقّبه بهذا التناقض الصريح؟!

وهذا لا يرضى أن يقوله من له أدنى رَويّة.

ولهم من مثل هذه التناقضات ما لا يحصى.

تناقض دعواهم

ومن التناقض الواضح فى دعواهم فى قوله تعالى: الرحمنُ على العرشِ استوى (۲)

أنّه مستقرّ على العرش.

۱- البقرة: ۲۵۵، آل عمران: ۲.

۲- سورة طه: ۵.

ص: ۲۸

مع قولهم فى قوله تعالى: أأمِنتُم مَنْ فى السماءِ (۱)

إنّ من قال: إنّه ليس فى السماءِ فهو كافر. ومن المحال أن يكون الشيء الواحد فى حيِّزينِ فى آن واحد وفى زمن واحد، ومن المعلوم أنّ «فى» للظرفية، ويلزم أنّه- سبحانه وتعالى- مظروف تعالى عن ذلك.

وفى البخارى (۲) من حديث أنس:(أنّه عليه السلام رأى نُخامة فى القبلة، فشقّ ذلك عليه حتّى رُؤى فى وجهه، فقال فحكّها بيده، فقال: إنّ أحدكم إذا قام فى صلاته، فإنّه يُناجى ربّه، أو إنّ ربّه بينه وبين القبلة) (۳).

وفيه من حديث ابن عمر رضى الله عنه: أنّه عليه السلام رأى نخامة فى جدار الكعبة فحكّها، ثمّ أقبل على الناس، فقال: إذا كان أحدكم يصلّى فلا يبصق قِبَل وجهه، فإنّ اللّه قِبَل وجهه إذا صلى».

وفى «صحيح مسلم» (۴) وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: أنّه عليه السلام رأى نُخامة فى القبلة فقال:(ما بال أحدكم يستقبل ربّه فيتنخّع أمامه، أيُحبّ أحدكم أن يستقبل فيُنخَّع فى وجهه).

وفى الصحيحين (۵) من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه: أنّه عليه السلام قال:(يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم؛ إنّكم ليس تدعون أصمّ ولا غائباً؛ إنّكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم).

۱- سورة الملك: ۱۶.

۲- صحيح البخارى: ۱/ ۱۵۹ ح ۳۹۷ كتاب الصلاة/ أبواب المساجد. ولاحظ فتح البارى(۱/ ۵۰۸)، وقال: فيه الردّ على من زعم أنّه على العرش بذاته.

۳- نفس المصدر السابق ح ۳۹۸. ولاحظ فتح البارى(۱/ ۵۰۹).

۴- صحيح مسلم: ۲/ ۷۶ كتاب الصلاة.

۵- صحيح البخارى: ۴/ ۵۴۱ ح ۳۹۸۶ كتاب المغازى، صحيح مسلم: ۸/ ۷۳ كتاب الذكروالدعاء والتوبة.

ص: ۲۹

وفی روایة:(والذی تدعون أقرب الی أحدکم من عُنُق راحلته) (۱).

وفی الصحیح (۲):(أنا عند ظنّ عبدی بی، وأنا معه یذکرنی).

وحدیث المریض (۳):(أما لو عدته لَوَجدتنی عنده).

وقال تعالی: ونادیناهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأیمنِ (۴).

وقال تعالی: ونودیَ مِنْ شاطیء الوادی الأیمنِ فی البقعة المبارکةِ مِنَ الشجرةِ أنْ یاموسی إنّی أنا اللّه ربُّ العالمینَ (۵)

.

وقال تعالی: فأینما تُوَلّوا فَثَمَّ وجهُ اللَّهِ (۶)

.

وفی الترمذی (۷) فی حدیث العنان، وفیه ذکر الأرضین السبع؛ وأنّ بین کلّ أرض والأُخری کما بین السماء والأرض، قال علیه السلام:(والذی نفسی بیده لو دلّی أحدکم بحبل لوقع علی اللّه سبحانه وتعالی).

ومثل هذه الأدلّة کثیر، وکلّها قاضیة بالکون السُّفلی دون العُلوی.

الاستواء لغة و تأویلا

واعلم (۸) أنّ الاستواء فی اللغة علی وجوه، وأصله افتعال من السواء،

۱- مسند أحمد: ۴/ ۴۰۲، وهو فی الجامع الصحیح للربیع بن حبیب ۳/ ۳۵.

۲- صحیح البخاری: ۶/ ۲۶۹۴ ح ۶۹۷۰ کتاب التوحید. [وصحیح مسلم ۸/ ۹۱ کتاب التوبة] والنص بلفظ مسلم.

۳- کنز العمال: ۱۵/ ۸۲۴ ح ۴۳۲۷۷.

۴- سورة مریم: ۵۲.

۵- سورة القصص: ۳۰.

۶- سورة البقرة: ۱۱۵.

۷- سنن الترمذی: ۵/ ۳۷۶- ۳۷۷ ح ۳۲۹۸ کتاب التفسیر.

۸- من هنا ذکره ابن الجوزی فی دفع شبه التشبیه ص ۱۲۱ وانظر هامش ص ۱۲۳.

ص: ۳۰

ومعناه- أي السواء- العدل والوسط، وله وجوه في الاستعمال:

منها: الاعتدال، قال بعض بني تميم: استوى ظالم العشيرة والمظلوم؛ أي اعتدلًا.

ومنها: إتمام الشيء، ومنه قوله تعالى: وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّه واستوى (۱)

.

ومنها: القصد الى الشيء، ومنه قوله تعالى: ثُمَّ استوى الى السَّماء (۲)؛ أي قصد خلقها.

ومنها: الاستيلاء على الشيء، ومنه قول الشاعر:

ثمّ استوى بِشرٌ على العراقِ من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقِ

وقال آخر:

إذا ما غزا قوماً أباح حريمَهم وأضحى على ما ملّكوه قد استوى (۳)

ومنها: بمعنى استقرّ، ومنه قوله تعالى: واستوت على الجُوديّ (۴)

.

وهذه صفة المخلوق الحادث، كقوله تعالى: وجَعَلَ لكُم مِن الفلكِ والأنعامِ ما تركبُون لتستوُوا على ظُهورهِ (۵)

.

وهو نزّه نفسه سبحانه عن ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع، وقطع المادّة في ذلك أنّ المسألـة علميّة وكفى اللّه المؤمنين القتال والجدال.

۱- القصص: ۱۴.

۲- سورة البقرة: ۲۹.

۳- إلى هنا عن(دفع شبه التشبيه) ص ۱۲۱.

۴- سورة هود: ۴۴.

۵- سورة الزخرف: ۱۲.

ص: ۳۱

کلام ابن الجوزی الحنبلی فی الرد علی المجسمهٔ

قال أبو الفرج بن الجوزی: وجمیع السلف علی إمرار هذه الآیهٔ کما جاءت من غیر تفسیر ولا تأویل.

قال عبداللّه بن وهب: کنّا عند مالک بن أنس ودخل رجل، فقال: یا أبا عبداللّه الرحمن علی العرشِ استوی (۱)

، کیف استواؤه؟

فأطرق مالک وأخذته الرُّحَضاء (۲)، ثمّ رفع رأسه فقال: الرحمنُ علی العرشِ استوی، کما وصف نفسه، ولا یقال له: کیف، و «کیف» عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بِدعهٔ أخرجوه، فأُخرج (۳).

کان ابن حامد یقول: المراد بالاستواء القعود (۴).

وزاد بعضهم: استوی علی العرش بذاته، فزاد هذه الزیادهٔ، وهی جُرأهٔ علی اللّه بما لم یقل.

قال أبو الفرج: وقد ذهب طائفهٔ من أصحابنا الی أنّ اللّه- عزّ وجلّ- علی عرشه ما ملأه، وأنّه یُقعِد نبیّه معه علی العرش (۵).

ثمّ قال: والعجب من قول هذا: ما نحن مجسّمهٔ!

وهو تشبیه محض، تعالی اللّه- عزّ وجلّ- عن المحلّ والحیّز؛ لاستغنائه عنهما، ولأنّ ذلک مستحیل فی حقّه- عزّ وجلّ- ولأنّ المحلّ والحیّز من لوازم الأجرام، ولانزاع فی ذلک، وهو- سبحانه وتعالی- منزّه عن ذلک؛ لأنّ الأجرام من صفات

۱- سورهٔ طه: ۵.

۲- العرق الکثیر یغسل الجلد.

۳- دفع شبه التشبیه ص ۱۲۲ وأنظر تعلیقته.

۴- دفع شبه التشبیه ص ۱۲۸.

۵- دفع شبه التشبیه ص ۱۲۸.

ص: ۳۲

الحدث، وهو عزّ وجلّ منزّه عن ذلک شرعاً وعقلًا، بل هو أزلیّ لم یسبق بعدم؛ بخلاف الحادث.

ومن المعلوم أنّ الاستواء إذا کان بمعنی الاستقرار والقعود لابدّ فیه من المماسة، والمماسّة إنّما تقع بین جسمین أو جُرمین.

والقائل بهذا شبّه وجسّم، وما أبقی فی التجسیم والتشبیه بقیّة، کما أبطل دلالة لیس کمثله شیء (۱).

ومن المعلوم فی قوله تعالی لتستووا علی ظهورهِ (۲)

أنّه الاستقرار علی الأنعام والسفن، وذلک من صفات الآدمیین.

فمن جعل الاستواء علی العرش بمعنی الاستقرار والتمکّن، فقد ساوی بینه- عزّ وجلّ- وبین خلقه.

وذلک من الأمور الواضحة التی لا یقف فی تصوّرها بلید، فضلًا عمّن هو حسن التصوّر جیّد الفهم والذوق، وحینئذٍ فلا یقف فی تکذیبه لیس کمِثِله شیء وذلک کفر محقّق.

ثمّ من المعلوم أنّ(الاستواء) من الألفاظ الموضوعة بالاشتراک، وهو من قبیل المجمل، فدعواه أنّه بمعنی الاستقرار فی غایة الجهل؛ لجعله المشترک دلیلًا علی أحد أقسامه خاصّة.

فالحمار مع بلادته لا یرضی لنفسه أن یکون ضُحکة؛ لجعله القسم قسیماً.

فمن تأمّل هؤلاء الحمقی وجدهم علی جهل مرکّب؛ یحتجّون بالأدلّة المجملة التی لا دلیل فیها قطعاً عند أهل العلم.

ویترکون الأدلّة التی ظاهرها فی غایة الظهور فی الدلیل علی خلاف دعواهم،

۱- سورة الشوری: ۱۱.

۲- سورة الزخرف: ۱۳.

ص: ۳۳

بل بعضها نصوص، کما قدّمته فی حدیث النخامة وغیرها. فتنبّه لذلک لتبقی علی بصیرة من جهل أولئک.

ومن المعلوم أنّه- عزّ وجلّ- واجب الوجود کان، ولا زمان ولا مکان، وهما- أعنی الزمان والمکان- مخلوقان.

وبالضرورة أنّ من هو فی مکان فهو مقهور محاط به، ویکون مقدّراً ومحدوداً.

وهو- سبحانه وتعالی- منزّه عن التقدیر والتحدید، وعن أن یحویه شیء، أو یحدث له صفة، تعالی اللَّه عمّا یصفون وعمّا یقولون عُلوّاً کبیراً.

فإن قیل: ففی الصحیحین (۱) من حدیث شریک بن أبی نمر، عن أنس رضی الله عنه: أنّه ذکر المعراج، وفیه:(فعلا بی الجبّار تعالی، فقال وهو فی مکانه: یاربّ خفّف عنّا) الحدیث.

فالجواب: أنّ الحافظ أبا سلیمان الخطابی قال: إنّ هذه لفظة تفرّد بها شریک، ولم یذکرها غیره، وهو کثیر التفرّد بمناکیر الألفاظ.

والمکان لا یضاف إلی اللَّه سبحانه وتعالی، إنّما هو مکان النبی صلی الله علیه و آله و سلم مقامه الأوّل الذی أُقیم فیه.

وفی الحدیث:(فأستأذن علی ربّی وهو فی داره) (۲).

یوهم مکاناً، وإنّما المعنی فی داره التی دوّرها لأولیائه.

وقد قال القاضی أبو یعلی فی کتابه «المعتمد»: إنّ اللَّه سبحانه وتعالی وتقدّس لا یوصف بمکان.

فإن قیل: یلزم من کلامکم نفی الجهات، ونفیها یحیل وجوده.

۱- صحیح البخاری: ۶/ ۲۷۳۲ ح ۷۰۷۹ کتاب التوحید، وفی طبعة رقم ۶۹۶۳ صحیح مسلم: کتاب الایمان رقم ۲۳۴ و ۲۳۵ و ۲۳۶ والصلاة ۶۰۷.

۲- رواه البخاری لاحظ فتح الباری ۱۳/ ۴۲۲.

ص: ۳۴

فالجواب: أنّ هذا السؤال ساقط فيه تمويه على الأغبياء، يجرون الجهات المتعلّقة بالآدميّين بالنسبة الى اللّه عزّ وجلّ عن ذلك.

وأيضاً إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فمسلم، فأمّا اذا لم يقبلهما فليس خُلوّه من طرفى النقيض بمحال.

ويوضّح هذا: أنّك لو قلت: كلّ موجود لا يخلو أن يكون عالماً أو جاهلًا.

قلنا: إنْ كان ذلك الموجود يقبل الضدّين فنعم، فأمّا إذا لم يقبلهما كالحائط- مثلًا- فإنّه لا يقبل العلم ولا الجهل.

ونحن ننزّه الذى ليس كمثله شىء- سبحانه وتعالى- كما نَزَّهَ نفسه عن كلّ ما يدلّ على الحَدَث، وما ليس كمثله شىء لا يتصوره وهم، ولا يتخيّله خيال، والتصوّر والخيال إنّما هما من نتائج المحسوسات والمخلوقات تعالى عن ذلك.

ومن هنا وقع الغلط واستدراج العدوّ، فأهلك خلقاً، وقد تنبّه خلق لهذه الغائلة فسلّموا، وصرفوا عنه عقولهم الى تنزيهه سبحانه وتعالى فسَلِموا.

مجموعة من الأحاديث المتشابهة

ومن الأحاديث التى يحتجّون بها حديث عبدالرحمن بن عائش (۱)، عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: «رأيت ربّى فى أحسن صورة، فقال لى: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم ياربّ فوضع كفّيه بين كتفى، فوجدت بردها بين ثديى، فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض» (۲).

۱- سنن الدارمى: ۲/ ۱۲۶، مسند أحمد: ۴/ ۶۶ و ۵/ ۳۷۸.

۲- سنن الترمذى ۵/ ۳۶۹، تاريخ بغداد ۸/ ۱۵۲، والطبرانى فى الكبير ۱/ ۳۱۷، وابن الجوزى فى الموضوعات ۱/ ۱۲۵، واللآلىء المصنوعة ۱/ ۳۱، وسير أعلام النبلاء ۱۰/ ۱۱۳، وقال: وهو خبر منكر. وانظر الأسماء والصفات للبيهقى ص ۳۰ ودفع شبه التشبيه لابن الجوزى ص ۱۴۸.

ص: ۳۵

وهـذا الحـديث قال الإمام أحمد فيه: إنّ طرقه مضـطربة، وقال الدارقطنى: كلّ أسانيده مضـطربة ليس فيها صـحيح، وقال البيهقى: رُوى من أوجُه كلّها ضعيفة.

وأحسن طرقه يـدلّ على أنّ ذلك كان فى النوم، ويـدلّ على ذلك أنّه رُوى من حديث أبى هريرة رضـى الله عنه، أنّه صـلى الله عليه و آله و سـلم قال: (۱)(أتـانى آت فى أحسن صورهْ، فقـال: فيم يختصم الملأـ الأـعلى؟ قلت: لا أدرى، فوضع كفّيه بين كتفى، فوجـدت بردها بين ثديى، فعرفت كلّ شىء يسألنى عنه).

وروى من حـديث ثوبان رضـى الله عنه قال (۲):(خرج علينا رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سـلم بعـد صـلاة الصـبح، فقال: إنّ ربّى أتانى الليلة فى أحسن صورة، فقال لى: يا محمّد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أعلم يارب، فوضع كفّه بين كتفى حتّى وجدت برد أنامله فى صدرى، فتجلى لى ما بين السماء والأرض) (۳).

ورُوى من وجوه كثيرة، فهى أحاديث مختلفة، وليس فيها ما يثبت.

مع أنّ عبدالرحمن لم يسمعه من النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

وعلى وجه التنزّل فالمعنى راجع الى رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سـلم، فالمعنى رأيته على أحسن صـفاته؛ أى من الإقبال والرضـا ونحو ذلك؛ لأنّ الصورة يعبّر بها ويراد الصفة.

كما فى حديث(خلق اللَّه آدم على صورته) (۴).

تقول: هذه صورة هذا الأمر؛ أى صفته، فيكون المعنى خلق اللَّه آدم على

۱- كنز العمال: ۱۵/ ۸۹۷ ح ۴۳۵۴۴ عن ابن عبّاس، و ۱۵/ ۸۹۸ ح ۴۳۵۴۵ عن معاذ، و ۱۶/ ۲۴۵ ح ۴۴۳۲۱ عن أنس.

۲- نفس المصدر السابق.

۳- فى مجمع الزوائد ۷/ ۱۷۷ عن البزار فى كشف الأستار ۳/ ۱۳ رقم ۲۱۲۸.

۴- البخارى: كما فى فتح البارى ۱۱/ ۳، صحيح مسلم ۴/ ۲۰۱۷ رقم ۱۱۵، وانظر مسند أحمد ۲/ ۴۳۴، وفتح البارى ۵/ ۱۸۳، وانظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزى ص ۱۴۶.

ص: ۳۶

صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة.

مع أنّ هذا الحديث فيه علل:

منها: أنّ الثورى والأعمش كانا يدلِّسان ولم يذكرا أنّهما سمعا الحديث من حبيب بن أبى ثابت.

ومنها: أنّ حبيباً كان يدلّس، ولم يعلم أنّه سمعه من عطاء.

وهذا كلّه يوجب وهناً فى الحديث.

ومع ذلك فالضمير يصحّ عوده الى آدم عليه السلام، فالمعنى أنّ اللّه- عزّ وجلّ- خلق آدم على صورته التى خلقه عليها؛ تامّاً لم ينقله من نطفة الى علقة كبنيه.

قال الإمام أبو سليمان الخطابى: وذكره تغلب فى أماليه.

وقيل: إنّ الضمير يعود الى بعض بنى آدم.

وخَلْق من العلماء سكتوا عن تفسير هذا الحديث.

فالمشبِّه لامُتمسَّك له بهذه الأحاديث لما ذكرناه، وتمسّكه بها يدلّ على جهله وزندقته عافانا اللّه- عزّ وجلّ- من ذلك.

ومن ذلك حديث القَدَم:(لا تزال جهنّم تقول: هل من مزيد؛ حتّى يضع ربّ العزّة فيها قدمه) الحديث (۱)

.

وهذا يرجع الى الُمحْكم، قال اللّه تعالى: وبَشّر الذّين آمنوا أنَّ لهم قَدَمَ صِدقٍ عند ربِّهم (۲)

.

وقال الحسن البصرى: القدم فى الحديث هم الذين قدّمهم اللّه من شرار خلقه وأثبتهم لها.

۱- البخارى: كما فى، فتح البارى ۸/ ۵۹۴، وصحيح مسلم ۴/ ۲۱۸۸، وانظر دفع شبه التشبيه ص ۱۷۰.

۲- سورة يونس: ۲.

ص: ۳۷

وقال البيهقى: عن النضر بن شميل: القدم هنا الكفّار الذين سبق فى علم اللَّه أنّهم من أهل النار.

وقال الأزهرى: القدم الذين تقدّم القول بتخليدهم فى النار.

وقال ابن الاعرابى: القدم المتقدّم، وكلّ قادم عليها يسمى قدماً، والقدم جمع قادم، كما يقال: عيب وعائب.

وروى الدارقطنى:(حتّى يضع قدمه أو رِجله) وفى هذه دلالة على تغيير الرواية بالظنّ.

مع أنّ الرِّجْل فى اللغة هى الجماعة؛ ألا تراهم يقولون: رجل من جراد، فيكون المعنى يدخلها جماعة يُشبهون الجراد فى الكثرة.

قال ابن عقيل: تعالى اللَّه أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، وهذا عين التجسيم، وليس الحقّ بذى أجزاء وأبعاض، فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن المكوّن تعالى اللَّه عن تخايل الجسمية.

وذكر كلاماً مُطوّلًا بالغاً فى التنزيه وتعظيم اللَّه تعالى.

وقد تمسّك بهذا الحديث ابن حامد المشبّه، فأثبت للَّهسبحانه وتعالى صفات.

وزاد، فروى من حديث ابن عباس رضى الله عنه أنّه عليه السلام قال:(لمّا اسرى بى رأيت الرحمن على صورة شابّ أمرد نوره يتلألأ، وقد نُهيتُ عن صفته لكم، فسألت ربّى أن يُكرمنى بُرؤيته، فإذا كأنّه عروس حين كشف عنه حجابه مستوٍ على عرشه).

وهذا من وضعه وافترائه وجرأته على اللَّه- عزّ وجلّ- وعلى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم.

ومَنْ أعظم فريةً مّمن شبّه اللَّه- عزّ وجلّ- بأمرد وعروس؟

وكان بعض أئمة الحنابلة يتوجّع، ويقول: ليت ابن حامد هذا ومن ضاهاه لم ينسبوا الى أنّهم من أتباع الإمام أحمد، فقد أدخلوا بأقوالهم المفتراة الشينَ على المذهب، والتعرّض الى الإمام أحمد بالتشبيه والتجسيم، وحاشاه من ذلك، بل هو

ص: ۳۸

من أعظم المنزّهة للَّهعزّ وجلّ، وقد خاب من افترى.

وقال بعض أئمـة الحنابلـة المنزِّهين: مَنْ أثبت للّهتعالى هـذه الصـفات بالمعنى المحسوس، فما عنـده من الإسـلام خبر. تقدّس اللَّه- عزّ وجلّ- عمّا يقولون عُلوّاً كبيراً.

وخوضهم في ذلك كلام من لا يعرف اللَّه عزّ وجلّ.

وكذا خوضـهم في الأحاديث خوض من لايعرف كلام اللَّه تعالى ولا كلام أهل اللغة، فيُجرونها على المتعارف عند الخلق، فيقعون في الكفر.

ونوضّـح ذلك إيضاحاً مُبيناً يـدركه أبلـد العوامّ، فضـلًا عن أذكياء الطلبـة والعلماء الأخيار، الـذين جعل اللَّه- عزّ وجلّ- قلوبهم معادن المعاني المرادة وكنوزها.

فمن ذلك ما في الصحيحين (۱) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الضيف، فيه:(لقد عجب اللَّه من صنيعكما الليلة).

وفي أفراد البخاري (۲) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:(عجب ربّك من قوم جيء بهم في السلاسل حتّى يُدخلهم الجنّة).

قال ابن الأنباري: معنى «عجب ربّك» زادهم إنعاماً وإحساناً فعبّر بالعجب عن ذلك.

قال الأئمة: لأنّ العجب إنّما يكون من شيء يدهم الإنسان، فيستعظمه ممّا لا

۱- بهذا اللفظ في صـحيح مسـلم في الأشـربة رقم ۳۸۳۰ وأنظر رقم ۳۸۲۹، وفي البخـاري كتابالمناقب رقم ۳۵۱۴ بفظ: ضحك اللَّه الليلـة أو عجب من فعالكما، ومثله في تفسـير القرآن رقم ۴۵۱۰، وانظر شـرح النووي لمسلم ۱۴/ ۱۲، وفتـح الباري لان حجر ۷/ ۱۱۹، وسنن الترمذي ۵/ ۴۰۹ رقم ۳۳۰۴، وعارضه الأحوذي ۱۲/ ۱۹۰.

۲- رواه البخـاري في الجهاد والسـير رقم ۲۷۸۸، بلفـظ: «من قوم يـدخلون الجنـة في السـلاسل» وهو في أبي داود، الجهاد رقم ۲۳۰۲، ومسند أحمد بلفظ: عجب ربنا.

ص: ۳۹

یعلمه، وذلک إنّما یکون فی المخلوق، وأمّا الخالق فلا یلیق به ذلک، فمعناه عظم قـدر ذلک الشـیء عنـده؛ لأنّ المتعجّب من الشـیء یعظم قدره عنده.

فالمعنی فی حـدیث الضـیف: عظم قـدره وقـدر زوجته عنـده حتّی نوّه بذکرهما فی أعظم کتبه، وعظم قدر المجیء بهم فی السلاسـل حتّی أدخلهم الجنّة، وجعلهم من أولیائه وأنصار دینه.

ومن ذلک حدیث:(لَلّهُ أفرح بتوبة عبده) (۱)، ومعناه أرضی بها.

ومنه (۲) قوله کُلُّ حِزبٍ بما لدیهم فرحون (۳)

؛ أی راضون، ونحو ذلک مما هو کثیر فی القرآن، وکذا الأحادیث:

ومنها حدیث النزول.

وهو فی الصـحیحین من حدیث أبی هریرة رضـی الله عنه أنه صـلی الله علیه و آله و سلم قال:(ینزل ربّنا کلّ لیلة الی السماء الدنیا حین یبقی ثُلُث اللیل الآخر؛ یقول: من یدعونی فأستجب له....) الی آخره.

وهذا الحدیث رواه عشرون نفساً من الصحابة رضی اللَّه عنهم.

وقد تقدّم أنّه یسـتحیل علی اللَّه- عزّ وجلّ- الحرکة والتنقل والتغیّر، لأنّ ذلک من صـفات الحدث، فمن قال ذلک فی حقّه تعالی فقد ألحقه بالمخلوق، وذلک کفر صریح لمخالفة القرآن فی تنزیهه لنفسه سبحانه وتعالی.

ومن العجب العجیب أن یقرأ أحدهم قوله تعالی: وأنزلنا الحدید مع أنّ معدنه فی الأرض.

وقوله تعالی: وأنزل لکم من الأنعام ثمانیة أزواج.

۱- مسلم ۸/ ۹۱ کتاب التوبة.

۲- أی من هذا الاستعمال ا ه مصححه.

۳- سورة المؤمنون: ۵۳.

ص: ۴۰

فياللّه العجب، من شخص لم يعرف نزول الجمل، كيف يتكلّم فى تفصيلها.

وقد قال تعالى: وأنزلنا إليك الكتاب.

وقال تعالى: قد أنزل اللّه إليكم ذِكراً، فنسب الإنزال الى هاتين الغايتين إليه سبحانه وتعالى.

وقد قال تعالى: مَن يُضلل اللّهُ أى ببدعته فلا هادى له ونذرهم فى طغيانهم يعمهون، والعَمَهُ فى البصيرة، كما أنّ العمى فى البصر، والعَمَه فى البصيرة منه الهلكة أعاذنا اللّه من ذلك.

وروى أبو عيسى الترمذى عن مالك بن أنس وسفيان بن عُيينة وابن المبارك:

أنّهم قالوا: أمّروا هذه الأحاديث بلا كيف (۱).

قال الأئمة: فواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النُّقلة والحركة.

فإنّ النزول- الذى هو انتقال من مكان الى آخر- يفتقر الى الجسمية والمكان العالى والمكان السافل ضرورة.

كما فى قوله تعالى: يخافون ربّهم من فوقهم فإنّ الفوقية باعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلّافى الأجرام والاجسام مركّبة كانت أو بسيطة، والربّ- سبحانه وتعالى- منزَّه عن ذلك، إذ هو من صفات الحدث.

وقال ابن حامد الراسم نفسه بالحنبلى: هو فوق العرش بذاته، وينزل من مكانه الذى هو فيه، فينزل وينتقل.

ولمّا سمع تلميذه القاضى منه هذا استبشعه، فقال: النزول صفة ذاتية، ولا نقول: نزوله انتقال.

أراد أنْ يغالط الأغبياء بذلك.

۱- سنن الترمذى ۲/ ۸۷ ذيل حديث ۰۶۵۹ و ۴/ ۶۹۲، وقال: وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن يروى هذه الأشياء كما جاءت ونؤمن بها ولا تفسّر ولا تتوهّم ولا يقال: كيف.

ص: ۴۱

وقال غيره: يتحرّك إذا نزل.

وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد، فجوراً منهم، بل هو كذب محض على السيد الجليل السلفى المنزّه.

فإنّ النزول إذا كان صفة لذاته لزم تجدّدها كلّ ليلة وتعدّدها، والأجماع منعقد على أنّ صفاته قديمة، فلا تجدّد ولا تعدّد تعالى اللَّه عمّا يصفون.

وقد بالغ فى الكفر من ألحق صفة الحقّ بالخلق، وأدرج نفسه فى جريدة السامرة واليهود الذين هم أشدّ عداوة للذين آمنوا.

ومنها: حديث الأصابع.

وهو فى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال:(جاء حَبْر الى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا محمّد إنّ اللَّه يضع السماء على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والأنهار على أصبع، وسائر الخلق على أصبع- وفى لفظ- والماء والثرى على أصبع، ثمّ يهزّهنّ.

فضحك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وقال: وما قَدَروا اللَّه حَقَّ قَدره وفى لفظ:

(فضحك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم تعجّباً وتصديقاً له) (۱).

قال الأئمة- منهم أبو سليمان الخطابى-: لا نثبت للَّه صفة إلّابالكتاب، أو خبر مقطوع بصحّته مستند الى أصل فى الكتاب أو السُّنّة المقطوع بصحّتها (۲)، وما كان بخلاف ذلك فالواجب التوقّف عن إطلاق ذلك، ويتأوَّل على ما يليق بمعانى الأُصول المتّفق عليها من أقوال أهل العلم مع نفى التشبيه.

۱- صحيح البخارى ۶/ ۳۳، وانظر ۸/ ۱۷۴ و ۱۸۷ و ۲۰۲- دار الفكر-، وفتح البارى ۱۳/ ۳۹۳ و ۳۹۸، وصحيح مسلم ۸/ ۲۵- دار الفكر-.

۲- لو لاحظ المتكلمون فى هذه المواضيع هذا الأصل لاستراحوا وأراحوا أنتهى. مصحّحه.

ص: ۴۲

وقال غيره: قد نفى اللَّه تعالى التشبيه عنه في قوله تعالى: وما قدروا اللَّه حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يومَ القيامةِ والسموات مطويات بيمينهِ سُبحانه وتعالى دفعاً لما يتبادر إليه الفهم باعتبار المحسوسات.

قال الأئمة: معناه ما عرفوه حقّ معرفته.

وقال المبّرد: ما عظّموه حقّ عظمته.

وقبضة اللَّه- عزّوجلّ- عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته.

واليمين- في كلام العرب- بمعنى الملك والقدرة، كما قال تعالى: لأخذنا منه باليمين أي بالقوة والقدرة.

وأشعار العرب في ذلك أكثر جدّاً من أن تُذكر، وأشهر من أن تُنشد وتُبرز وتُظهر.

وفي الحديث(الحجرُ الأسودُ يمينُ اللَّه تعالى).

وقال تعالى يدُ اللَّه فوق أيديهم.

وقال أبو الوفاء بن عقيل- من أصحاب الإمام أحمد-: ما قدروا اللَّه حقّ قدره إذ جعلوا صفاته تتساعد وتتعاضد على حمل مخلوقاته، وإنّما ذكر الشرك في الآية ردّاً عليهم.

وفي معنى هذا الحديث قوله صلى الله عليه و آله و سلم:(إنّ قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلّبها كيف شاء) (۱).

وفي ذلك إشارة الى أنّ القلوب مقهورة لمُقلِّبها.

قال الخطابي: واليهود مشبّهة، ونزول الآية دليل على إنكار الرسول عليهم، ولهذا ضحك صلى الله عليه و آله و سلم على وجه الإنكار.

۱- رواه مسلم ۴/ ۲۰۴۵ رقم ۱۷، ومسند أحمد ۲/ ۱۶۸، والترمذي ۴/ ۴۴۹ برقم ۲۱۴۱، ومستدرك الحاكم ۲/ ۲۸۸.

ص: ۴۳

وليس معنى الأصابع معنى الجارحة لعدم ثبوته، بل يُطلق الاسم فى ذلك على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه!

وقال غيره من حمل الأصابع على الجارحة فقد ردّ على اللَّه- سبحانه وتعالى- فى قوله: سبحانه وأدخل نفسه فى أهل الشرك؛ لقوله تعالى: سبحانه وتعالى عمَّا يشركون.

وهو- عزّ وجلّ- يذكر فى كتابه المبين التحرّس عمّا لا يليق؛ دفعاً ورداً لأعدائه، كقوله تعالى: وقالوا اتخذ اللَّه ولداً، سبحانه وقال تعالى: وخَرقوا له بَنين وبناتٍ بغير علم، سبحانه ونحو ذلك، وآكد من ذلك قوله: وأنّه تعالى جدُّ ربِّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً قدّم تنزيهه- عزّ وجلّ- أوّلًا فى هذه الآية.

والقرآن طافح بذلك.

ومنها: ما رواه الشيخان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنّه صلى الله عليه و آله و سلم قال:(لمّا قضى اللَّه الخلق كتب فى كتاب، فهو عنده فوق العرش: أنّ رحمتى غلبت غضبى) وفى لفظ: «سبقت».

قال القاضى المشبِّه- تلميذ ابن حامد-: ظاهر قوله: «عنده» التقرب من الذات.

وما قاله يستدعى القرب والمساحة، وذلك من صفات الأجسام، وقد عمى عن قوله تعالى: مسومة عند ربِّكَ.

ومن المعلوم أنّك تقول: عندى فوق الغرفة كتاب كذا، وهو فى موضع شاسع نازل عن الغرفة بمسافة بعيدة.

ثمّ إنّ هذا القاضى روى عن الشعبى أنّه قال: إنّ اللَّه قد ملأ العرش حتّى أنّ له أطيطاً كأطيط الرَّحْل، وهو كذب على الشعبى (۱).

۱- دفع شبه التشبيه ص ۲۴۹.

ص: ۴۴

وقال بعضهم: ثم استوى على العرش قعد عليه.

وقال ابن الزاغونى: خرج عن الاستواء بأربع أصابع (۱).

ولهم ولأتباعهم مثل ذلك خبائث كلّها صريحة فى التشبيه والتجسيم، لا سيما فى مسألة الأستواء.

وهو- سبحانه وتعالى- متنزه عمّا لا يليق به من صفات الحَدَث.

ثـمّ إنّ هؤلاء الجمادات وأعالى الجهلة، يلزمهم أن يقولوا فى الحديث الذى رواه مسلم وغيره ما لم يمكن القول به من أجهل الناس:(ولا يزال عبدى يتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أُحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يُبصر به، ويده التى يَبطش بها، ورجله التى يمشى بها...) الى آخره.

وبالضرورة لا يكون سبحانه جارحةً لعبده، ومع هذا يلزم التعدّد بحسب المتقرّبين والتجزئة والتفرقة، وغير ذلك مّما لا يقوله حمار، بل ولا جماد، تعالى اللّه وتقدّس عن ذلك.

قال ابن الجوزى: وهؤلاء وأتباعهم جهلوا معرفة ما يجوز على اللّه وما يستحيل عليه.

ومن أعجب ما رأيت لهم، ما ذكروا عن ابن أبى شيبة أنّه قال فى كتاب العرش: إنّ اللّه قد أخبرنا: أنّه صار من الأرض الى السماء، ومن السماء الى العرش، فاستوى على العرش.

ثمّ قال: ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا، فعابنا الناس بكلامهم.

ولو فهموا أنّ اللّه- سبحانه وتعالى- لا يوصف بما يوصف به الخلق، لما بنوا أمورهم وقواعدهم على المحسوسات التى بها المساواة بينه وبين خلقه، وفى ذلك

۱- دفع شبه التشبيه ص ۲۴۸.

ص: ۴۵

تكذيبه فی تنزيهِهِ وتقديسِهِ نفسَهُ عزّ وجلّ.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: تحسب الجهلة أنّ الكمال فی نسبة النقائص إليه فيما نزّه نفسه عنه عزّ وجلّ، والذی أوقعهم فی ذلك القياسُ المظنون، وكيف يكون له حكم الدليل وقد قضى عليه دليل العقل بالردّ؟!

اختلاف الناس فی هذه الأخبار

قال أبو الفرج بن الجوزی: والناس فی أخبار الصفات على ثلاث مراتب:

إحداها: إمرارها على ماجاءت من غير تفسير ولا تأويل إلّاأن تقع ضرورة، كقوله تعالى: وجاء ربُّكَ أی جاء أمره، وهذا مذهب السلف.

المرتبة الثانية: التأويل وهو مقام خطر.

المرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحسّ، وقد عمّ جهله الناقلين؛ إذ ليس لهم علوم المعقولات التی بها يعرف ما يجوز على اللَّه- عزّ وجلّ- وما يستحيل.

فإنّ علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه، فإذ عدموها تصرّفوا فی النقل بمقتضى الحسّ.

ولو فهموا أنّ اللَّه- عزّ وجلّ- لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا جارحة ولا تغير، لما بقوا على الحسّيات التی فيها عين التشبيه وهو كفر بالقرآن أعاذنا اللَّه من ذلك.

ولا شكّ أنّ مذهب السكوت أسلم وقد ندم خلق من أكابر المتكلّمين على الخوض فی ذلك.

قال أبو المعالی الجوينی فی آخر عمره: «خليتُ أهل الإسلام وعلومهم، وركبتُ البحر الأعظم، وغُصْتُ فی الذی نهوا عنه، والآن رجعتُ الی قولهم:

عليكم بدين العجائز، فإن لم يُدركنی الحقّ بلطفه وأموت على دين العجائز، وإلّا

ص: ۴۶

فالويل لابن الجويني».

قال أبو الوفاء بن عقيل: معنى دين العجائز أنّ المدقّقين بالغوا في البحث والنظر، ولم يشهدوا ما يشفى العقل من التعليل، فوقفوا مع المراسم واستطرحوا، وقالوا: لاندرى.

وسئل الإمام أحمد- قدس اللّه روحه- عن الاستواء، فقال «هو كما أخبر، لا كما يخطر بالبشر».

فانظر- وفقك اللّه وارشدك الى الحقّ- الى هذه العبارة ما أرشقها وعلى اتباعه ما أشققها (۱)، اعتقاد قويم ومنهاج سليم.

اتهام الإمام أحمد بالتجسيم

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى- واسمه عبدالرحمن بن على-: لمّا رأى الحُسّاد للإمام أحمد ما حصل له من الرفعة ونفاسة مذهبه؛ لتشييده بالكتاب والسُّنّة، انتموا الى مذهبه ليُدخلوا عليه النقص والخلل وصرف الناس عنه؛ حسداً من أنفسهم، فصرّحوا بالتشبيه والتجسيم، ولم يستحيوا من الخبير العليم، ونسبوه إليه افتراء عليه.

ومن نظمه فى ذلك:

ولمّا نظرتُ فى المذاهبِ كلّها طلبتُ الأسدَّ فى الصواب وماأغلو

فألفيتُ عند السير قول ابن حنبلٍ يزيد على كلّ المذاهب بل يعلو

۱- لعله «مأشقها» بحذف إحدى القافين، أو بإبدال إحداهما فاء. انتهى. مصحِّحه.

ص: ۴۷

وكلّ الذى قد قاله فمشيَّد بنقل صحيح والحديث هو الأصلُ

وكان بنقل العلم أعرف من روى بِقوم من السادات ما شانهم عظم (۱)

ومذهبه أن لا يشبّه ربّه و يتبع فى التسليم من قد مضى قبلُ

يشير الى صاحبه الإمام الشافعي وغيره من علماء السلف كما أذكر.

فقام له الحُسّاد من كلّ جانب فقام على رِجْل الثبات وهم زلّوا

وكان له أتباعُ صدقٍ تتابعوا فكم أرشدوا نحو الهدى وَلَكم دلّوا

وجاءك قوم يدّعون تمذهباً بمذهبه ما كلّ زرع له أُكلُ

ومالوا الى التشبيه أخذاً بصورة ال ذى نقلوه فى الصفات وهم غُفلُ

وقالوا: الذى قلناهُ مذهبُ أحمدٍ فمال الى تصديقهم من به جهلُ

فصار الأعادى قائلين لكلّنا: مشبِّهة قد ضرّنا الصحبُ والخلُ

۱- الشطر الثانى، لم يرد فى المطبوعة فى مصر، وأخذناه من المصدر.

ص: ۴۸

فقد فضحوا ذاك الإمام لجهلهم ومذهبُهُ التنزيهُ لكن هُمُ اختلّوا

لَعمرى لقد أدركتُ منهم مشايخاً وأكثر ما أدركته ماله عقلُ (۱)

وحذفت أبياتاً من هذه القصيدة؛ لأنّى فى هذه الورقات على سبيل الاقتصاد والرمز الى منهج الحقّ والرشاد.

كلام الإمام الشافعى و أبى حنيفة و مالك، فى التأويل

وسُئل الإمام الشافعى- قدّس اللّه روحه- عن الاستواء؟ فقال: «آمنتُ بلا تشبيه، وصدّقت بلا تمثيل، واتهمتُ نفسى فى الإدراك، وأمسكتُ عن الخوض فيه كلّ الإمساك».

وهذا شأن الأئمّة، يُمسكون أعنّة الخوض فى هذا الشأن، مع أنّهم أعلم الناس به، ولا يخوض فيه إلّاأجهل الناس به.

وسئل الإمام أبو حنيفة- قدّس اللّه روحه- عن ذلك؟ فقال: «من قال: لا أعرف اللّه أفى السماء أم فى الارض فقد كفر؛ لأنّ هذا القول يؤذن أنّ للّهسبحانه وتعالى مكاناً، ومن توهّم أنّ للّهمكاناً فهو مُشبِّه».

وسئل الإمام مالك عن الاستواء؟ فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بِدعة».

فنفى العلم بالكيف، فمن استدلّ بكلامه على أنّه- سبحانه وتعالى- فوق عرشه، فهو لجهله وسوء فهمه.

۱- أورد القصيدة كاملة ابن الجوزى فى(دفع شبه التشبيه) ص ۲۷۵- ۲۷۷.

ص: ۴۹

وقال الإمام مالك عند قوله: فلا تَضربوا للّهالأمثالَ من وصف شيئاً من ذاته سبحانه وتعالى، مثل قوله تعالى: قالتِ اليهودُ يدُ اللّه مغلولةٌ غُلّت أيديهم(فأشار بيده الى عنقه) قُطعت، وكذا السمع والبصر يقطع ذلك منه؛ لأنّه شبّه اللّه بنفسه.

وقال مالك رضى الله عنه: «الاستواء معلوم» يعنى عند أهل اللغة.

وقوله: «والكيف مجهول» أى بالنسبة الى اللّه عزّ وجلّ؛ لأنّ الكيف من صفات الحدث، وكلّ ما كان من صفات الحدث فاللّه- عزّ وجلّ- مُنزّه عنه، فإثباته له سبحانه كفر محقّق عند جميع أهل السُّنة والجماعة.

وقوله: «والإيمان به واجب» أى على الوجه اللائق بعظمته وكبريائه.

وقوله: «والسؤال عنه بِدعة» لأنّ الصحابة- رضى اللّه عنهم- كانوا عالمين به وبمعناه اللائق بحسب اللغة، فلم يحتاجوا الى السؤال عنه فلّما ذهب العالمون به، وحدث من لم يعلم أوضاع لغتهم، ولا له نور كنورهم، شرع يسأل الجهلة بما يجوز على اللّه عزّ وجلّ، وفرح بذلك أهل الزيغ، فشرعوا يُدخلون الشُّبَهَ على الناس، ولذلك تعّين على أهل العلم أن يبيّنوا للناس، وأن لا يهملوا البيان؛ لقوله تعالى: وإذ أخذ اللّه ميثاق الذينَ أُتوا الكتابَ لتبيِّنُنّه للنّاس ولا تكتُمُونهُ.

فهذه (۱) الأئمّة التى (۲) مدار الأمّة عليهم فى دينهم، متّفقون فى العقيدة، فمن زعم أنّ بينهم اختلافاً فى ذلك، فقد افترى على أئمّة الإسلام والمسلمين، واللّه حسبه، وسيجزى اللّه المفترين.

وفى الصحيحين من حديث ابن عبّاس رضى اللّه عنهما: أنّه صلى الله عليه و آله و سلم قال:(من فارق الجماعة شبراً فمات، مات ميتةً جاهليّة).

۱- لعله فهؤلاء انتهى. مصححه.

۲- لعله الذين انتهى. مصححه.

ص: ۵۰

وقال صلی الله علیه و آله و سلم:(إنّ الشیطان ذئب الإنسان کذئب الغنم؛ یأخذ القاصیة والنافرة والشاذّة، إیاکم والشِّعاب، وعلیکم بالعامّة والجماعة والمساجد). رواه الطبرانی وغیره من حدیث معاذ رضی الله عنه، ورواه الإمام أحمد، ورجاله ثقات (۱).

وسُئِل الإمام أحمد عن الشافعی؟ فقال: «ماالذی أقول فیه، وهو الذی أخرج من قشور التشبیه لبابها، وأطلع علی معارفها أربابها، وجمع مذهبه أکنافها وأطنابها، فالمحدّثون صیادلة والشافعی طبیبهم، والفقهاء أکابر والشافعی کبیرهم، وما وضع أحد قلمه فی محبرة إلّاوللشافعی علیه منّة».

وکان کثیر الدعاء للشافعی، قال له ابنه عبداللَّه: أیَّ شیء کان الشافعی، فإنّی أسمعک تُکثر الدعاء له؟ قال: «یابُنیّ کان الشافعی کالشمس للدنیا، وکالعافیة للناس، فانظر هل لهذین من خلف أو عوض؟».

کلام السلف فی التأویل

وسئل بعض أئمّة السلف عن قوله تعالی الرحمن علی العرشِ استوی؟

فقال: الرحمن – جلّ وعلا– لم یزل والعرش مُحدَث بالرحمن استوی، ثمّ قال:

کلّ ما میّزتموه بأذهانکم وأدرکتموه فی أتمّ عقولکم، فهو مصروف إلیکم ومردود علیکم، محدث ومصنوع مثلکم؛ لأنّ حقیقته عالیة عن أن تلحقه عبارة، أو یدرکه وهم، أو یُحیط به علم، کلّا، کیف یُحیط به علم وقد اتّفق فیه الأضداد بقوله سبحانه وتعالی: هو الأوّل والآخرُ والظّاهر والباطنُ؟!

أیّ عبارة تُخبر عنه؟! حقیقة الألفاظ کلام، قصرت عنه العبارات، وخرست عنه الألسنة بقوله: لیس کمثله شیء تعالی اللَّه وتقدّس عن المجانسة والمماثلة.

۱- فی مجمع الزوائد للهیثمی ۲/ ۲۳ عن أحمد وفی ۵/ ۲۱۹ عن أحمد والطبرانی، وکنز العمال ۱/ ۲۰۶ رقم ۱۰۲۶ و ۱۰۲۷ و ۷/ ۵۸۱ رقم ۲۰۳۵۵.

ص: ۵۱

قال ابن عباس رضى اللَّه عنهما فى هذه الآية: معناها ليس له نظير.

وقال أهل التحقيق: ذكر العرش إظهاراً لقـدرته، لا مكاناً لـذاته؛ إذ الـذات ممتنعهٔ عن الإحاطهٔ بها والوقوف عليها، كما أشار الى ذلک فى قوله تعالى: اللَّه لا إله إلّاهو ربُّ العرشِ العظيم.

فسبحانه هو المنزّه عن الشبيه، القدّوس المبرّأ عن الآفات، والمُسبَّح بجميع اللغات، السلام السالم من نقائص المخلوقات، الصمد السيّد الـذى لا يُشبهه شىء من المصنوعات والمخلوقات، الغنىّ عن الأغيار، تبارک وتعالى عن أن تحويه الجهات، الفرد الـذى لا نظير له، المنفرد بصفات الكمال والقدرهٔ، ومن بعض مقدوراته الكرسىّ والعرش والأرضون والسموات، شهد لنفسه بالوحدانيهٔ، ونزّهها بالآيات البيّنات، فصفاته لا يوصف بها غيره.

ومن تعرّض لذلک فقد طعن فى كلامه، وضاهى أهل العناد، فاستوجب اللعن وأشدّ العقوبات.

قول البغدادين فى التأويل

قال البغداديّون فى قوله تعالى: بديع السمواتِ والأرضِ وإذا قضى أمراً فإنّما يقولُ له كن فيكونُ (۱)
: كلّ صُنِع صنعه ولا علّهٔ لصنعته، ليس لذاته مكان؛ لأنّه قبل الكون والمكان، وأوجد الأكوان بقوله: كُنْ أزال العلل عن ذاته بالدرک (۲) وبالعبارهٔ عنه وبالاشارهٔ، فلا يبلغ أحـد شيئاً من كنه معرفته؛ لأنّه لا يعلم أحـد ما هو إلّاهو، حىّ قيّوم لا أوّل لحياته، ولا أمد لبقائه، احتجب عن

۱- البقرهٔ: ۱۱۷.

۲- قوله «بالدرک» متعلق بمحذوف فيما يظهر، تقديره: وأعجز الخلقَ عن أن يحيطوا بهبالدرک... الى آخره. والدرک: الإدراک. انتهى مصحّحه.

ص: ۵۲

العقول والأفهام، كما احتجب عن الأبصار فعجز العقل عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، وانتهى المخلوق الى مثله، وأسنده الطلب الى شكله. انتهى.

وقولهم: «كلّ صنع» عبّروا بالمصدر عن اسم المفعول، كقوله تعالى: هذا خلقُ اللّه (۱).

ومن الجهل البيّن أن يطلب العبد المقهور ب «كُنْ» درك ما لا يُدرك، كيف؟ وقد تنزّه عن أن يُدرك بالحواسّ، أو يتصوّر بالعقل الحادث والقياس، مَنْ لا يدركه العقل من جهة التمثيل، ويُدركه من جهة الدليل.

فكلّ ما يتوهّمه العقل لنفسه فهو جسم، وله نهاية فى جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه، مع ما يلزمه من الحدود والمساحة؛ من الطول والعرض وغير ذلك من صفات الحدث، تعالى عن ذلك.

فهو الكائن قبل الزمان والمكان، و هوالأوّل قبل سوابق العدم، الأبدى بعد لواحق القِدَم، ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، جلّت ذاته القديمة- التى لم تُسبق بعدم- أن يكون لها صفة حادثة، كما يستحيل أن يكون للذات الحادثة صفة قديمة.

قال تعالى: أولا يذكُرُ الإنسانُ أنَّا خلقناهُ مِنْ قبلُ ولم يكُ شيئاً (۲).

کلام یحیی بن معاذ فی التأویل

وسأل بعض المخبثين (۳) الطوية للإمام العالم العلامة الجامع بين العلوم السَّنّية

۱- لقمان: ۱۱.

۲- مريم: ۳۷.

۳- لعله «خبيثى...» الى آخره، وقوله «للإمام» لعلّ اللام الأولى من تصّرفات النُّساخ، وهذاظنّنا فى كلّ ما تقدّم أو يجىء فى هذا الكتاب من الألفاظ التى تخالف اللغة؛ لأنّ الإمام الحصنى أجلّ من أن يخفى عليه مثل ذلك. انتهى. مصحّحه.

ص: ۵۳

والمناهج العَلِية؛ يحيى بن معاذ الرازى، فقال له: أخبرنا عن اللّه؟ فقال: إله واحد.

فقال له كيف هو؟ قال: إله قادر. قال: فأين هو؟ قال: بالمرصاد.

فقال السائل: لم أسألك عن هذا. فقال: ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق، فأمّا صفته فالذى أخبرتك عنه.

فالسائل سأل عن الذات والكيفية، فأجابه هذا الحَبْر بالصفات الجلاليّة القُدسيّة.

وهذا أخذه من قصة سيّدنا موسى عليه السلام مع فرعون اللعين لمّا قال له موسى عليه السلام:

إنّى رسول ربِّ العالمينَ فسأله فرعون وما ربُّ العالمينَ (۱)

فقال موسى ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما إنْ كنتم موقنين (۲)

.

فضمّن الجواب العدول عمّا سأل؛ لأنّه عدل فيه عن مطابقة السؤال؛ لأنّ فرعون سأل عن ماهيّته سبحانه وتعالى، وموسى أجابه عن قدرته وصفاته، فجاز له- حين خلط فى السؤال وأخطأ، وسأل عمّا لا يمكن إدراكه- العدولُ عن سؤاله.

فقال فرعون: ألا تستمعونَ (۳)

أنا أسأله عن شىء، فيجيب عن غيره.

فقال موسى عليه السلام ربُّكم وربُّ آبائِكم الأولينَ (۴)

.

فلما قال موسى عليه السلام ذلك استشعر فرعون أنّه أخطأ فى السؤال، فخشى أن يدرك ذلك جلساؤه، فقال: إنَّ رسولَكُم الذى أُرسل إليكم لمجنونٌ رماه بذلك حتّى يتخلص ويصير موسى عليه السلام فى مقام لا يُلتفت الى قوله، ولا يؤخذ به.

۱- الزخرف: ۴۶.

۲- الدخان: ۷.

۳- الشعراء: ۲۵.

۴- الدخان: ۸.

ص: ۵۴

فتأمّل- أرشدک اللّه عزّ وجلّ وهداک الی الحقّ- کیف أنّ ذلک معلوم عند الانبیاء- علیهم الصلاهٔ والسلام- وغیرهم عدم العلم بالذات والکیف؟

فلا أجهل ولا أعمی بصیرهٔ مّمن فرعون أهدی منه فی معرفته بالعجز عن درک ذاته!

قول أهل التحقیق من أهل السنهٔ والجماعهٔ بالتأویل

قال الإمام الحافظ محمّد بن علی الترمذی- صاحب التصانیف المشهورهٔ-:

«من جهل أوصاف العبودیهٔ فهو بنعت الربوبیّهٔ أجهل».

وقال أهل التحقیق من أهل السُّنّهٔ والجماعهٔ: «من اعتقد فی اللّه- عزّ وجلّ- ما یلیق بطبعه کالعامّی، فهو مشبّه.

فإنّه- عزّ وجلّ- منزّه عن کلّ ما یصفه الآدمی أو یتخیّله؛ لأنّ ذلک من صفات الحدَث تعالی وتقدّس عن ذلک».

فإیمان العامیّ لضعف علمه وعقله یقبل التشکیک (۱).

مجموعهٔ من تأویلات ابن عباس

قال ابن عبّاس رضی اللّه عنهما فی قوله تعالی وما یؤمن أکثرهم باللّه إلّاوهم مشرکون: هم الذین شبّهوا اللّه سبحانه وتعالی بخلقه، یؤمنون به مُجملًا، ویکفرون به مفصّلًا، حملهم علی ذلک زُخرفُ العدوّ وإغواؤه، بدسیسهٔ عدم علمهم بغوائل النفس الأمّارهٔ بالسوء وعدم تأمّلهم قوله تعالی: ما أشهدتهم خلق

۱- هذا الکلام لیس علی عمومه، فإنّ من العامّیهٔ من یندهش العالم لِمبلغ کمال إیمانه باللّه عزّ وجلّ، وقد یصدق ذلک فی بعض العوامّ الذین لم ینشأوا فی حجور أهل الدین، ولم یختلطوا بهم، وهم أندر من الکبریت الأحمر بین طبقات العوّام. انتهی. مصحّحه.

ص: ۵۵

السمواتِ والأرضِ ولا خلقَ أنفسِهم (۱)

، وفى ذلك إشارة الى عجز الخليقة أن تدرك بعض صفات ذواتها فى ذاتها، أو تدرى كيف كُنهها فى أنفسها، بعدم شهودهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسها، فلم تملك أن تحتوى علم أنفسها فى أنفسها، فكيف تدرى أو تدرك شيئاً من صفات مُوجدها من العدم وبارئها ومالكها؟!

وقال تعالى: ومن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين (۲) سُبحانَ الذى خلق الأزواج كُلَّها (۳)

، وفى ذلك إشارة ظاهرة الى عجزك عن إدراك كُنه بعض المخلوقات على اختلاف ذواتها وصفاتها، وفى بعضها ما لا يخطر على قلب بشر، فكيف بالخالق الذى نزّه نفسه بقوله تعالى: ليس كمثله شيء؟!

وهو- سبحانه وتعالى- مباين لخلقه من كلّ وجه لا يسعه غيره ولا يحجبه سواه، تقدّس أن يدركه حادث أو يتخيّله وَهم أو يتصوّره خيال، كل ذلك محال.

فهو الملك القُدّوس المنزّه فى ذاته وصفاته عن مشابهة مخلوقاته، وأنت من مخلوقاته؛ ركّبك على منوال عجيب، وجعلك فى أحسن صورة وأعجب ترتيب، مع تنقّل تارات من ماء مهين، فقال عزّ وجلّ: ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالة من طين* ثمَّ جعلناه نطفةً فى قرار مكين* ثمّ خلقنا النُّطفةَ علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك اللّه أحسن الخالقين (۴)

.

الإنسان هنا هو آدم عليه السلام وسلالته؛ لأنّه سلّةٌ من كلّ تربة، وكان عليه السلام يتكلم

۱- الكهف: ۵۱.

۲- الذاريات: ۴۹.

۳- يس: ۳۶.

۴- المؤمنون: ۱۲- ۱۴.

ص: ۵۶

بسبعمائة ألف لغة.

وقوله تعالى: ثمّ جعلناه أى الإنسان نطفةً فى قرار مكين أى حرز منيع، وهو الرحم ثم خلقناه علقةً أى دماً فخلقنا العلقة مضغةً أى قدر ما يُمضغ فخلقنا المضغة عظاماً وبين كل خلقتين أربعون يوماً فكسونا العظام لحماً ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر وهو نفخ الروح فيه.

قاله ابن عبّاس ومجاهد والشعبى وغيرهم.

وقيل: نبات الأسنان والشعر، قاله قتادة.

وقيل: ذكراً أو أنثى، قاله الحسن، وقيل غير ذلك.

فتبارك اللّه أحسن الخالقينَ أى المصوّرين والمقدّرين.

تنزّه سبحانه وتعالى بعد ذكر هذه الأطوار. المعنى: أنّ مَن هذه مِن بعض مقدوراته، يستحقّ التعظيم والتنزيه؛ لأنّ هذه التارات والتنقّلات إنشاء بعد إنشاء، فى غاية الدلالة على كمال القدرة ووصف الألوهية، ثمّ الإنشاء الآخر أن شقّ الشقوق وخرق الخروق، وأخرج العصب وجعل العروق كالأنهار الجارية، وركّبها على منوال غريب، مع كونه خلقاً سويّاً، فأظهر يد القدرة والآيات الظاهرة، وكمال الصنع والحكمة الباهرة، وأودع فيه الروح والحركة والسكون والإدراك والتمييز، ولغات الكلام والعلم والمعرفة والفهم والفطنة والفراسة، وغير ذلك مّما يليق بهذا النوع الإنسانى الحيوانى الى غير ذلك مّما يطول عدّه، ويعسر تقديره وحدّه فتبارك اللّه أحسنُ الخالقين.

ولو قيل لك: أخبرنى عن قدر عروقك رقّة وثخانة وطولًا وقصراً، أو عن حقيقة بعض ما فى باطنك من أى نوع كان، لعجزت عن بيان ذلك ولخرست، وأنت وجميع هذا النوع الإنسانى نُتفة تراب جعله بشراً منتشراً.

فتعالى اللّه وتبارك أن يخوض فى ذاته وصفاته إلّامن عَدِم الرشاد، وسلك

ص: ۵۷

سبيل الفساد والعناد، وصيّر نفسه أخسّ العباد.

فمن حقّق نظره واستعمل فكره، وجد نفسه أجهل الجاهلين بعظمة هذا العظيم.

فلا يقدّره أحد قدره ولا يعرفه سواه، وإن قرّبه وأدناه فسبحانه ما اثنى عليه حقّ ثنائه غيرُه، ولا وصفه بماغ يليق به سواه عجز الأنبياء والمرسلون عن ذلك، قال أجلّهم قدراً وأرفعهم محلًا وأبلغهم نُطقاً، مع ما أُعطى من جوامع الكَلِم: «لا أحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك».

ومن تأمل كلام اللَّه- عزّ وجلّ- وجده محشواً بتنزيهه تارةً بالتصريح؛ وتارة بالتلويح، وتارة بالإشارات، وتارة بما تقصر عنه العبارات.

وهؤلاء (۱) العلماءُ ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين قربوا من درجة النبوّة، لأنّهم دلّوا الناس على ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلا، ويرجح مدادهم على دم الشهداء، ويستغفر لهم من في السموات والأرض حتّى الحيتان في الماء، وهم أمناء اللَّه- عزّ وجلّ- في أرضه، وأحدهم على الشيطان أشدّ من ألف عابد.

وقد قيل في قوله تعالى: ربِّ زدني علماً (۲)

: أي زدني علماً بالقرآن ومعانيه.

وهؤلاء لهم علم لَدُنيّ يرد على قلوبهم من غيب الهدى، لها جَوَلان في الملكوت، فترجع الى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يلقى إليها عالم علمه.

۱- معطوف على الأنبياء أي عجزوا كما عجز الأنبياء عن وصف ربّنا- عزّ وجلّ- كما ينبغي لهويليق به، ولولا ما علّمهم اللَّه تعالى في دينه ما عرفوا ما عرفوا من وحيه، وإنّما قلنا بذلك العطف؛ لأنّه لم يجيء بعدهم حديث عنهم، فليعلم. انتهى. مصحّحه.

۲- الكهف: ۱۱۴.

ص: ۵۸

ومن ثمرة ذلك حصول الخشية وتزايد الخوف، والعمل بالإخلاص والصدق والزهد وصون النفس عن مواطن الهلكة، وإلّا هلك وأهلك غيره.

ومثل العالم كمثل السفينة إذا انخرقت غرقت وغرق أهلها، فواجب على العالم أن يحترز لئلا يَهلك ويُهلك غيره، فيلقى اللّه بذنوبه وذنوب غيره، فيضاعف عليه العذاب.

قول محمد بن المنكدر بالتأويل

قال محمد بن المنكدر- وهو من سادة التابعين، وكانت عائشة رضى اللّه عنها تحبّه وتُكرمه وتَبَره: الفقيه يدخل بين اللّه- عزّ وجلّ- وبين عباده، فلينظر كيف يدخل؟

وصدق ونصح قدّس اللّه روحه.

وهذا شأن السلف بذلوا النصيحة للإسلام والمسلمين، وكانوا شديدين على من خالف، ولا سيّما لما ظهر أهل الزيغ، وتظاهروا بالتنويه بذكر آيات المتشابه وأحاديثه، بالغوا فى التحذير منهم ومن مجالستهم، وكانوا يقولون: هم الذين عنى اللّه- عزّ وجلّ- فى قوله تعالى: فأمّا الذين فى قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منهُ ابتغاء الفتنةِ (۱)

الآية.

وكذا قالت عائشة رضى اللّه عنها.

وكانوا يقولون- إذا جلس أحد للوعظ والتذكير-: تفقدوا منه أموراً، ولا تغترّوا بكلّ واعظ، فإنّ الواعظ إذا لم يكن صادقاً ناصحاً سليم السريرة من الطمع والهوى هلك وأهلك.

وذكروا أشياء ببعضها تنطفىء نار الشبه التى بها يموّه أهل الزيغ.

۱- آل عمران: ۷.

ص: ۵۹

ومن لا ـ یقبلها فما ذاک إلّاأنّ اللَّه- عزّ وجلّ- یرید إهلاکه وحشره فی زمرهٔ السامرهٔ والیهود والزنادقهٔ، ومن یرد اللَّه- عزّ وجلّ- إضلاله فلا هادی له واللَّه یحکم لا معقب لحکمه لا یُسأل عمّا یفعل قسّم الخلق الی شقیّ وسعید، فهو الفعّال لما یرید، فمن اتبع هداه فلا یضلّ ولا یشقی، ومن اتبع هوی نفسه الأمّارهٔ وأهل الزیغ والضلالهٔ، وحاد عن سبیل من بهم یُقتدی هلک فی المرقی.

ولنرجع الی قول السلف رضی اللَّه عنهم: إذا جلس شخص للوعظ فتفقدوا منه أُموراً إن کانت فیه، وإلّا فاهربوا منه، وإیاکم والجلوس إلیه، وإلّا هلکتم من حیث طلبتم النجاهٔ.

قالوا ذلک حین ظهر أهل الزیغ والبدع، وکثرت المقالات، وذلک بعد وفاهٔ عمر رضی اللَّه عنه وحدیث حذیفهٔ رضی اللَّه عنه یدلّ لذلک واللفظ لمسلم.

حدیث حذیفهٔ فی الفتن و نبوغ الأهواء

قال حذیفهٔ:(کنّا عند عمر رضی اللَّه عنه، فقال: أیّکم سمع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم یذکر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلّکم تعنون فتنهٔ الرجل فی أهله وجاره، قالوا: أجل. قال: تلک تُکفّرها الصلاهٔ والصیام والصدقهٔ، ولکن أیّکم سمع النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم یذکر التی تموج موج البحر؟ قال حذیفهٔ رضی اللَّه عنه: فأسکت القومُ، فقلت: أنا. قال: أنت للَّهأبوک.

قال حذیفهٔ رضی اللَّه عنه: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول: تُعرض الفتنُ علی القلوب کالحصیر، فأیّ قلب أُشرِبَها نُکِت فیه نُکتهٔ سوداء، وأیّ قلب أنکرها نُکِت فیه نُکتهٔ بیضاء؛ حتّی یصیر علی قلبین: علی أبیض مثل الصفاهٔ، فلا تضرّه فتنهٔ مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً کالکوز مجْخیّاً؛ لا یعرف معروفاً، ولا ینکر منکراً، إلّاما أُشرب من هواه.

ص: ۶۰

قال حذيفة رضى الله عنه: وحدّثته: أنّ بينك وبينها باباً مُغلقاً يوشك أن يُكسر.

قال: قال عمر رضى الله عنه: أكسر لا أبا لك، فلو أنّه فتح لعلّه كان يعاد. قال: لا، بل يُكسر.

وحدّثته: أنّ ذلك الباب رجل يُقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط.

قال أبو خالد: فقلت لسعيد: يا أبا مالك ما «أسود مرباداً»؟

قال: شدة البياض فى السواد.

قال قلت: فما «الكوز مجخيّاً»؟ قال: منكوساً (۱).

فقوله: «ليس بالأغاليط» يعنى أنّه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.

والفتن كلّ أمر كشفه الأختبار عن أمر سوء، وأصله فى اللغة الاختبار، وشُبّهت بموج البحر؛ لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدّة عظمها وشيوعها.

وقوله: «تعرض الفتن على القلوب» أى تلصق بعرض القلوب؛ أى بجانبها كالحصير تلصق بجنب النائم، وتؤثر فيه لشدة التصاقها.

وهذا شأن المشبّهة تلصق فتنة التشبيه فى قلوبهم وتؤثّر، وتحسن لعقولهم ذلك حتّى يعتقدوا ذلك ديناً وقرباناً من اللّه عزّ وجلّ، وما يقنع أحدهم حتّى يبقى داعية وحريصاً على (۲) إفتان من يقدر على إفتانه، كما هو مشاهد منهم.

وإلى مثل ذلك قوله «أُشرِبها» أى دخلت فيه دخولًا تامّاً وألزمها وحلّت منه محلّ الشراب ومنه قوله تعالى: وأُشربوا فى قلوبهم العجلَ (۳)

أى حبّه.

۱- صحيح مسلم: كتاب الإيمان الحديث ۲۰۷، والبخارى فى مواقيت الصلاة رقم ۴۹۴ وفى الزكاة ۱۳۴۵ وفى الصوم ۱۷۶۲ وفى المناقب ۳۳۲۱ وفى الفتن ۶۵۶۷، والترمذى فى الفتن ۲۱۸۴، وابن ماجة فى الفتن ۳۹۴۵، وأحمد فى المسند رقم ۲۲۳۲۲.

۲- يريد: فتنة من يقدر على فتنته أو فتن أو فتون... الى آخره. أنتهى. مصحّحه.

۳- البقرة: ۶۳.

ص: ۶۱

فقوله: «إنّ بینک وبینها باباً مُغلقاً» معناه أنّ تلک الفتن لا تفتح، ولا یخرج منها شیء فی حیاتک.

وقوله: یُوشک- هو بضم الیاء وکسر الشین- معناه أنّه یکسر عن قرب، والرجل هو عمر، وقد جاء مبیّناً فی الصحیح.

والحاصل: أنّ الحائل بین الناس وبین الفتن هو عمر رضی الله عنه ما دام حیّاً، فإذا مات دخلت.

ومبدأ الفتن هو الذین شَرِقوا (۱) بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم وبأبی بکر وعمر رضی اللَّه عنهما؛ لعلمهم أنّ الدین لا یتمّ إلّابهما؛ لأنّ عندهم علماً بذلک، وکانوا یُظهرون الإسلام ویقرؤون شیئاً من القرآن، وکانوا یرمزون الی التعرّض بالنقص حتّی فی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم حتّی أنّ منهم من کان یؤمّ الناس ولا یقرأ فی الجهریة إلّاعبس؛ لما فیها من العتاب مع النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم لأجل ابن اُمّ مکتوم، وهمّ رضی الله عنه علی (۲) قتاله.

وتظاهر شخص بسؤال: ماالذاریات ذَرْواً؟ فقال عمر رضی الله عنه: اللّهمّ أمکنی منه، فمرّ یوماً، فقیل له: هوذا، واسم الرجل صبیغ، فشمّر عمر رضی الله عنه عن ذراعیه وأوجعه جلداً. ثمّ قال: أرحِلوه، فارکبوه علی راحلته، فقال: طیفوا به فی حیّه لیعلم الناس بذلک (۳).

وکان رضی الله عنه شدیداً فی دین اللَّه- عزّ وجلّ- لا تأخذه فی اللَّه لومة لائم، وقد ذکرت نبذة یسیرة من سیرته فی کتاب «قمع النفوس».

ولما کان أواخر القرن الأوّل اتّسع الأمر من القُصّاص.

۱- أی غَصّوا به صلی الله علیه و آله و سلم وبصاحبیه، فلم یستطیعوا أن ینفذوا ما یضمرون من الکید للإسلام فیوجودهم؛ لعلمهم... الی آخره. انتهی.

۲- «علی» موضع الباء. انتهی. مصحّحه.

۳- ونفاه بعد ذلک رضی الله عنه، ولم یرجعه حتّی صدقت توبته. انتهی. مصحّحه.

ص: ۶۲

وتظاهر شخص یقال له المغیرة بن سعید، وکان ساحراً، واشتهر بالوصّاف، وجمع بین الإلحاد والتنجیم، ویقول: إنّ ربه علی صورة رجل علی رأسه تاج، وإن أعضاءه علی عدد حروف الهجاء، ویقول ما لا ینطق به، ویقول: إنّ الأمانة فی قول اللَّه تعالی: إنّا عرضنا الأمانةَ علی السمواتِ والأرضِ والجبالِ (۱)

، هی أن لا یُمنع علیٌّ الخلافة، وقوله تعالی: وحَمَلَها الإنسانُ إنّه کانَ ظلوماً جَهولًا (۲)

هو أبو بکر رضی الله عنه، وقال عمر رضی الله عنه لأبی بکر أن یحملها ویمنع علیّاً منها، وضمن عمر أنّه یعیّن أبا بکر بشرط أن یجعل أبو بکر الخلافة له بعده، فقبل أبو بکر منه، وأقدما علی المنع متظاهرین.

ثمّ وصفهما بالظلم والجهل، فقال: وحملها أبو بکر إنّه کان ظلوماً جهولًا، وزعم أنّه نزل فی حقّ عمر رضی الله عنه کمثلِ الشیطانِ إذ قال للإنسانِ أکفرْ... (۳)

الآیة، وکان یقول بتکفیر سائر الصحابة رضی اللَّه عنهم إلّالمن ثبت مع علیّ رضی الله عنه.

وکان یقول: إنّ الانبیاء- علیهم الصلاة والسلام- لم یختلفوا فی شیء من الشرائع، وکان یقول بتحریم إنکار المنکر قبل خروج الإمام.

وقال لمحمّد الباقر: أقِرّ أنّک تعلم الغیب حتّی أجبی لک العراق، فانتهره وطرده.

وکذا فعل بجعفر الصادق- ولد محمّد الباقر- فقال: أعوذ باللَّه.

وکان یقول: انتظروا محمد بن عبداللَّه الإمام، فإنّه یرجع ومعه میکائیل وجبریل یتبعانه من الرکن والمقام.

وکان له خبائث، فلمّا کان فی السنة التاسعة عشرة والمائة ظفر به خالد بن

۱- الاحزاب: ۷۲.

۲- الاحزاب: ۷۲.

۳- الحشر: ۱۶.

ص: ۶۳

عبداللّه القسری، فأحرقه وأحرق معه خمسة من أتباعه (۱).

فهذا شأن أهل الزيغ.

واستمرّ الأمر علی ذلک، إلّاأنّهم سلکوا مسلک المکر والحیلة بإظهار الکبّ (۲) علی سماع الحدیث، ویکثرون من ذکر أحادیث المتشابه ویجمعونها ویسردونها علی الناس والعوامّ.

ثم کثرت المقالات فی زمن الإمام أحمد وکثر القُصّاص، وتوجّع هو وابن عُیینة وغیرهما منهم، وکان الإمام أحمد یقول: کنت أودّ لو کان قصّاصاً صادقاً نصوحاً طیّب السریرة.

بدعة الکرامیة والحنابلة

ونبغ فی زمنه محمّد بن کرام السجستانی، وترافق مع الإمام أحمد، وأظهر حسن الطریقة حتّی وثقه هو وابن عیینة، وسمع الحدیث الکثیر، ووقف علی التفاسیر، وأظهر التقشّف مع العفّة ولین الجانب، وکان ملبوسه جلد ضأن غیر مخیط، وعلی رأسه قَلَنسُوة بیضاء، ثم أخذ حانوتاً یبیع فیه لبناً، واتّخذ قطعة فَرْوٍ یجلس علیها، ویعظ ویذکّر ویحدّث ویتخشّع.

حتّی أخذ بقلوب العوامّ والضعفاء من الطلبة لوعظه وبزهده؛ حتّی حصر من

۱- جمع المؤلّف فی الحدیث عن المغیرة بن سعید بین هذه الخرافات وخلط فیها بین الحقّ والباطل نقلًا عن أعداء آل محمد صلی الله علیه و آله تشویهاً لسمعتهم وإبعاداً للناس عنهم وعن مآثرهم ومکارمهم ومعارفهم، فلیتروّ القاریء فی أکثر هذه المنقولات، ولیقرأها بحذَر!

۲- یرید «الإکباب». انتهی. مصحّحه.

ص: ۶۴

تبعه من النـاس فـإذا هم سـبعون الفـاً، وكـان من غلاة المشـبهة، وصار يُلقى على العوامّ الآيات المتشابهـة والأخبار التى ظواهرها يوافق عقول العوامّ وما ألفوه.

ففطن الحُذّاق من العلماء، فأخذوه ووضعوه فى السجن، فلبث فى سجن نيسابور ثمانىَ سنين.

ثمّ لم يزل أتباعه يسـعون فيه حتّى خرج من السـجن، وارتحل الى الشام، ومات بها فى زغر، ولم يعلم به إلّاخاصّة من أصحابه، فحملوه ودفنوه فى القدس الشريف، وكان اتباعه فى القدس أكثر من عشرين ألفاً على التعبّد والتقشّف، وقد زيّن لهم الشيطان ما هم عليه وهم من الهالكين وهم لا يشعرون، واستمرّ على ما هم عليه خَلق شأنهم حمل الناس على ما هم عليه إلى وقتك هذا.

قال اللَّه تعالى: أفمن زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حسناً (۱)

قال سعيد بن جبير:

هذه الآية نزلت فى أصحاب الاهواء والبدع. المعنى: أنّه ركض فى ميادين الباطل، وهو يظنّها حقّاً.

وكان ابن عبّاس- رضى اللَّه عنهما- يقول عند هذه الآية: إنّ الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها.

والبدعة هى استحسان ما يسوق إليه الهوى والشبهة مع الظنّ بكونها حقّاً.

وهؤلاء يُنزع من قلوبهم نور المعرفة، وسراج التوحيد من أسرارهم، ووُكلوا الى ما أختاروا، فضلّوا وأضلّوا ويحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم همُ الكاذبونَ (۲)

حتّى ينكشف لهم الأمر.

كما قال اللَّه تعالى: وبدا لهم من اللَّه ما لم يكونوا يحتسبونَ (۳)

قيل: عملوا

۱- فاطر: ۸.

۲- المجادلة: ۱۸.

۳- الزمر: ۴۷.

ص: ۶۵

أعمالًا ظنّوا أنّها فی كفّة الحسنات، فإذا هی فی كفة السيئات.

وهـذه الآية قيل: إنّها فی أهل البدع، يتصوّر (۱) ويعتقـد- مع تمام الورع والزهـد وتمام الأعمال الصالحة وفعل الطاعات والقُرُبات- ما عاقبته خطرة، ومن ذلک أن يعتقد فی ذات اللّه وصفاته وأفعاله ما هو خلاف الحقّ، ويعتقده على خلاف ما هو عليه؛ إمّا برأيه ومعقوله الـذی يُحاكی به الخصوم، وعليه يُعوّل وبه يغترّ، قـد زيّن له العـدّو وحلّاه له حتّى اعتقده ديناً ونعمة، وإمّا أخذاً بالتقليد مّمن هذه حاله.

وهذا التقليد كثير فی العوامّ، لا سيّما من يعضد بدعته واعتقاده بظاهر آية أو خبر، وهو على وفق الطبع والعادة.

وقد أهلک اللعين بمثل هذا خلقاً لا يُحصون حتّى إنّهم يعتقدون أنّ الحقّ فی مثال ماهم عليه، وأنّ غيرهم على ضلالة.

ومثل هؤلاء ومن اتّبعوهم إذا بدا لهم ناصية مَلَک الموت، انكشف لهم (۲)- ما اعتقدوه حقّاً- باطلًا وجهلًا، وخُتم لهم بالسوء، خرجت أرواحهم على ذلک، وتعذّر عليهم التدارک، وكذا كلّ اعتقاد باطل.

ولا يفيد زوال ذلک كثرة التعبّد وشدّة الزهد وكثرة الصوم والحجّ، وغير ذلک من أنواع الطاعات والقربات، لأنّها تبع لأمر باطل.

ولا ينجو أحد إلّابالاعتقاد الحقّ وقد قال تعالى: فماذا بعد الحقِّ إلّا الضَّلالُ (۳)

وهذه الآية صريحة فی أنّه ليس بين الحقّ والباطل واسطة.

والباطل هو الذهاب عن الحقّ، مأخوذ من ضلّ الطريق، وهو العدول

۱- أی أحدهم انتهى. مصحّحه.

۲- فی الأصل: انكشف لهم بطلان ما اعتقدوه...» وهو من سهو القلم، والصحيح حذف كلمة «بطلان». ولعلّ «بطلان» من زيادة النسّاخ. انتهى. مصحّحه.

۳- يونس: ۳۲.

ص: ۶۶

عن سمته.

والحقّ هو الصراط المستقيم الـذى فى قوله تعـالى: وأنّ هـذا صـراطى مُسـتقيماً فـاتّبعوه ولاـ تتّبعوا السُّبـلَ فَتَفَرقَ بكم عن سبيلِهِ ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون (۱)

وصف اللَّه تعالى صراطه- وهو دينه- بالاستقامهٔ، وأمر باتّباعه.

والمستقيم هو الذى لا اعوجاج فيه، فمن اتّبعه أوصله الى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال سهل: الصراط المستقيم هو الاقتداء والأتّباع وترك الهوى والابتداع.

ثمّ إنّه تعالى نهى عن اتّباع السُّبل؛ لما فيها من الحِيَـدَهٔ عن طريق الاسـتقامهٔ، فقال: ولا تَتّبِعُوا السُّبلَ فتفرَّقَ بِكم عن سبيله أى تميل بكم عن طريقه- التى ارتضى، وبه (۲) أوصى- الى سُبُل الضلالات من الأهواء، فتهلكوا.

قيل لعبـداللَّه بن مسـعود رضـى الله عنه: ما الصـراط المسـتقيم؟ فقال: «ما تركنا محمّـد صـلى الله عليه و آله و سـلم فى أدناه وطرفه فى الجنّهٔ، وعن يمينه جوادّ، وعن يسـاره جوادّ، وثَمّ رجـال يـدعون من مرّ بهم، فمن أخـذ فى تلـك الجوادّ انتهت به الى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنّهٔ، ثمّ تلا: وأنَّ هذا صراطى مُستقيماً الآيهٔ.

فأشار رضـى الله عنه بالرجال الـذين على الجوادّ الى علماء السوء وأهل البدع، وأشار بقوله: «يدعون من مرّ بهم» الى الوعّاظ الذين هم سبب هلاك من قعد إليهم.

ولهذا بالغ السـلف رضى اللَّه عنهم فى التحذير من مجالسهٔ كلّ أحد، وقالوا: إذا جلس للوعظ فتفقدّوا منه أموراً، فإن كانت فيه فأهربوا منه، وإلّا هلكتم من حيث ظننتم النجاهٔ.

۱- الانعام: ۱۵۳.

۲- راعى فى وصف الطريق ب «التى» جواز تأنيثها، وراعى فى رجوع الضمير إليها «به» جواز تذكيره، فليعلم. انتهى. مصحّحه.

ص: ۶۷

منها: إن كان مبتدعاً فاحذروه واجتنبوه، فانه على (۱) لسان الشيطان ينطق، ومن نطق على لسان الشيطان فلا شكّ ولا ريب فى إغوائه، فيهلك الإنسان من حيث يظنّ السلامة.

وأيضاً ففى المشى إليه ومجالسته تعظيم له وتوقير.

روى ابن عدى من حديث عائشة رضى اللّه عنها:(من وقّر صاحب بِدْعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام)، ورواه الطبرانى فى مُعجمه الأوسط، ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث عبداللّه بن بشر، وبهذا وغيره يجب التبرّى من أهل البدع والتباعد.

قال بعض السلف: «من بشّ فى وجه مبتدع أو صافحه فقد حلّ عُرى الإسلام عروة عروة».

وقال شخص من أهل الأهواء لأيّوب السختيانى رضى الله عنه: أكلّمك كلمة. فقال: لا واللّه ولا نصف كلمة.

وكان يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلّاازداد من اللّه بُعداً.

قال رضى الله عنه: كنّا ندخل على أيّوب السختيانى، فإذا ذكرنا له حديثاً عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يبكى حتّى نرحمه.

وكان يقول: إذا بلغنى موت أحد من أهل السُّنّة فكأنّما يسقط عضو من أعضائى.

وكان يقول: واللّه ما صدق عبد إلّاسرّه ألّا يراه أحد (۲).

وكان يونس بن عبيد يقول: احفظوا عنّى ثلاثاً متُّ أو عشتُ: لا يدخلنّ أحد

۱- «على» بمعنى عن أو الباء. انتهى. مصحّحة.

۲- أى وهو يعمل الصالحات، وهو كلام جليل، فليفكّر فيه القارىء طويلًا لعله يتحقق به. انتهى. مصحّحه.

ص: ۶۸

على سلطان يعظه أو يعلّمه، ولا يخلونّ بأمرأة شابة وإن أقرأها القرآن، ولا يمكّن سمعه من ذى هوىً، وأشدها الثالثة؛ لما فيها من الزيغ أعاذنا اللَّه من ذلك.

وكان يقول: ما يزال العبد بخير ماأبصر ما يفسد عمله.

ويونس هذا تابعى من أصحاب الحسن البصرى.

وكان أبو عبداللَّه الأصبهانى من عباد اللَّه الصالحين ومن البكّائين، ولم يكن بأصبهان أزهد منه ولا أورع منه، قال: وقفت على على بن ماشاذة، وهو يتكلّم على الناس.

فلمّا جاء الليل رأيت ربّ العزة فى النوم، فقال لى: وقفت على مبتدع وسمعت كلامه لأحرمنّك النظر فى الدنيا، فاستيقظ وعيناه مفتوحتان لا يبصر بهما شيئاً.

وقال الحميدى: سمعت الفضيل يقول: من وقرّ صاحب بدعة أورثه اللَّه عمًى قبل موته.

قيل: أراد أيضاً عمى البصيرة.

البدعة و أسبابها

وأعلم: أنّ الكلام على البدعة وأهلها فيه طول جدّاً، وقد ذكرت جملة منه فى «تنبيه السالك على مظانّ المهالك».

ومنها: أن يكون الواعظ سىء الطعمة، فإنّه إنّما ينطق بالهوى؛ لأنّ مثل هذا يوقع الناس فى الحرام، أو ربّما اعتقدوا حلّه؛ لأنّهم يقتدون به فى فعله بواسطة قوله.

ومنها: أن يكون ردىء العقل أحمق، فانه يفسد بحمقه أكثر مما يصلح، والأحمق هو الذى يضع الشىء فى غير موضعه ويعتقد أنّه يصيب.

قال عيسى عليه السلام: «أبرأت الأكمه والأبرص وأعيانى الأحمق».

ص: ۶۹

فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه للطريق فاسد، فلا يكون له رؤية صحيحة فى طريق الوصول الى الغرض، ويختار ما لاينبغى أن يختار، وهذا واجب الاجتناب.

بخلاف صاحب العقل الصحيح، فإنّه يُثمر حسن النظر وجودة التدبير وثقافة الرأى وإصابة الظنّ، والتفطن لدقائق الأدلّة والأعمال وخفايا النفس الأمّارة وغرور الشيطان.

ومنها: أن يذكر الأدّلة التى هى رجاء وتوسعة على النفوس، ويسكت عن آيات الخوف والرهبة وكذا الأخبار والآثار؛ لأنه بذلك يحلّ من القلوب الزواجر، ويسهل ارتكاب المعاصى، لا سيّما إذا علم منه ارتكاب شىء ولو كان مكروهاً، فانه يوقع الناس فى ورطة عظيمة.

قال: «إذا عبث العلماء بالمكروه عبث العوامّ بالحرام، وإذا عبث العلماء بالحرام كفر العوامّ»؛ معناه: أنّهم يعتقدون حلّه لارتكاب العلماء ذلك؛ لأنّهم القادة وعليهم المعوّل فى التحليل والتحريم.

ومنها: أن يتعرّض لآيات المتشابه وكذلك الأخبار، ويجمعها ويسردها ويكرّر الآية والخبر مراراً؛ لأنّه يوقع العامّى فيما اعتاده وألفه، فيُجرى صفات الخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرى عليه طبعه، ويزيّنه الشيطان له بغروره، لا سيّما إن كان الواعظ مّمن يُظهر زهداً وورعاً وشفقة على الناس، فكم من شخص حسن الظاهر خبيث الباطن، جميل الظاهر قبيح السرائر والضمائر.

والسلف رضى اللَّه عنهم لهم اعتناء بشدّة مجانبة هذا والتباعد عنه.

ومنها: أن يكون متهماً بالرفض وبسبّ الصحابة رضى اللَّه عنهم.

وهؤلاء نبّه مالك رضى الله عنه على أنّهم من سلالة المنافقين، وأوضح ذلك نوّر اللَّه تعالى قلبه، فقال: أرادوا أن يقدحوا فى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم بشىء فلم يجدوا مساغاً،

ص: ۷۰

فقدحوا فی الصحابهٔ؛ لأنّ القدح فی الرجل قدح فی صاحبه وخلیطه، وهؤلاء کفّار لا ستحلالهم سبّ أفضل الخلق بعد الأنبیاء علیهم أفضل الصلاهٔ والسلام.

ومنهم: أقوام یُلبسون علی الناس بقراءهٔ البخاری وغیره، وهم لا یعتقدون البخاری، ویسمّونه فیما بینهم بالفشاری، ولهم خبائث عدیدهٔ کلّ واحدهٔ کفر محقّق.

وبقی أُمور لا أطوّل بذکرها.

فمن أراد اللَّه به خیراً حماه عن مجالسهٔ هؤلاء؛ لأنّ القلب سریع الانقلاب وقبول الرخص والشبه، فإذا علقت به الشبههٔ والریبهٔ فبعید أن ترتفع عن قلبه غشاوهٔ ما وقر فیه، وأقلّ ما ینال القلب التردّد والحیرهٔ، وذلک عین الفتنهٔ ومراد الشیطان.

فّان کان الذی دخلت قلبه الشبههٔ عامیّاً، والمبتدع أدخلها علیه ب «قال اللَّه عزّ وجلّ وقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم» فبعید أن یرجع ویتقشّع عن قلبه غشاوهٔ الجهل والحیرهٔ لتحکّم الشبههٔ بالدلیل، وهذا من الهالکین إلّاأن یتدارکه اللَّه برحمته.

لأنّ عمدهٔ الناس الکتاب والسُّنّهٔ، والهلکهٔ الجهلهٔ یفهمونهما علی غیر المراد منهما علی الوجه المرضیّ.

فمن حقّ العبد الطالب للنجاهٔ حراسهٔ قلبه وسمعه عن خزایا خُزعبلات المبتدعهٔ وتزویق کلامهم، وأن لا یغترّ بتقشّفهم وکثرهٔ تعبّدهم وزهدهم ووصفهم لأنفسهم، فإنّ ذلک من أقوی حبائلهم التی یصطادون بها، وبها تتشرّب القلوب لبدعتهم، لا سیّما من قلبه مشغوف بحبّ الدنیا، إذا رأی زاهداً فیها، مع إکبابه علی الکتاب والسُّنّهٔ، مع الورع والزهد والعفّهٔ والقناعهٔ، فلا شکّ ولا ریب أنّه یرغب فیه غایهٔ الرغبهٔ، ویمیل إلیه غایهٔ المیل، ولا یصدّه عنه صادّ، کما هو مشاهد من العوامّ ومحبّتهم ورغبتهم لمن هو بهذه المثابهٔ.

ص: ۷۱

فتنبّه لذلك، فقد أوضحتُ طريق السلامة والتباعد من مظانّ الهلكة.

فكم من شخص قصدُهُ صالحٌ، قد هلك بمثل هؤلاء إخوان الشياطين وهو لا يشعر.

وعليك بالاقتداء بالأطباء؛ أعنى أطباء القلوب، وهم الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم العالمون بأسباب الحياة الأُخروية، ثمّ أتباعهم الذين أخذوا عنهم، وشاهدوا منهم مالم يشاهده غيرهم. شعر:

من كان يرغب فى النجاة فما لَهُ غير اتّباع المصطفى فيما بدا

فاتْبعْ كتاب اللَّه والسنن التى صحّت فذاك إذا اتّبعتَ هو الهدى

فالدينُ ما قال النبيُّ وصحبُهُ فإذا اقتديت بهم فنِعْم المُقتدى

فسبحان الحليم الودود، الممهل الكريم العميم الجود، العالم بخفايا الضمائر ودبيب النملة على الصخرة فى الليالى السود. ويرى جريان الماء فى العود.

القادر فكلّ ما سواه بقدرته موجود. نزّه نفسه بنفسه لعجز خلقه عن ذلك، فتعالى عن الأشكال والأمثال والجهات والحدود، صفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل، فمن عطّل وقع فى الجحود، وتنزيهه عن النقائص والأشباه محقّق ومعلوم، والتشبيه مذهب السامرة واليهود. وكفّ الكيف مشلولة بل مقطوعة، وباب التشبيه مردوم ومسدود، فمن فتحه هجمت عليه نار الوعيد، فأهلكته كما هلك فرعون ونمرود، وأصحاب الأخدود وعاد وثمود، فنسأل اللَّه العافية من الفتن ومن أسبابها ومن النار ذات الوقود، ونتوسّل إليك بسيّد الأوّلين والآخرين محمّد، كما توسّل به أبو البشر فقبلته، فهو أحمد المحمود، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، فهو أعظم الوسائل، ولا يخيب من توسّل به ولو كان من أهل الجحود.

ص: ۷۲

التوسل بالنبی فی القرآن

قال اللَّه تعالی: وكانوا أی اليهود مِنْ قَبْلُ أی بعث محمّد صلى الله عليه و آله و سلم يستفتحون أی يستنصرون على الذين كفروا (۱) وهم مشركو العرب، كانوا يقولون إذا حَزَبَهُمْ أمر أو دهمهم عدوّ: «اللّهمّ انصرنا بجاه النبیّ المبعوث آخر الزمان، الذی نجد صفته فی التوراة»، فكانوا يُنصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم كغطفان وغيرها من المشركين: «قد أطلّ زمانُ نبیٍّ يخرج بتصديق ما قلناه، فنقتلكم معه قتل عاد وثمود».

فانظر- أرشدك اللَّه- الى قدره ودُنوّ منزلته عند ربّه، كيف قبل عزّ وجلّ التوسّل به من اليهود، مع علمه سبحانه بأنهم يكفرون به، ولا يوقّرونه ولا يعظّمونه، بل يؤذونه، ولا يتّبعون النور الذی أُنزل معه؟

فمن مَنع التوسّل به فقد نادى على نفسه، وأعلم الناس بأنّه أسوأ حالًا من اليهود.

شعر:

أنت الملاذُ لنا وأنت المرتجى وبك اللياذُ وأنت ملجأُ مَن لَجا

يا سيّد الكونينِ يامَن قد سما معراجُه فوق السماءِ وعرَّجا

يا سيّد الثقلين والحكم الهدى والمقصد الأسنى لأبواب الرجا

يا سيّداً مَن أمَّ بابَ مقامه ألفاهُ خير مقام سُؤْلٍ يُرتجى

يا سيّداً ما أمَّهُ من ضامهُ ريبُ الزمان بخَطبه إلّانجا

يا سيّداً جعل الإلهُ وجودَهُ للعالمين المرتجى والمُلتجا

يا خاتم الرُّسُل الكرامِ ومن بِهِ ربُّ البريّةِ كلَّ همٍّ فرَّجا

غيره:

وكن مستجيراً بالذی نالَ رفعةً الى عزّها ذلَّ الملوكُ الأكاسرُ

نبیٌّ لهُ جاهٌ عريض ومَنصَبٌ عظيمٌ له تُعزى العُلى والمفاخرُ

جليلٌ جميلٌ راحمٌ مُتعطِّفٌ فصيحٌ مليحٌ كاملُ الحُسنِ باهرُ

ألا يا رسولَ اللَّه يا غايةَ المُنى لقد نلتَ فخراً ما لأدناه آخرُ

أيا دُرةَ الأنباء ياجوهر الورى هنيئاً لنفسٍ فی هواك تُتاجرُ

لقد ربحتْ فی بيعها وتنعّمت وقد سَعِدت يادرّها والجواهرُ

حبيبی رسولَ اللَّه كُنْ لِیَ شافعاً أغِثْنی أجِرْنی يومَ تُبلى السرائرُ

بجاهك آمالُ الضعيف تعلّقتْ إذا نُصب الميزانُ والعقلُ طائرُ

فكن شافعی عند الإله فإنّه حليمٌ كريمٌ غافرُ الذنبِ ساترُ

مضى العُمرُ فی لهوٍ وزهوٍ وغفلةٍ وإنّی عن الفعل الحميد لقاصرُ

۱- البقرة: ۸۹.

ص: ۷۳

ص: ۷۴

فیاربِّ دارِکْنا بعفوٍ ورحمةٍ فأنت جیملُ العفو للکسرِ جابرُ

وخُذْ بنواصینا وطهِّرْ قُلوبَنا ومُنَّ بعفوٍ منکَ فالعفوُ غامرُ

وصلِّ علی البدرِ الذی من جبینِهِ بَدا الشمسُ والأقمارُ والنجمُ زاهرُ

نجزتُ هـذه الأـحرف المبارکـات علی قارئهـا ومسـتمعیها، المتأسّـِین بأهل الحقّ، التابعین للصـفوة من أولی المعجزات، المنزِّهین لربّ العالمین، والمعظّمین لسیّد الأوّلین والآخرین، وسائر الأنبیاء والمرسلین، وسـرج هـذه الأُمّـة من بعـدهم، کالصـدّیقین وسائر الصـحابة والتابعین لهم بأحسان الی یوم الدین.

ص: ۷۵

ابن تیمیهٔ الحرانی و آراؤه

وکنتُ قد عزمت علی أن أقتصر علی ذلک؛ لأنّ فی بعض ما ذکرته وقایهٔ من المقت والمهالک.

ثمّ قیل لی وکُرِّر علیّ: إنّ أهل التشبیه والتجسیم والمزدرین بسیّد الأولین والآخرین- تبعاًلسلالهٔ القردهٔوالخنازیر- لهم وجودوفیهم کثرهٔ، وقدأخذوا بعقول کثیر من الناس؛ لما یزیِّنون لهم من الأطراء علی قدوتهم، ویُزخرِفون لهم بالأقوال والأفعال، ویموِّهون لهم بإظهار التنسّک، والإقبال علی کثرهٔ الصلاهٔ والصوم والحجّ والتلاوهٔ، وغیر ذلک ممّا یحسن فی قلوب کثیر من الرجال، لا سیما العوامّ المائلین مع کلّ ریح أتباع الدجّال، فانقادوا لهم بسبب ذلک، وأوقعوهم فی اسر المهالک.

فرأیت بسبب هذه المکاید والخزعبلات أن أتعرض لسوء عقیدتهم؛ قمعاً لهذا الزائغ عن طریق أهل الحقّ، وهم الأئمهٔ الأربعهٔ المقتدی بهم والمعوّل علیهم فی جمیع الأعصار والأقطار؛ لأنّهم النجوم الذین بهم یُهتدی.

وقد بالغ جمع من الأخیار من المتعبّدین وغیرهم من العلماء، کأهل مکّهٔ وغیرها، أن أذکر ما وقع لهذا الرجل من الحِیَدهٔ عن طریق هذه الأئمهٔ ولو کان أحرفاً یسیرهٔ؛ إما بالتصریح أو بالتلویح مشیرهٔ، فاستخرتُ اللّه- عزّ وجلّ- فی

ص: ۷۶

ذلک مدّهٔ مدیدهٔ.

ثم قلت: لاـ أبـا لـک، وتأملت ما حصل وحـدث بسـببه من الإغواء والمهالک، فلم یسـعنی عنـد ذلک أن أکتم ما علمت، وإلّا ألجمتُ بلجام من نار ومقت.

وها أنا أذکر الرجل، وأُشیر باسمه الذی شاع وذاع، واتّسع به الباع، وسار بل طار فی أهل القری والأمصار.

وأذکر بعض ما أنطوی باطنه الخبیث علیه، وما عوّل فی الإفساد بالتصریح أو الاشارهٔ إلیه.

ولو ذکرت کثیراً مّما ذکره ودوّنه فی کتبه المختصرات، لطال جدّاً، فضلًا عن المبسوطات.

وله مصنّفات أُخر لاـ یمکن أن یطّلع علیهـا إلّامن تحقّق أنّه علی عقیـدته الخبیثـهٔ، ولو عصـر هو واتباعه بالعاصـرات؛ لما فیها من الزیغ والقبائح النحسات.

قـال بعض العلمـاء من الحنابلـهٔ فی الجـامع الأُموی فی ملأ من الناس: لو اطّلع الحصـنی علی ما اطّلعنا علیه من کلامه، لأخرجه من قبره وأحرقه وأکّد هؤلاء أن أتعرّض لبعض ما وقفت علیه.

وما أفتی به مخالفاً لجمیع المذاهب، وما خطِیء فیه وما انتقد علیه.

وأذکر بعض ما اتّفق له من المجالس والمناظرات، وما جاءت به المراسیم العالیات.

وأتعرض لبعض ما سلکه من المکاید التی ظنّ بسببها أنّه تخلص من ضرب السیاط والحبوس وغیر ذلک من الإهانات، وهیهات.

انتساب ابن تیمیهٔ إلی مذهب أحمد بن حنبل

فأوّل شیء سلکه من المکر والخدیعهٔ أن انتمی الی مذهب الإمام أحمد،

ص: ۷۷

وشـرع يطلب العلم ويتعبّد، فمالت إليه قلوب المشايخ، فشـرعوا في إكرامه والتوسـعة عليه، فأظهر التعفّف فزادوه في الرغبة فيه والوقوع عليه، ثمّ شرع ينظر في كلام العلماء، ويعلّق في مسودّاته حتّى ظنّ أنّه صار له قوّة في التصنيف والمناظرة، وأخذ يدوّن ويذكر أن جاءه استفتاء من بلـد كذا، وليس لذلك حقيقة، فيكتب عليها صورة الجواب، ويذكر مالا ينتقد عليه، وفي بعضـها ما يمكن أن ينتقد، إلّاأنّه يشير إليه على وجه التلبيس؛ بحيث لا ـ يقف على مراده إلّاحـاذق عـالم متفنّن، فـإذا نـاظر أمكنه أن يقطع من نـاظره إلّاذلـك المتفنّن الفطن.

خداعه لعوام الناس

ثمّ شَـرَع يتلقى الناس بالأُنس وبسط الوجه ولين الكلام، ويذكر أشياء تحلو للنفوس، لاسيّما الألفاظ العذبة، مع اشتمالها على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، فطلبوا منه أن يُذكّر الناس ففعل، فطار ذكره بالعلم والتعبّد والتعفف، ففزع الناس إليه بالأسئلة، فكان إذا جاءه أحد يسأله عن مسألة، قال له: عاودني فيها، فإذا جاءه قال: هذه مسألة مشكلة، ولكن لك عندي مخرج أقوله لك بشرط، فإني أتقلدها في عنقي، فيقول: أنـا أوفي لـك، فيقول: أن تكتم عليّ، فيعطيه العهود والمواثيق على ذلـك، فيفتيه بما فيه فرجه؛ حتّى صار له بـذلك أتباع كثيرة يقومون بنصرته أن لو عرض له عارض.

ثمّ إنّه علم أنّ ذلـك لا ـ يخلّصه، فكان إذا كان في بعض المجالس، قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، قـد انفتقت فتوق من أنواع المفاسـد يبعد ارتتاقها، ولو كان لي حكم لكنت أجعل فلاناً وزيراً، وفلاناً محتسـباً، وفلاناً دويداراً، وفلاناً أمير البلد، فيسـمع أولئك وفي قلوبهم من تلك المناصب، فكانوا يقومون في نصرته.

ص: ۷۸

محایلته للعلماء

ثمّ اعلم: أنّ مثـل هؤلاء قـد لا یقـدرون علی مقاومـة العلماء إذا قاموا فی نحره، فجعل له مَخْلصاً منهم؛ بأن ینظر الی من الأمر إلیه فی ذلک المجلس، فیقول له: ما عقیدة إمامک، فإذا قال: کذا وکذا، قال: أشهد أنّها حقّ، وأنا مخطیء، واشهدوا أنی علی عقیدة إمامک، وهـذا کـان سـبب عـدم إراقـة دمه، فـإذا انفضّ المجلس أشـاع أتباعه أنّ الحقّ فی جهته ومعه، وأنّه قطع الجمیع؛ ألا ترون کیف خرج سالماً حتّی حصل بسبب ذلک افتتان خلق کثیر، لا سیّما من العوامّ.

فلمّا تکرر ذلک منه علموا أنّه إنّما یفعل ذلک خدیعة ومکراً، فکانوا مع قوله ذلک یسجنونه، ولم یزل ینتقل من سجن الی سجن حتّی أهلکه اللَّه- عزّ وجلّ- فی سجن الزندقة والکفر.

التزام ابن تیمیة للتقیة

ومن قواعـده المقرّرة عنـده، وجری علیهـا أتبـاعه، التوقّی بکـلّ ممکن حقّـاً کـان أو باطلًا ولو بالأیمان الفاجرة؛ سواء کانت باللَّه- عزّ وجلّ- أو بغیره.

وأمّا الحلف بالطلاق فإنه لا یوقعه، ألبتّـة، ولا یعتبره سواء کان بالتصـریح أو الکنایـة أو التعلیق أو التنجیز، وهـذا مـذهب فرقـة الشـیعة، فإنهم لا یرونه شـیئاً، وإشاعته هو وأتباعه أنّ الطلاق الثلاث واحـدة خُزَعْبَلات ومکر، وإلّا فهو لا یوقع طلاقاً علی حالف به؛ ولو أتی به فی الیوم مائة مرة علی أیّ وجه؛ سواء کان حثاً أو منعاً أو تحقیق خبر، فاعرف ذلک، وأنّ مسألـة الثلاث إنّما یذکرونها تستّراً وخدیعة وقد وقفتُ علی مصنّف له فی ذلک (۱)، وکان عند شخص شریف زینبی،

۱- هـذا شـیء مدهش جدّاً، ولو أنّ الذی یحکیه [غیر] الإمام الحصـنی المعروف بشـحّه علی دینه، ما وجد ما یحکیه الی القلوب سبیلًا. انتهی. مصحّحه.

ص: ۷۹

وکان یردّ الزوجهٔ الی زوجها فی کلّ واقعهٔ بخمسهٔ دراهم، وإنّما أطلعنی علیه لأنّه ظنّ أنّی منهم، فقلت له: یاهذا أتترک قول الإمام أحمد وقول بقیّهٔ الأئمهٔ بقول ابن تیمیّهٔ؟!

فقال: أشهد علیّ أنّی تُبتُ.

وظهر لی أنّه کذب فی ذلک، ولکن جری علی قاعدتهم فی التستّر والتقیّهٔ، فنسأل اللَّه العافیهٔ من المخادعهٔ، فإنّها صفهٔ أهل الدَّرک الأسفل (۱).

تزویر ابن تیمیهٔ فی المصنفات والمصادر

ثمّ اعلم قبل الخوض فی ذکر بعض ما وقع منه وانتقد علیه: أنّه یذکر فی بعض مصنّفاته کلام رجل من أهل الحقّ، ویدسّ فی غضونه شیئاً من معتقده الفاسد، فیجری علیه الغبّی بمعرفهٔ کلام أهل الحقّ فیهلک، وقد هلک بسبب ذلک خَلق کثیر.

وأعمق من ذلک أنه یذکر: أنّ ذلک الرجل ذکر ذلک فی الکتاب الفلانی، ولیس لذلک الکتاب حقیقهٔ، وإنّما قصده بذلک انفضاض المجلس، ویؤکّد قوله بأن یقول:

ما یبعد أنّ هذا الکتاب عند فلان، ویسمّی شخصاً بعید المسافهٔ، کلّ ذلک خدیعهٔ ومکر وتلبیس لأجل خلاص نفسه، ولا یحیق المکر السیء إلّابأهله.

ولهذا لم یزل فیهم التعازیر والضرب بالسیاط والحبوس وقطع الأعناق، مع تکتمهم ما یعتقدونه والمبالغهٔ فی التکتم؛ حتّی أنّهم لا ینطقون بشیء من عقائدهم الخبیثهٔ إلّافی الأماکن الخفیهٔ، بعد التحرّز وغلق الأبواب والنطق بما هم علیه بالمخافتهٔ، ویقولون: إنّ للحیطان آذاناً.

۱- لا یتردّد عاقل فی أن ما سیحکیه الإمام الحصنی بعدُ فعلُ دجاجلهٔ لا علماء، فلیقرأه العاقل، ولیعجب کیف یکون من هذه بلایاهم أئمهٔ فی دین اللَّه؟! انتهی. مصحّحه.

ص: ۸۰

اساليب التيمية فى خداع المسلمين

ومـن جملـة مكرهـم وتحيّلهـم: أنّ الكـبير منهم المشـار إليه فى هـذه الخبـائث، له أتبـاع يُظهرون له العلم والعظمـة والتعبّـد والتعفّـف؛ يخـدعون بـذلك أربـاب الأموال، لاسـيما الغرباء، فيـدفع ذلك الغريب أوغيره الى ذلك الشيخ شـيئاً، فيأبى ويُظهر التعفّف، فيزداد ذلك الرجل حرصاً على الـدفع، فلا يأخـذ منه إلّابعـد جهـد، فيأخـذها ذلك الخبيث، ولا عليه من أطّلاع اللَّه تعالى على خبث طوّيته، ويدفع بعضها الى بعض اتباعه والى غيرهم، ويتمتّع هو وخواصّه بالباقى، ولهم يد وقدرة على ذلك.

ومن جملة مكرهم من هذا النوع أن يكسو عشرة مساكين قمصاناً أو غيرها، ثمّ يقولون: انظروا هذا الرجل كيف يجيئه الفتوح فيؤثركم بها وغيركم، ويترك نفسه وعياله وأصدقاءه، وهكذا كان السلف، ويكون قد أخذ أضعاف ما دفع، وكثير من الناس فى غفلة من هذا.

ولولا أنّ ذلك من جملة النصيحة لماذكرته ولما تعرضت له، وكان ما فى نفسى شاغلًا عن ذلك، إلّاأنّه كما قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهمـا- بسـبب نجـدة الحرورى المبتـدع: «لولاـ أن أكتم علمـاً لمـا كتبت إليه»؛ يعنى جواب مـا كتب إليه بـأن يعلّمه مسائـل، والقصـة مشهورة حتّى فى صحيح مسلم (۱).

وقال صلى الله عليه و آله و سلم:(من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بِلجام من نار) رواه غير واحد- من حديث أبى هريرة رضى الله عنه- منهم أبو داود، وكذا الترمذى، وحسنّه، والحاكم وصحّحه (۲).

۱- صحيح مسلم: فى الجهاد والسير رقم ۳۳۷۷، وانظر مسند أحمد رقم ۱۸۶۶، وسنن أبى داود فى الجهاد رقم ۲۳۵۱.

۲- سنن ابى داود فى العلم رقم ۳۱۷۳، وكذا الترمذى برقم ۲۵۷۳، والحاكم فى المستدرك ۱/ ۱۰۱.

ص: ۸۱

ثمّ إن كان المال المدفوع زكاة فلا تبرأ الذمّة بدفعه إليهم؛ لأنّهم ليسوا من أهلها، فليتنّبه لذلك فإنّه قد يخفى مع ظهوره، وقد تشكّك فى ذلك وتلاعب الشيطان به، فلنأخذه بجانب الاحتياط منه، فإنّه طريق السلامة. واللَّه أعلم.

وأعلم أني لو أردت أن أذكر ما هم عليه من التلبيسات والخديعة والمكر، لكان لي فى ذلك مزيد وكثرة وفيما ذكرته أُنموذج يتبّه بعضه على غيره، لا ـ سيّما لمن له أدنى فراسة وحسن نظر بموارد الشرع ومصادره، التى أشار إليها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وبعضها صرّح به تصريحاً ظاهراً، لا يخفى إلّاعلى أكمه لا يعرف القمر.

وفى الصحيحين من حديث عليّ رضى الله عنه، قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

(سيخرج قوم فى آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنّ فى قتلهم أجراً لمن قتلهم عند اللَّه يوم القيامة).

وفى صحيح مسلم من حديث على رضى الله عنه، قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم يقول:(يخرج قوم من أمّتى يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء، وليس صلاتكم الى صلاتهم بشيء، ولا ـ صيامكم الى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنّه لهم، وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة) (۱).

وفى الصحيحين (۲) من حديث ابن عمر رضى الله عنه، قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم يقول وهو على المنبر:(ألا إنّ الفتنة هنا- ويشير الى المشرق- من حيث يطلع قرن الشيطان)،

۱- صحيح مسلم فى الزكام رقم ۱۷۷۳.

۲- البخارى فى بدء الخلق رقم ۳۰۳۷، والمناقب رقم ۳۲۴۹، ومسلم فى الفتن وأشراط الساعةرقم ۵۱۶۷- ۵۱۷۲، والترمذى فى الفتن ۳۱۹۴، ومسند أحمد رقم ۴۴۵۰.

ص: ۸۲

وفى رواية:(إنّ الفتنة ههنا) ثلاثاً، وفى رواية:(خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم من بيت عائشة رضى اللَّه عنها، فقال: رأس الكفر ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان) (۱).

هذا المبتدع من حرّان الشرق؛ بلدة لا تزال يخرج منها أهل البدع، كجعد وغيره.

وفى سنن أبى داود من حديث أبى سعيد الخُدرى وأنس- رضى اللَّه عنهما- أنّه صلى الله عليه و آله و سلم قال:(سيكون فى أمّتى اختلاف، وفرقة يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، هم شرّ الخلق. طُوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يَدْعُو الى كتاب اللَّه، وليسوا منه فى شيء، من قتلهم كان أولى باللَّه منهم. قالوا: يا رسول اللَّه وما سيماهم؟ قال: التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأنيموهم) (۲) أى اقتلوهم، والتسبيد هو الحلق واستئصال الشعر، وقيل: ترك التدهّن وغسل الرأس وغير ذلك.

والأحاديث فى ذلك كثيرة، وفى واحد كفاية لمن أراد اللَّه- عزّ وجلّ- به الرشد والهداية.

فقد أوضحهم سيّد الناصحين صلى الله عليه و آله و سلم- باعتبار أوصافهم وأماكنهم- إيضاحاً جليّاً لا خفاء فيه لا جهالة، فلا يتوقّف فى معرفتهم بعد ذلك إلّامن أراد اللَّه تعالى إضلاله.

التحذير من عقائد التيمية أهل الزيغ

وإذا تمهّد لك هذا أيّها الراغب فى فكاك نفسك من رِبْقة عقائد أهل الزيغ

۱- صحيح البخارى ۴/ ۱۷۹ و ۶/ ۱۱۵، ۸/ ۵۲، ومسند أحمد- مسند المكثرين- رقم ۴۵۲۱، والنسائى ۷/ ۱۱۸، وصحيح مسلم ۳/ ۱۱۴، والبيهقى ۸/ ۱۷۰، والترمذى ۳/ ۳۲۶ عن عبداللَّه

۲- سنن أبى داود كتاب السنة رقم ۴۱۳۷.

ص: ۸۳

الضالين المضلين، والاقتداء بأهل السلامة فى الدين.

فاعلم: أنّى نظرت فى كلام هذا الخبيث الذى فى قلبه مرض الزيغ، المتتبع ما تشابه فى الكتاب والسُّنّة ابتغاء الفتنة، وتبعه على ذلك خَلْق من العوامّ وغيرهم ممّن أراد اللَّه- عزّ وجلّ- إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به (۱)، ولا لى أنامل تُطاوعنى على رسمه وتسطيره.

لما فيه من تكذيب ربّ العالمين فى تنزيهه لنفسه فى كتابه المبين.

وكذا الازدراء بأصفيائه المنتجبين وخلفائهم الراشدين وأتباعهم الموّفقين.

فعدلت عن ذلك الى ذكر ما ذكره الأئمة المتّقون، وما اتّفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدين، فمنه ما دُوّن فى المصنّفات، ومنه ما جاءت به المراسيم العليات، وأجمع عليه علماء عصره مّمن يرجع إليهم فى الأمور الملمّات والقضايا المهمات، وتضمّنه الفتاوى الزكيات من دنس أهل الجهالات، ولم يختلف عليه أحد، كما اشتهر بالقراءة والمناداة على رؤوس الأشهاد فى المجامع الجامعة؛ حتّى شاع وذاع، واتّسع به الباع حتّى فى الفوات.

المرسوم السلطانى بشأن ابن تيمية

فمن ذلك نسخة المرسوم الشريف السلطانى (۲)، ناصر الدنيا والدين محمّد بن قلاوون- رحمه اللَّه تعالى- وقُرىء على منبر جامع دمشق، نهار الجمعة سنة خمس وسبعمائة. صورته (۳):

۱- ليتأمل هذا جدّاً، فإنّه عجيب. انتهى. مصحّحه.

۲- لفظ «ناصر الدين» صفة لموصوف محذوف قطعاً ليستقيم الكلام، والتقدير الصادر من السلطان ناصر الدين... الى آخره. أنتهى. مصحّحه.

۳- لاحظ الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى ص ۱۴۵.

ص: ۸۴

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّهالذى تنزّه عن الشبيه والنظير، وتعالى عن المِثْل، فقال تعالى: لَيسَ كمثلِهِ شىء وهو السميعُ البصيرُ (١)

.

نحمده على ما ألهمنا من العمل بالسُّنّة والكتاب، ورفع فى أيّامنا أسباب الشكّ والأرتياب.

ونشهد أن لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له؛ شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير، وينزّه خالقه عن التحيّز فى جهة؛ لقوله تعالى: وهو معكمْ أينما كنتُمْ واللَّهُ بما تعملونَ بصيرٌ (٢)

.

ونشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله الذى نهج سبيل النجاة لمن سلك سبيل مرضاته، وأمر بالتفكّر فى الآيات، ونهى عن التفكر فى ذاته، صلى الله عليه و آله و سلم وأصحابه الذين علا بهم منارُ الإيمان وارتفع، وشيّد اللَّه بهم من قواعد الدين الحنيفى ما شرع، وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحقّ ومال الى البدع.

وبعدُ:

فإنّ القواعد الشرعية؛ وقواعد الإسلام المرعيّة، وأركان الإيمان العلمية، ومذاهب الدين المرضيّة، هى الأساس الذى يُبنى عليه، والموئل الذى يرجع كلّ أحد إليه، والطريق التى من سلكها فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً: ولهذا يجب أن تنعقد أحكامها: ويؤكد دوامها: وتصان عقائد هذه الأُمة عن الاختلاف: وتُزان بالرحمة والعطف والائتلاف: وتُخمد ثوائر البدع، ويُفرّق من فرقها ما اجتمع.

وكان ابن تيميّة فى هذه المدّة قد بسط لسان قلمه، ومدّ بجهله عنان كلمه،

١- الشورى: ١١.

٢- الحديد: ۴.

ص: ۸۵

وتحدّث بمسائل الذات والصفات، ونصّ فی کلامه الفاسد علی أمور منکرات، وتکلّم فیما سکت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما اجتنبه الأئمة الأعلام الصالحون، وأتی فی ذلک بما أنکره أئمة الإسلام، وانعقد علی خلافه إجماع العلماء والحکّام، وشهر من فتاویه ما استخفّ به عقول العوامّ، وخالف فی ذلک فقهاء عصره، وأعلام علماء شامه ومصره، وبثّ به رسائله الی کلّ مکان، وسمّی فتاویه بأسماء ما أنزل اللّه بها من سلطان.

ولمّا اتّصل بنا ذلک، وما سلک به هو ومریدوه، من هذه المسالک الخبیثة وأظهروه، من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنّه استخفّ قومه فأطاعوه، حتی اتّصل بنا أنّهم صرّحوا فی حقّ اللّه سبحانه بالحرف والصوت والتشبیه والتجسیم.

فقمنا فی نصرة اللّه، مشفقین من هذا النبأ العظیم، وأنکرنا هذه البدعة، وعزنا (۱) أن یشیع عمّن تضّمنه ممالکه هذه السمعة، وکرهنا ما فاه به المبطلون، وتلونا قوله تعالی: سبحانَ ربِّک ربِّ العزةِ عمّا یصفونَ (۲)

.

فإنّه– سبحانه وتعالی– تنزّه فی ذاته وصفاته عن العدیل والنظیر، لا تدرکه الأبصارُ وهو یدرکُ الأبصارَ وهو اللَّطیفُ الخبیرُ (۳)

.

فتقدمت مراسیمنا باستدعاء ابن تیمیّة المذکور الی أبوابنا، حین ما سارت فتاویه الباطلة فی شامنا ومصرنا، وصرّح فیها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلّاوتلا قوله تعالی: لقد جئت شیئاً نُکراً (۴)

.

۱– هذه الفقرة محرّفة، ومعناها لیس بظاهر، والذی یظهر أنّ أصلها: «وعُذنا» أن یشیع عمّن تضمّه ممالکه هذه السمعة» یستعیذ السلطان باللّه أن یشیع عنه هو تلک السمعة؛ لأنّ الرجل فی مملکته. انتهی. مصحّحه.

۲– الصافات: ۱۸۰.

۳– الأنعام: ۱۰۳.

۴– الکهف: ۷۴.

ص: ۸۶

ولمّا وصل إلینا الجمع أولوا العقد والحلّ، وذوو التحقیق والنقل، وحضـر قضاة الإسـلام، وحکّام الأنام، وعلماء المسـلمین، وأئمة الدنیا والدین، وعُقد له مجلس شرعیّ فی ملأ من الأئمة وجمع، ومن له درایة فی مجال النظر ودفع.

فثبت عندهم جمیع ما نُسب إلیه، بقول من یُعتمد ویُعوّل علیه، وبمقتضی خطّ قلمه الدالّ علی مُنْکَرِ معتقده (۱).

وانفصل ذلک الجمع وهم لعقیدته الخبیثة منکرون، وآخذوه بما شهد به قلمه تالین: ستُکتَبُ شهادَتُهم ویُسألوُنَ (۲)

.

وبلغنا أنّه قد استُتِیبَ مراراً فیما تقدّم، وأخّره الشرع الشریف لما تعرّض لذلک وأقدم، ثمّ عاد بعد منعه، ولم یدخل ذلک فی سمعه.

ولمّا ثبت ذلک فی مجلس الحاکم المالکی، حکم الشرع الشریف أن یُسجن هذا المذکور، ویُمنع من التصرّف والظهور.

ویکتب مرسومنا هذا بأن لا یسـلک أحد ما سلکه المذکور من هذه المسالک، وینهی عن التشبیه فی اعتقاد مثل ذلک، أو یعود له فی هذا القول متّبعاً، أو لهذه الألفاظ مسـتمعاً، أو یسـری فی مسـراه، أو یفوه بجهة العلّو بما فاه، أو یتحدّث أحد بحرف أو صوت، أو یفوه بذلک الی الموت، أو ینطق بتجسیم، أو یحید عن الطریق المستقیم، أو یخرج عن رأی الأئمة، أو ینفرد به عن علماء الاُمّة، أو یحیّز اللَّه سبحانه وتعالی فی جهة، أو یتعرّض الی حیث وکیف، فلیس لمعتقد هذا إلّاالسیف (۳).

فلیقف کلّ واحد عند هذا الحدّ، وللَّه الأمر من قبل ومن بعد.

ولیلزم کلّ واحد من الحنابلة بالرجوع عن کلّ ما أنکره الأئمّة من هذه العقیدة،

۱- لیحفظ هذا، ثمّ لیحفظه المغررون. انتهی. مصحّحه.

۲- الزخرف: ۱۹.

۳- لینظر هذا کذلک. انتهی. مصحّحه.

ص: ۸۷

والرجوع عن الشبهات الذائعة الشديدة، ولزوم ما أمر اللّه تعالى به، والتمسک بمسالک أهل الإیمان الحمیدة، فإنّه من خرج عن أمر اللّه فقد ضلّ سواء السبیل.

ومثل هذا لیس له إلّاالتنکیل، والسجن الطویل مستقرّه ومقیله وبئس المقیل.

وقد رسمنا بأن یُنادی فی دمشق المحروسة والبلاد الشامیة، وتلک الجهات الدنیّة والقصیّة: بالنهی الشدید، والتخویف والتهدید، لمن اتّبع ابن تیمیّة فی هذا الأمر الذی أوضحناه.

ومن تابعه ترکناه فی مثل مکانه وأحللناه، ووضعناه من عیون الأمّة کما وضعناه، ومن أصرّ علی الامتناع، وأبی إلّاالدفاع، أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم، وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم، وأن لا یکون لهم فی بلادنا حکم ولا ولایة، ولا شهادة ولا إمامة، بل ولا مرتبة ولا إقامة.

فإنّا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، وأبطلنا عقیدته الخبیثة التی أضلّ بها کثیراً من العباد أو کاد، بل کم أضلّ بها من خلق، وعاثوا بها فی الأرض الفساد.

ولتثبت المحاضر الشرعیة علی الحنابلة بالرجوع عن ذلک، وتسیّر المحاضر بعد إثباتها علی قضاء المالکیة. وقد أعذرنا وحذّرنا، وأنصفنا حیث أنذرنا.

ولیُقرأ مرسومنا الشریف علی المنابر؛ لیکون أبلغ واعظ وزاجر، لکلّ بادٍ وحاضر.

والاعتماد علی الخطّ الشریف أعلاه.

وکُتب ثامن (۱) عشرین شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة (۲).

۱- کذا بالأصل، والمعنی ظاهر، ولعلّ الأصل فی ثامن وعشرین من شهر... الخ، وکذا ما یأتی یقال فیه ذلک. انتهی. مصحّحه.

۲- إنّ فی ذلک لعبرة لأولی الأبصار. انتهی. مصحّحه.

ص: ۸۸

تاريخ ابن تيميهٔ كما نقله المؤرخ ابن شاكر

وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب «عيون التواريخ»، وهو ابن شاكر، ويعرف بصلاح الدين الكتبى وبالتريكى، وكان من أتباع ابن تيميّهٔ، وضُرب الضرب البليغ؛ لكونه قال لمؤذّن فى مأذنهٔ العروس وقت السحر: أشركت، حين قال:

ألا يارسول اللَّه أنتَ وسيلتى الى اللَّه فى غفران ذنبى وزلّتى

وأرادوا ضرب عنقه، ثمّ جدّدوا إسلامه.

وإنّما أذكر ما قاله لأنه أبلغ فى حقّ ابن تيميّهٔ فى إقامهٔ الحجّهٔ عليه، مع أنّه أهمل أشياء من خبثه ولؤمه، لما فيها من المبالغهٔ فى إهانهٔ قدوته. والعجب أنّ ابن تيميّهٔ ذكرها، وهو سكت عنها:

كلام ابن تيميهٔ فى الاستواء و وثوب الناس عليه

فمن ذلك ما أخبر به ابو الحسن على الدمشقى- فى صحن الجامع الأموى- عن أبيه، قال: كنّا جلوساً فى مجلس ابن تيميّهٔ، فذكر ووعظ وتعرّض لآيات الاستواء، ثمّ قال:(واستوى اللَّه على عرشه كاستوائى هذا).

قال: فوثب الناس عليه وثبهٔ واحدهٔ، وأنزلوه من الكرسى، وبادروا إليه ضرباً باللكم والنعال وغير ذلك؛ حتّى أوصلوه الى بعض الحكّام.

واجتمع فى ذلك المجلس العلماء، فشَرَع يناظرهم، فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟

فقال: قوله تعالى: الرحمنُ على العرشِ استوى (۱)

.

فضحكوا منه، وعرفوا أنّه جاهل لا يجرى على قواعد العلم.

۱- طه: ۵.

ص: ۸۹

ثمّ نقلوه لیتحققوا أمره. فقالوا: ما تقول فی قوله تعالی: فأینما تُولُّوا فثمّ وجه اللَّه؟

فأجاب بأجوبة تحقّقوا أنّه من الجهلة علی التحقیق، وأنّه لا یدری ما یقول.

وکان قد غرّه بنفسه ثناء العوامّ علیه، وکذا الجامدون (۱) من الفقهاء، العارون عن العلوم التی بها یجتمع شمل الأدّلة علی الوجه المرضی.

وقد رأیت فی فتاویه ما یتعلّق بمسألة الاستواء، وقد أطنب فیها، وذکر أموراً کلّها تلبیسات وتجرّیات خارجة عن قواعد أهل الحقّ، والناظر فیها إذا لم یکن ذا علوم وفطنة وحُسن رویّة، ظنّ أنّها علی منوال مرضیّ.

ومن جملة ذلک بعد تقریره وتطویله: «إنّ اللَّه معنا حقیقة، وهو فوق العرش حقیقة، کما جمع اللَّه بینهما فی قوله تعالی: هو الذی خلق السمواتِ والأرضَ فی ستةِ أیّام ثمّ استوی علی العرشِ یعلم ما یَلجُ فی الأرضِ وما یخرج منها وما ینزل من السماء وما یعرج فیها وهو معکم أینما کنتم واللَّه بما تعملون بصیرٌ، فأخبر: أنّه فوق العرشِ یعلم کلّ شیء، وهو معنا أینما کنّا».

هذه عبارته بحروفها.

فتأمّل- أرشدک اللَّه تعالی- هذا التهافت، وهذه الجرأة بالکذب علی اللَّه تعالی: أنه- سبحانه وتعالی- أخبر عن نفسه أنّه فوق العرش، ومحتجاً بلفظ الاستواء الذی هو موضوع بالاشتراک، ومن قبیل المجمل.

وهذا وغیره مما هو کثیر فی کلامه یتحقّق به جهله وفساد تصوّره وبلادته.

وکان بعضهم یسمّیه: حاطب لیل، وبعضهم یسمّیه: الهدار المهذار.

وکان الإمام العلامة شیخ الاسلام فی زمانه أبو الحسن علی بن إسماعیل

۱- کذا بالأصل، ولیس بخفیّ أنّ لفظ «الجامدین» حقّها الجامدون، وکذا العارون. انتهی. مصحّحة.

ص: ۹۰

القونوی یصرّح بأنّه من الجهلة، بحیث لا یعقل ما یقول.

ویخبر أنه أخذ مسألة التفرقة (۱) عن شیخه، الذی تلقّاها عن أفراخ السامرة والیهود الذین أظهروا التشرّف بالاسلام.

وهو (۲) من أعظم الناس عداوة للنبی صلی الله علیه و آله و سلم، وقَتَلَ علیٌّ رضی اللّه عنه واحداً منهم، تکلّم فی مجلسه کلمة فیها ازد راء بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم.

وقد وقفت علی المسألة؛ أعنی مسألة التفرقة التی أثارها الیهود؛ لیزدروه بها، وبحثوا فیها علی قواعد مأخوذة من الاشتقاق، وکانوا یقطعون بها الضعفاء من العلماء، فتصدّی لهم الجهابذة من العلماء، وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل والاستعمال الشرعی والعرفی، وأبادوهم بالضرب بالسیاط وضرب الأعناق، ولم یبقَ منهم إلّاالضعفاء فی العلم، ودامت فیهم مسألة التفرقة حتّی تلقّاها ابن تیمیّة عن شیخه، وکنت أظنّ أنّه ابتکرها.

واتفق الحُذّاق فی زمانه من جمیع المذاهب علی سوء فهمه وکثرة خطئه، وعدم إدراکه للمآخذ الدقیقة وتصوّرها، عرفوا ذلک منه بالمفاوضة فی مجالس العلم.

تاریخ ابن تیمیة الأسود

ولنرجع الی ما ذکره ابن شاکر فی تاریخه؛ ذکره فی الجزء العشرین.

قال: وفی سنة خمس وسبعمائة فی ثامن رجب، عُقد مجلس بالقضاة والفقهاء بحضرة نائب السلطنة بالقصر الأبلق، فسُئل ابن تیمیّة عن عقیدته؟ فأملی شیئاً منها.

۱- ظاهر أنّها الفوقیة، وکذا ما یأتی بعد کالسیاق أو التفرقة حیاة الرسول ومماته. أنتهی. مصحّحه.

۲- ظاهر أنّ اللفظ هم لا هو. أنتهی. مصحّحه.

ص: ٩١

ثمّ أُحضرت عقيدته الواسطيّة، وقرئت فى المجلس، ووقعت بحوث كثيرة، وبقيت مواضع أُخّرت الى مجلس ثانٍ، ثمّ اجتمعوا يوم الجمعة ثانى عشر رجب.

وحضر المجلس صفى الدين الهندى، وبحثوا، ثمّ اتفقوا على أنّ كمال الدين بن الزملكانى يحاقق ابن تيميّة، ورضوا كلّهم بذلك، فأفحم كمالُ الدين ابنَ تيميّة، وخاف ابن تيميّة على نفسه، فأشهد على نفسه الحاضرين أنّه شافعىّ المذهب، ويعتقد ما يعتقده الإمام الشافعى، فرضوا منه بذلك وانصرفوا.

ثمّ إنّ أصحاب ابن تيميّة أظهروا أنّ الحقّ ظهر مع شيخهم، وأنّ الحقّ معه، فأُحضروا الى مجلس القاضى جلال الدين القزوينى، وأحضروا ابن تيميّة وصُفع ورُسم بتعزيره، فشفّع فيه، وكذلك فعل الحنفى باثنين من أصحاب ابن تيميّة.

ثمّ قال: ولمّا كان سَلخُ رجب جمعوا القضاة والفقهاء، وعُقد مجلس بالميدان أيضاً، وحضر نائب السلطنة أيضاً، وتباحثوا فى أمر العقيدة، وسلك معهم المسلك الأوّل.

فلمّا كان بعد أيّام ورد مرسوم السلطان؛ صحبة بريدىّ من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى وبابن تيميّة، وفى الكتاب: تعرّفونا ما وقع فى سنة ثمانٍ وتسعين فى عقيدة ابن تيميّة.

فطلبوا الناس وسألوهم عمّا جرى لابن تيميّة فى أيّام نُقل عنه فيها كلام قاله، وأحضروا للقاضى جلال الدين القزوينى العقيدة التى كانت أُحضرت فى زمن قاضى القضاة إمام الدين، وتحدّثوا مع ملك الأمراء فى أن يكاتب فى هذا الأمر، فأجاب، فلمّا كان ثانى يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر، وأخبر أنّ الطلب على ابن تيميّة كثير، وأنّ القاضى المالكى قائم فى قضيّته قياماً عظيماً، وأخبر بأشياء كثيرة من الحنابلة وقعت فى الديار المصرية، وأنّ بعضهم صُفع، فلمّا سمع ملك الأمراء بذلك انحلّت عزائمه عن المكاتبة، وسيّر شمس الدين بن محمّد

ص: ٩٢

المهمندار الى ابن تيميّة، وقال له:

قد رسم مولانا ملك الأمراء بأن تسافر غداً، وكذلك راح الى قاضى القضاة، فشرعوا فى التجهيز، وسافر صحبة ابن تيميّة أخواه عبداللّه وعبدالرحمن، وسافر معهم جماعة من أصحاب ابن تيميّة.

وفى سابع شوّال وصل البريدى الى دمشق، وأخبر بوصولهم الى الديار المصريّة، وأنّه عقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء: فتكلّم الشيخ شمس الدين عدنان الشافعى وادّعى على ابن تيميّة فى أمر العقيدة، فذكر منها فصولًا.

فشرع ابن تيميّة فحمد اللّه تعالى وأثنى عليه، وتكلّم بما يقتضى الوعظ، فقيل له: ياشيخ إنّ الذى تقوله نحن نعرفه، وما لنا حاجة الى وعظك، وقد أدُّعى عليك بدعوى شرعية فأجب.

فأراد ابن تيميّة أن يعيد التحميد، فلم يمكّنوه من ذلك، بل قيل له: أجب.

فتوقّف، وكُرِّر عليه القول مراراً، فلم يزدهم على ذلك شيئاً، وطال الأمر، فعند ذلك حكم القاضى المالكى بحبسه وحبسِ أخويه معه.

فحبسوه فى بُرج من أبراج القلعة فتردّد إليه جماعة من الأمراء، فسمع القاضى بذلك، فاجتمع بالأمراء، وقال: يجب عليه التضييق إذا لم يقتل، وإلّا فقد وجب قتله، وثبت كفره.

فنقلوه الى الجُبّ بقلعة الجبل، ونقلوا أخويه معه بإهانة.

وفى سادس عشر ذى القعدة وصل من الديار المصرية قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى، وجلس يوم الجمعة فى الشباك الكمالى، وحضروا القرّاء والمنشدون، وأُنشدت التهانى، وكان وصل معه كتب ولم يعرضها على نائب السلطنة، فلمّا كان بعد أيّام عرضها عليه، فرسم ملك الأمراء بقراءتها والعمل بما

ص: ۹۳

فيها أمثالًا للمراسيم السلطانية.

وكانوا قد بيّتوا على الحنابلة كلّهم بأن يحضروا الى مقصورة الخطابة بالجامع الأُموى بعد الصلاة، وحضر القضاة كلّهم بالمقصورة، وحضر معهم الأمير الكبير ركن الدين بيبرس العلانى، وأحضروا تقليد القضاة نجم الدين بن صصرى، الّذى حضر معه من مصر باستمراره على قضاء القضاة وقضاء العسكر ونظر الأوقاف وزيادة المعلوم، وقرىء الكتاب الذى وصل على يديه، وفيه ما يتعلّق بمخالفة ابن تيمية عقيدته وإلزام الناس بذلك، خصوصاً الحنابلة، والوعيد الشديد عليهم، والعزل من المناصب، والحبس وأخذ المال والروح؛ لخروجهم بهذه العقيدة عن الملّة المحمّدية.

ونسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدّم، وتولّى قراءته شمس الدين محمّد بن شهاب الدين الموقع، وبلغ عنه الناس ابن صبح المؤذّن، وقُرىء بعد تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة، وأحضروا بعد القراءة الحنابلة مُهانين بين يدى القاضى جمال الدين المالكى بحضور باقى القضاة، واعترفوا أنّهم يعتقدون ما يعتقده محمّد ابن إدريس الشافعى رضى الله عنه.

وفى سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة، ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى فى مسألة الطلاق الذى يُفتى بها ابن تيميّة.

وأمر بعقد مجلس له بدار السعادة، وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء، وحضر ابن تيميّة وسألوه عن فتاويه فى مسألة الطلاق، وكونهم نهوه وما انتهى، ولا قبل مرسوم السلطان، ولا حكم الحكام بمنعه، فأنكر.

فحضر خمسة نفر، فذكروا عنه: أنه أفتاهم بعد ذلك، فانكر وصمّم على الإنكار، فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنّه أفتى لحّاماً اسمه قمر مسلمانى فى بستان ابن منجا.

ص: ۹۴

فقیل لابن تیمیّة: اکتب بخطک: أنک لا تُفتی بها ولا بغیرها، فکتب بخطّه: أنه لا یُفتی بها وما کتب بغیرها.

فقال القاضی نجم الدین بن صصری: حکمتُ بحبسک واعتقالک.

فقال له: حکمک باطل؛ لأنّک عدوّی، فلم یُقبل منه، وأخذوه واعتقلوه فی قلعة دمشق.

وفی سنة إحدی وعشرین وسبعمائة یوم عاشوراء، أُفرج عن ابن تیمیّة من حبسه بقلعة دمشق، وکانت مدّة اعتقاله خمسة أشهر ونصفاً.

وفی سنة اثنتین وعشرین وسبعمائة فی‌السادس عشر فی شعبان، قدم بریدی من الدیار المصریة، ومعه مرسوم شریف باعتقال ابن تیمیّة.

فاعتقل فی قلعة دمشق، وکان السبب فی اعتقاله وحبسه أنّه قال: لا تُشدّ الرحال إلّاالی ثلاثة مساجد، وإنّ زیارة قبور الأنبیاء لا تُشد إلیها الرواحل کغیرها، کقبر إبراهیم الخلیل وقبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم.

ثمّ إنّ الشامیّین کتبوا فُتیا أیضاً فی ابن تیمیّة؛ لکونه أوّل من أحدث هذه المسألة، التی لا تصدر إلّامّمن فی قلبه ضغینة لسیّد الأولین والآخرین.

فکتب علیها الإمام العلّامة برهان الدین الفزاریّ نحو أربعین سطراً بأشیاء، وآخر القول أنّه أفتی بتکفیره.

ووافقه علی ذلک الشیخ شهاب الدین بن جهبل الشافعی، وکتب تحت خطّه:

کذلک المالکی.

وکذلک کتب غیرهم.

ووقع الأتّفاق علی تضلیله بذلک وتبدیعه وزندقته.

ثمّ أراد النائب أن یعقد لهم مجلساً، ویجمع العلماء والقضاة، فرأی أنّ الأمر یتّسع فیه الکلام، ولابدّ من إعلام السلطان بما وقع، فأخذ الفتوی وجعلها فی

ص: ۹۵

مطالعه وسيّرها.

فجمع السلطان لها القضاة، فلمّا قرئت عليهم أخذها قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة، وكتب عليها: القائل بهذه المقالة ضالّ مبتدع. ووافقه على ذلك الحنفى والحنبلى، فصار كفره مُجمعاً عليه (۱).

ثمّ كُتب كتاب الى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة فى أمره.

وفى يوم الجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان الى نائب البلد، وأمره أن يُقرأ على السدّة فى يوم الجمعة فقُرىء، وكان قارىء الكتاب بدر الدين ابن الأعزازى الموقع والمبلغ ابن النجيبى المؤذّن.

ومضمون الكتاب بعد البسملة: أدام اللّه تعالى نعمه، ونوضّح لعلمه الكريم ورود مكاتبته التى جهّزها بسبب ابن تيميّة، فوقفنا عليها، وعلمنا مضمونها فى أمر المذكور وإقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه؛ حسب ما حكم به القضاة وأكابر العلماء.

وعقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة، ورسمنا بقراءة الفتوى على القضاة والعلماء.

فذكروا جميعاً من غير خلف: أنّ الذى أفتى به ابن تيميّة فى ذلك خطأ مردود عليه، وحكموا بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً.

وكتبوا خطوطهم بين‌ايدينا على ظاهر الفتوى المجهّزة بنسخة ما كتبه ابن تيميّة.

وقد جهّزنا الى الجناب العالى طىّ هذه المكاتبة، فيقف على حكم ما كتب به القضاة الأربعة.

ويتقدم اعتقال المذكور فى قلعة دمشق، ويُمنع من الفتوى مطلقاً، ويُمنع الناس من الاجتماع به والتردّد اليه تضييقاً عليه، لجرأته على هذه الفتوى.

۱- لينظر هذا المغرورون. انتهى. مصحّحه.

ص: ۹۶

فيحيط به علمك الكريم، ويكون اعتماده بحسب ما حكم به الأئمة الأربعة، وأفتى به العلماء فى السجن للمذكور وطول سجنه.

فإنّه فى كلّ وقت يُحدث للناس شيئاً منكراً، وزندقة يشغل خواطر الناس بها، ويُفسد على العوامّ عقولهم الضعيفة وعقلياتهم وعقائدهم.

فيمنع من ذلك، وتسدّ الذريعة منه.

فليكن عمله على هذا الحكم، ويتقدّم أمره به.

وإذا اعتمد الجناب الرفيع العالى هذا الاعتماد الذى رسمنا به فى أمر ابن تيمية، فيتقدم منع من سلك مسالكه، أو يُفتى بهذه الفتاوى، أو يعمل بها فى أمر الطلاق، أو هذه القضايا المستحدثة.

وإذا اطّلع على أحد عمل بذلك، أو أفتى به، فيعتبر حاله، فإن كان من مشايخ العلماء، فيعزّر تعزير مثله.

وإن كان من الشبّان الذين يقصدون الظهور- كما يقصده ابن تيميّة- فيؤدّبهم ويردعهم ردعاً بليغاً، ويعتمد فى أمرهم ما يُحسم به موادّ أمثاله؛ لتستقيم أحوال الناس، وتمشى على السداد، ولا يعود أحد يتجاسر على الإفتاء بما يخالف الإجماع، ويبتدع فى دين اللّه- عزّ وجلّ- من أنواع الاقتراح ما لم يسبقه أحد إليه.

فالجناب العالى يعتمد هذه الأمور التى عرّفناه إيّاها الآن وسدّ الذرائع فيها.

وقد عجّلنا بهذا الكتاب، وبقيّة فصول مكاتبته تصل بعد هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

وكتب فى سابع عشرين رجب سنة ستٍّ وعشرين وسبعمائة.

فتوى الأئمة الأربعة بكفر ابن تيمية

صورة الفتوى من المنقول من خطّ القضاة الأربعة بالقاهرة على ظاهر الفتوى:

ص: ۹۷

الحمد للّه، هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله: إنّ زيارة الأنبياء والصالحين بدعة.

وماذكره‌من‌نحوذلک، وأنّه لایرخّص بالسفر لزیارةالأنبیاء، باطل‌مردود علیه.

وقد نقل جماعة من العلماء: أنّ زیارة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فضیلة وسُنّة مجمع علیها.

وهـذا المفتی المـذکور ینبغی أن یُزجر عن مثل هذه الفتاوی الباطلة عند الأئمة والعلماء، ویُمنع من الفتاوی الغریبة، ویحبس (۱) إذا لم یمتنع من ذلک، ویشهر أمره؛ لیحتفظ الناس من الاقتداء به.

وکتبه محمّد بن إبراهیم بن سعد اللَّه بن جماعة الشافعی.

وکذلک یقول محمّد بن الجریری الأنصاری الحنفی: لکن یُحبس الآن جزماً مطلقاً.

وکذلک یقول محمّد بن أبی بکر المالکی ویبالغ فی زجره حسبما تندفع به المفسدة وغیرها من المفاسد.

وکذلک یقول أحمد بن عمر المقدسی الحنبلی.

ووجدوا صورة فتوی أخری یقطع فیها: بأنّ زیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم وقبور الأنبیاء معصیة بالإجماع مقطوع بها.

وهـذه الفتوی هی التی وقف علیها الحکّام، وشـهد بـذلک القاضـی جلال الدین محمّد بن عبدالرحمن القزوینی، فلمّا رأوا خطّه علیها تحققوا فتواه، فغاروا لرسول صـلی الله علیه و آله و سـلم غیرة عظیمة، وللمسـلمین الذین ندبوا الی زیارته، وللزائرین من أقطار الأرض، واتّفقوا علی تبدیعه وتضلیله وزیغه، وأهانوه ووضعوه فی السجن.

وذکر الشـیخ الإمام العلّامـة شـمس الدین الذهبی بعض محنته، وأنّ بعضـها کان فی سـنة خمس وسـبعمائة، وکان سؤالهم عن عقیدته وعمّا ذکر فی الواسطیّة، وطلب

۱- ظاهر أنّ اللفظ «ویحبس» لا یجلس. أنتهی. مصحّحه.

ص: ۹۸

وصوّرت عليه دعوى المالكى، فسجن هو وأخواه بضعهٔ عشر شهراً، ثمّ أُخرج، ثمّ حبس فى حبس الحاكم.

وكان مّما أُدّعى عليه بمصر أن قال: الرحمن استوى على العرش حقيقهٔ، وأنّه تكلّم بحرف وصوت.

ثمّ نودى بدمشق وغيرها من كان على عقيدهٔ ابن تيميّهٔ حلّ ماله ودمه (۱).

حكم ابن حيان على ابن تيميهٔ بالتشبيه

وذكر أبو حيّان النحوى الأندلسى فى تفسيره المسمّى ب «النهر» فى قوله تعالى: وَسِعَ كُرسيُّهُ السَّمواتِ والأرضَ ما صورته: وقد قرأت فى كتاب لأحمد ابن تيميّهٔ هذا الذىعاصرناه، وهو بخطّه سمّاه «كتاب العرش»: إنّ اللَّه يجلس على الكرسىّ، وقد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

تحيّل عليه التاج محمّد بن على بن عبدالحقّ، وكان من تحيّله عليه أنّه أظهر أنّه داعيهٔ له حتّى أخذ منه الكتاب، وقرأنا ذلك فيه.

ورأيت فى بعض فتاويه: أنّ الكرسى موضع القدمين.

وفى كتابه المسمّى ب «التدمريهٔ» ما هذا لفظه بحروفه- بعد أن قرّر ما يتعلق بالصفات المتعلّقهٔ بالخالق والمخلوق-: ثمّ من المعلوم أنّ الربّ لمّا وصف نفسه: بأنّه حىّ عليم قادر، لم يقل المسلمون: إنّ ظاهر هذا غير مراد؛ لأنّ المفهوم ذلك فى حقّه مثل مفهومه فى حقّنا.

فكذلك لمّا وصف نفسه: أنّه خلق آدم بيديه، لم يوجب ذلك أنّ ظاهره غير مراد؛ لأنّ مفهوم ذلك فى حقه مثل مفهومه فى حقّنا.

هذه عبارته بحروفها، وهى صريحهٔ فى التشبيه المساوى، كما أنّه جعل الاستواء

۱- ليتأمل العاقل هذا، ثمّ ليتأمّله. انتهى. مصحّحه.

ص: ۹۹

على العرش مثل قوله تعالى: لتستووا على ظهوره تعالى اللّه وتقدّس عن ذلك.

وقال فى كلام حديث النزول المشهور: أنّ اللّه ينزل الى سماء الدنيا الى مَرْجة خضراء، وفى رجليه نعلان من ذهب. هذه عبارته الزائغة الركيكة.

وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة فى التشبيه؛ حريصاً على ظاهرها واعتقادها، وإبطال ما نزّه اللّه تعالى به نفسه فى أشرف كتبه، وأمر به عموماً وخصوصاً، وذكره إخباراً عن الملأ الأعلى والكون العُلوى والسُّفلى، ومن تأمّل القرآن وجده مشحوناً بذلك.

وهذا الخبيث لا يعرُج على ما فيه التنزيه، وإنّما يتتبع المتشابه، ويُمعن الكلام فيه، وذلك من أقوى الأدلّة على أنّه من أعظم الزائغين.

ومن له أدنى بصيرة لا يتوقّف فيما قلته؛ إذ القرائن لها اعتبار فى الكتاب والسُّنّة، وتفيد القطع، وتفيد ترتّب الأحكام الشرعية، لا سيّما فى محلّ الشُّبه.

قال بعض السلف رضى اللّه عنهم: الإعراض عن الحقّ والتسخّط له علامة الركون الى الباطل، وطريق الحقّ دقيق وبعيد، والصبر معه شديد، والعدوّ لا يزال عنه يحيد، وأثقال الحقّ لا يحملها إلّامطايا الحقّ.

وقال بعض السلف: داعى الحقّ داعى رشد، ليس للشيطان فيه يد، ولا للنفس فيه نصيب. وداعى الباطل من نزغات الشيطان وهوى النفس، ومتّبعها هالك لا محالة؛ لأنّه عاصٍ فى صورة طائع، ومُبعِد فى صورة مُقرِّب.

وصدق ونصح رضى الله عنه، فقد هلك بسبب ذلك خلق لا يُحصون عدّاً، ولا يمكن ضبطهم حدّاً.

قال العلماء: إنّ وسوسة التشبيه من إبليس، فالردّ عليه وابطال وسوسته أن يقول فى نفسه: كلّ ما تصوّر فى صدرى فالربّ بخلافه، فإنّه لا يتصوّر فى صدرى إلّا مخلوق له كيفيّة ومِثْل، والربّ- سبحانه وتعالى- لا مِثْل له ولا كيفية، فما مثل فى

ص: ۱۰۰

صدری فهو غیر ربی، فهو- سبحانه وتعالی- موحّد الذات والصفات.

التوحید والعدل فی کلام الأئمة

وسُئل علی رضی الله عنه عن التوحید والعدل، فقال:(التوحید أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه).

وقال یحیی بن معاذ: التوحید فی کلمة واحدة ما تصوّر فی الأوهام فهو بخلافه.

وقال علی رضی الله عنه:(لیس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود).

وقال رضی الله عنه:(أوّل الدین معرفته، وکمالُ معرفته التصدیق به، وکمالُ التصدیق به توحیده، وکمالُ توحیده الإخلاص له، وکمالُ الإخلاص له نفی الصفات الُمحدَثة عنه، فمن وصفه بحادث فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه (۱)، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن أشار إلیه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه) (۲).

قال المحقّقون: من اعتقد فی اللَّه- سبحانه وتعالی- ما یلیق بطبعه فهو مشبّه؛ لأنه- سبحانه وتعالی- منزّه عمّا یصفه به أو یتخیّله؛ لأنّ ذلک من صفات الحَدَث.

وسُئل- أعنی علیّاً رضی الله عنه: بمَ عرفت ربّک؟ فقال:(عرفتُه بما عرّف به نفسه؛ لا یُدرک بالحوّاس، ولا یُقاسُ بالناس، قریب فی بُعده، بعید فی قُربه، فوق کلّ شیء ولا یقال تحته شیء وأمام کلّ شیء، ولا یقال أمامه شیء، وهو فی کلّ شیء لا کشیء فی شیء فسبحان من هو هکذا ولیس هکذا غیره) (۳).

وقال أیضاً رضی الله عنه:(عرّفنا اللَّه- سبحانه وتعالی- نفسه بلا کیف، وبعث سیّدنا

۱- قوله: «ثنّاه» هی ثنّاه. انتهی. مصحّحه.

۲- نهج البلاغة، الخطبة الأولی ص ۳۹ تحقیق الدکتور صبحی الصالح.

۳- لاحظ هذا النص فی کتب الشیعة الإمامیة: المحاسن للبرقی ص ۲۳۹، والکافی للکلینی ۱/ ۸۵، والتوحید للصدوق ص ۲۸۵.

ص: ۱۰۱

محمّداً صلى الله عليه و آله و سلم بتبليغ القرآن، وبيان المفصّلات للإسلام والإيمان، وإثبات الحجّة وتقويم الناس على منهج الإخلاص، فصدّقته بما جاء به).

وقال الإمام الحافظ محمّد بن على الترمذى صاحب التصانيف المشهورة: من جهل أوصاف العبوديّة فهو بنعت الربوبيّة أجهل.

قال جعفر [الصادق] فى قوله تعالى: قل هو اللَّهُ أحدٌ:(هو الذى لم يُعطِ لأحد من معرفته غير الأسم والصفة).

وقيل: هو الذى لا يدرك حقيقة نعوته وصفاته إلّاهو.

وقوله تعالى اللَّه الصمد قيل هو الذى أيست العقول من أن تطّلع عليه، أو تُدرك ما وصف به نفسه ونسب إليه.

وقيل: هو السيّد الذى لا نهاية لسؤدده.

وقيل: هو المصمود إليه فى الحوائج.

وقيل: هو الذى لا يستغنى عنه شىء من الأشياء.

وقال ابن عبّاس رضى الله عنه: معناه الذى لا جوف له. وقيل غير ذلك.

وقوله: لم يلد ولم يُولد نفى الجنسية والبعضية.

وقوله: ولم يكنْ له كفواً أحدٌ نفى الشريك والنظير، فهو الذى لا نظير له فى ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.

فتعالى أن تُدركه الأوهام والعقول والعلوم، بل هو كما وصف نفسه، والكيفية عن وصفه غير معقولة ولا موهومة، كيف يكون ذلك؟ وهو قديم الذات والصفات، والتخيّل إنّما يكون فى المحدثات.

وسئل الإمام العلّامة أبو الحسن الدينورى عن الاستدلال بالشاهد على الغائب، فقال: كيف يستدلّ بصفات من يشاهد ويعاين وذو مثل على من لا يُشاهد ولا يُعاين فى الدنيا ولا نظير له ولا مثل؟!

ص: ۱۰۲

هذا من جهل الجاهلين بالآيات التى قلبوا بها حقائق الأمور، فجعلوا الآيات صفات، ومعنى الآيات العلامات.

وهو كلام إمام محقّق، وقد زلّ خلق كثير بمثل ذلك.

فسبحان الأحدى الذات، العليّ الصفات، المنزّه عن الآلات، المقدّس عن الكيفيات، المنزّه عن مشابهة المخلوقات، تعالى عمّا يقوله من الإلحاقات.

كيف يُقاس القادر بالمقدورات والصانع بالمصنوعات؟! وهى من آياته البيّنات الظاهرات.

رفع السموات، وبسط الأرض وثبتها بالأوتاد الراسيات، وأتحفها بالمُزن الماطرات، فزهت بأنواع النباتات المختلفات، كذلك يحيى الموتى. إعلموا أنّ اللَّه يُحيى الأرض بعد موتِها قد بيَّنّا لكم الآياتِ.

قال أرباب البصائر وذوو التحقيقات: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم من جهة المعنى، ولا لصفته صفة من جميع الوجوه إلّامن جهة موافقة اللفظ.

وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة، كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذى ليس كمثله شيء صفة حديثة.

وأنّ التكرار من حدوث الصفة، جلّ ربّنا أن يحدث له صفة أو أسم؛ إذ لم يزل بجميع صفاته واحداً، ولا يزال كذلك.

وكلّ أمور التوحيد والتفريد خرجت (۱) من هذه الكلمة ليس كمثله شيء.

لأنّه ما عبّر عن الحقيقة بشيء إلّاوالعلّة مصحوبة والعبارة منقوضة؛ لأن الحقّ لا ينبعث (۲) أقداره إلّاعلى إقراره؛ لأنّ كلّ ناعت مشرف على المنعوت،

۱- أى ظهرت للمؤمنين وفهموها من هذه الكلمة. انتهى. مصحّحه.

۲- قوله: «لا ينبعث» هو لا نعت... الى آخره. بدليل قوله بعد ذلك: «لأنّ كلّ ناعت...» الى آخره. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۰۳

وجلّ ربّنا أن يشرف عليه مخلوق، احتجب عن خلقه بخلقه، ثمّ عرّفهم صنعه بصنعه، وساقهم الى أمره بأمره، فلا يمكن الأوهام أن تناله، ولا العقول أن تختاله (۱)، ولا الأبصار أن تمثله، ولا الأسماع أن تشتمله (۲)، ولا الامانى أن تمتنحه.

هو الذى لا قبل له، ولا مفرّ (۳) عنه ولا معدل، ولا غاية وراءه ولا مثل. ليس له أمد ولا نهاية ولا غاية ولا ميقات ولا انقضاء، ولا يستره حجاب، ولا يقلّه مكان ولا يحويه هواء، ولا يحتاطه (۴) فضاء، ولا يتضمّنه خلاء ليس كمثلهِ شيء وهو السميعُ البصيرُ.

قال ابن عبّاس رضى اللّه عنهما: معنى الآية ليس له نظير.

وقيل: الكاف صلة؛ أعنى زائدة، فالمعنى: ليس مثله شيء.

وقيل: المثل صلة، فالمعنى ليس كهو شيء، فأدخل المثل للتأكيد.

فمن الجهل البيّن أن يطلب العبد درك ما لا يُدرك، وأن يتصوّر ما لا يُتصوَّر.

كيف؟

وقد نزّه نفسه بنفسه عن أن يدرك بالحوّاس، أو يُتصور بالعقل الحادث والقياس، فلا يدركه العقل الصحيح من جهة التمثيل، ويدركه من جهة الدليل.

فكلّ ما يتوهّمه العقل فهو جسم، وله (۵) نهاية فى جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه، مع ما يلزمه من الحدود والمساحة، ومن الطول والعرض، وغير ذلك من صفات الحدث، تعالى اللّه عن ذلك.

۱- يريد: أن تتخيّله. انتهى. مصحّحه.

۲- لعلّها تشمله؛ أى هو ليس من جنس الأصوات فتسمعه الاسماع. انتهى. مصحّحه.

۳- لعلّها مفرّ. أنتهى. مصحّحه.

۴- لعلّ الأصل «لا يحيط به...» الى آخره. أنتهى مصحّحه. عبارة المصنّف صحيحة لمجىء «احتاط» بمعنى «أحاط».

۵- قوله: ولا نهاية صوابه وله نهاية الى آخره. كما هو ظاهر. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۰۴

فهو الکـائن قبل الزمان والمکان المحـدَثین، وهو الأوّل قبل سوابق العـدم، الأبـدی بعـد لواحق القـدم، لیس کـذاته ذات، ولا کصـفاته صفات، جلّت الذات القدیمهٔ الواجبهٔ الوجود- التی لم تُسبق بعدم (۱) أن تکون کالصفهٔ الحدیثهٔ.

قال تعالی: أو لا یَذکرُ الإنسان أنّا خلقناهُ مِن قبلُ ولم یکُ شیئاً.

فهـو- سبحانه وتعـالی- احتجب عن العقول والأفهـام کمـا احتجب عن الإـدراک والأبصـار، فعجز الخلق عن الـدَّرک، والـدَّرک عن الاستنباط، وانتهی المخلوق الی مثله، وأسنده الطلب الی شکله.

قال الصدّیق رضی الله عنه: «العجز عن درْک الإدراک إدراک».

وقال رضی الله عنه: «سبحان من لم یجعل للخلق سبیلًا الی معرفته إلّابالعجز عن معرفته».

فهو سبحانه علیم قدیر سمیع بصیر، لا یوصف علمه وقدرته وسمعه وبصره بما یوصف به المخلوق ولا حقیقته.

کذلک عُلّوه واستواؤه؛ إذ الصفهٔ تتبع الموصوف.

فإذا کانت حقیقهٔ الموصوف لیست من جنس حقائق سائر الموصوفات، فکذلک حقیقهٔ صفاته.

فأجهل الناس وأحمقهم وأجحدهم للحقّ، مَن یُشبّه من لیس کمثله شیء بالمخلوق المصنوع فی شیء من صفاته وأفعاله وذاته تعالی اللَّه عمّا یقولونَ علوّاً کبیراً.

لأنّه- سبحانه وتعالی- وصفاته مصون عن الظنون الکاذبهٔ والأوهام السخیفهٔ.

وقیل فی قوله تعالی: وما قدروا اللَّه حقَّ قدره أی ما وصفوه حقّ وصفه.

۱- قوله: «بقدم» هو بعدم، کما هو واضح. انتهی مصحّحه.

ص: ۱۰۵

وقیل: ما عظّموه حقّ عظمته.

وقیل: ما عرفوه حقّ معرفته، وقیل غیر ذلک.

قال بعض أهل المعانی والقلوب: لا یعرف قدر الحقّ إلّاالحقّ، وکیف یقدر أحد قدره وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط والرسل والأولیاء والصدّیقون؟

ثم قال: ومعرفة قدره أن لا تلتفت عنه الی غیره، ولا تغفل عن ذکره، ولا تفتر عن طاعته؛ إذ ذاک (۱) عرفت قدر ظاهر قدره، وأمّا حقیقة قدره فلا یقدر قدرها إلّا هو.

وصدق؛ لأنّ الخلق تعجز عن تنزیهه بما یستحقّه من کمال صفاته وعظم ذاته.

فی التسبیح

ولهذا نزّه سبحانه نفسه بقوله: سبحان ربِّک ربِّ العزّة عمّا یصفون، وفی هذا غایة الحثّ علی کثرة التنزیه ودوامه، مع أمره لأکمل خلقه فی قوله تعالی:

سبّح اسم ربّک الأعلی، مع غیر ذلک مّما فی أشرف الکتب مّما أذکر بعضه.

فقوله: سبّح اسم ربِّک أی قل: سبحان ربّی الأعلی، والمعنی: نزّه اسم ربّک واذکره وأنت له معظّم.

وقیل: نزّه عن المعانی المفضِیة الی نقصه.

وقیل: نزّه اسمه عن الکذب إذا أقسمت به.

وقیل: لفظ اسم زائد، وفی الکلام حذف، المعنی: نزّه مسمّی ربّک الذی خلق فسوّی، أی مخلوقه؛ بأن خلقه مستویاً بلا تفاوت فیه وفی أعضائه، وغیر ذلک من مخلوقاته، فإنّ مَنْ هذا من بعض مصنوعاته یستحقّ التنزیه، فکیف بمخلوقات اخر یعجز الخلق عن إدراکها لعظمها؟! وکلّها علی اختلاف أجناسها وأنواعها، کلٌّ

۱- أی لو کنت کما ذکر قد الخ أنتهی. مصحّحه.

ص: ۱۰۶

یسبّحه بلغته، وبما یلیق بجلاله.

قال تعالی: یسبّحُ لهُ السمواتُ السَّبعُ والأرضُ ومن فیهنَّ وإن من شیء إلّا یسبَّحُ بحمده ولکن لا تفقهون تسبیحهم.

وقال: والطیرُ صافاتٍ کلٌّ قد عَلِمَ صلاتهُ وتسبیحهُ.

قال مجاهد: تسبیح المخلوقات هو تنزیه خالقها وتوحیده بما یستحقّه؛ من کمال صفات عظم ذاته.

قیل: یفقه تسبیحهم العلماء الرّبّانیون الذین انفتحت أسماع بصائرهم والمنوّرون البصائر الذین یشاهدون کلّ شیء مرقوماً علیه بقلم القُدرة: هو الملک القُدّوس.

وقال مجاهد: کلّ الأشیاء تسبّح حیواناً وجماداً، وتسبیحها: سبحان اللّه وبحمده.

وروی ابن السنی: أنّه علیه السلام قال:(ما تستقبل الشمس فیبقی شیء من خلق اللّه تعالی إلّاسبّح اللّه تعالی وحمده، إلّاما کان من الشیطان وأغبیاء بنی آدم. فقیل: ما أغبیاء بنی آدم؟ فقال: شرار الخلق).

وقال شهیب (۱) بن حوشب: حملة العرش ثمانیة: أربعة یقولون: سبحانک اللّهم وبحمدک، لک الحمد علی حلمک بعد علمک، وأربعة یقولون: سبحانک اللّهمّ وبحمدک، لک الحمد علی عفوک بعد قدرتک.

فی التقدیس

وقال: هو اللّه الذی لا إله إلّاهو الملکُ القدّوس فالملک اسم من أسمائه تعالی، وکذا ملیک، وهو صفة مبالغة فی الملک، قال تعالی: عند ملیکٍ مقتدرٍ

۱- معروف هذا الاسم ب «شهر». انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۰۷

فالملك هو المُستغنى عن كلّ شيء، ويفتقر إليه كلّ شيء، ونافذ حكمه فى مملكته طوعاً أو كرهاً.

وقيل: هو القادر على الإبـداع والإنشاء والإعـدام، وهـذا على الحقيقـة لا يكون إلّا للّه- عزّ وجلّ- أبدع المكوِّنات العُلويّات والسُّفليّات الجليّات والخفيّات، أبـدعها بقـدرته ورتّبها على اختلاف أطوارهابحكمته، فكلّ مابرز فهو مقهور الوجود ب «كُنْ»، وكلّ ما انعدم فهو مقهور العدم ب «كُنْ».

وبهذا يُعلم أنّ إطلاق الملك على ما سواه أمر مجازىّ، إذ المملوك لا يكون مالكاً؛ لأنّ من هو تحت قهر الأغيار فهو كالعدم.

ولهذا لمّا تحقّق أرباب القلوب أنّ الملك للّه- عزّ وجلّ- تحقّقاً قلبيّاً، سكنت أنفسهم عن وصف الإضافات، وتبرّؤوا من الحول والقوّة حتى بالإشارات، فلا يقول: منّى، ولا لى؛ حتّى قيل لبعضهم: ألك ربّ؟ فقال أنا عبد، وليس لى نملة، ومن أنا حتّى أقول: لى.

فهذا وأمثاله صفّى نفسه عن رعونة البشريّة وهواها، وفكّ رِبقة رقّ خيالاتها الباطلة ومُناها، ومحض رقّ العبودية لمولاها.

فترى الملوك الجبابرة مع جبروتهم يخضعون ويتذلّلون له. ولهذا تتّمات ليس هذا المقام مقامها؛ إذ الغرض التنزيه.

والقُدُّوس من أسـمائه- عزّ وجلّ- سمّى نفسه بذلك ليُرشدك الى تقديسه، كما أشار الى ذلك بقوله تعالى: يُسبِّحونَ اللّيل والنَّهار لا يفترونَ.

وفيه الحثّ على دوام التقديس.

فالقُدُّوس قيل: هو المنزّه عمّا لا يليق به من الأضداد والأنداد.

وقيل: هو المنزّه والمطهّر من النقائص والعيوب.

وهاتان غير مرضيّين عند المحقّقين.

ص: ۱۰۸

قال حجّة الإسلام الغوّاص الغزالى: «وهذا فى حقّ البارى- سبحانه وتعالى- يقارب ترك الأدب، كما أنّه ليس من الأدب أن يقال لملك: ليس بحائك ولا بحجّام؛ لأنّ نفى الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود، وفى ذلك الإيهام نقص.

بل القدّوس: المنزّه عن كلّ وصف يُدركه حِسّ، أو يتصوّره وَهْم، أو يسبق إليه فكر، أو يهجس به سِرّ، أو يختلج به ضمير، أو يسنح له خفىّ خيال».

وقد أجاد رضى الله عنه.

فائدة جليلة للمنزه والمشبه

وههنا فائدة جليلة للمنزّه والمشبِّه: وهى أنه ينبغى للعبد أن يجعل له حظّاً وافراً من تكرير هذا الاسم والإمعان فى معناه، فإن كان منزَّهاً عطف ذلك عليه، وقدّس نفسه وقلبه وبدنه:

أمّا نفسه فيطهّرها من الأوهام المذمومة، كالغضب والحقد والحسد والغشّ وسوء الظنّ والكبر وحبّ الشرف والعُلوّ وحبّ الدنيا ولوازمها وغير ذلك، ويبدلها بالأوصاف المحمودة، فيطهّرها أيضاً عن العاهات والشهوات، وما تدعو إليه من المستحسنات والمألوفات؛ إذ هى أزّمة الشيطان يقود بها الى ارتكاب الموبقات.

وأمّا القلب فيطهّره بالعقد الصحيح المطابق الجازم، وبالمبادرة الى امتثال الأوامر واجتناب النواهى والأهواء، وتحقيق الإخلاص نيّة وقولًا وعملًا، وبالرضا بما جرى، فلا يأسف على فائت ولا يفرح بآتٍ، وذلك يرجع الى ذوق حلاوة الإيمان القلبى لا العملى، وعلامته تقديس القلب عن ملاحظة الأكوان، ولا يرى الأغيار إلّاعلى العدم الأصلى، فلا يتحرّك فى ظاهره ولا باطنه حتّى فى أنفاسه إلّا باللّه عزّ وجلّ.

ص: ۱۰۹

وأما البدن فيطهّره بماء الجوع، ويكفنّه بدوام التقشّف، ويحنّطه بالعُزلة، ويطيّبه بدوام الذكر والفكر، ويدفنه فى لحد الخوف، فإذا قدّسه بذلك ذهب مغناه، وبقى معناه.

فإذا اجتمعت له هذه التقديسات ذهبت أوصافه القواطع والموانع، ولاح له خزائن أسرار الآيات فى معارج ترداد الآيات، فأثمر له ذلك كشف أسرار الملكوتيات، فيثمر له ذلك الشوقَ إلى رؤية مطلوبه، فلا شىء أشهى إليه من الموت؛ لأنّه لا سبيل الى الوصول الى محبوبه إلّابه، فمن أراد أن يجلسه فى حضرة القُدس على منابر التقديس، فليجرِ على هذا التأسيس.

ومرّ إبراهيم بن أدهم- قدس اللَّه روحه- بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد تقيأ، فنظر إليه وقال: بأى لسان أصابته هذه الآفة، وطهّر فمه ومضى.

فلمّا أفاق السكران أُخبر بما فعله به إبراهيم، فخجل وتاب، وحسنت توبته.

فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأنّ قائلًا يقول: غسلت لأجلنا فمه، فلا جرم أنّا طهّرنا لأجلك قلبه.

وأمّا المشبّه والمجسِّم فلأنّه بتكرار هذا الاسم يتعقّل معناه، فيضىء له نوره، فينكشف له حجاب الضلال، فإذا حقّق المعنى المراد منه ظهر له نوره، فأحرق حجاب الضلال، فصفا قلبه للحقّ وزاح الباطل.

وقد وقع ذلك لبعض الغُلاة فى التشبيه والتجسيم، مرّ يوماً على هذه الآية هو اللَّه الذى لا إله إلّاهو الملك القُدُّوس، فكرّر هذا الاسم وتعقّل معناه، فقال:

واللَّه أنا لفى ضلال مُبين بيّن.

فبادر فى الحال، وأتى بالشهادتين، وقال: واللَّه لا يخلّصنى إلّااستئناف العمل.

فانظر- أرشدك اللَّه تعالى- الى بركة تكرير هذا الاسم العظيم فى حقّ أهل التنزيه والتشبيه، واللَّه أعلم.

ص: ۱۱۰

حقيقة التوحيد فى الذات والأفعال

ثمّ تمام التقديس لا يحصل إلّابالتمكّن بعد كمال التوحيد، وحقيقة التوحيد تكون باعتبار الذات وباعتبار الفعل:

فتوحيد الذات ينفى الحدوث، وثبوت الأحديّة ينفى الأضداد، وثبوت الذات ينفى التشبيه، ويحيّر العقل فى بحر الإدراك.

وأما توحيد الأفعال فهو شهود القدرة فى المقدور، ثمّ الاستغراق فى أنوار العظمة، فيغيب بذلك عن الموجودات، وتبقى القدرة بارزة بأسرار التوحيد، ثمّ الاستغراق فى أنوار المحو، فيغيب عن رؤية القدرة بالقادر.

ومن مقدوراته- جلّ وعلا- ما ذكره فى قوله تعالى: يوم يقومُ الرُّوحُ.

قال أبو الفرج بن الجوزى: رُوى عن علىّ رضى الله عنه فى تفسيرها:(أنّ الروح مَلَكٌ عظيم، له سبعون ألف وجه، فى كلّ وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون ألف لغة، يسبح اللَّه تعالى بتلك اللغات كلّها، يخلق اللَّه- عزّ وجلّ- من كلّ تسبيحة مَلَكاً يطير مع الملائكة الى يوم القيامة).

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «الروح مَلَكٌ عظيم؛ أعظم من السموات والأرضين والجبال والملائكة، يسبّح كلّ يوم ألف ألف تسبيحة، يخلق اللَّه- سبحانه وتعالى- من كلّ تسبيحة مَلَكاً يجىء يوم القيامة صفّاً والملائكة بأسرهم يجيئون صفاً».

قال ابن عبّاس: وهو الذى ينزل ليلة القدر زعيم الملائكة، وبيده لواء طوله ألف عام، فيغرزه فى ظهر الكعبة، ولو أذن اللَّه- عزّ وجلّ- له أن يلتقم السموات والأرض لفعل.

وقيل: الروح هنا جبريل عليه السلام.

وقيل: هو مَلَكٌ ما خلق اللَّه بعد العرش خلقاً أعظم منه، وقيل غير ذلك.

رُوى أنّه عليه السلام قال:(رأيت على كلّ ورقة من السِّدرة مَلَكاً قائماً يسبّح

ص: ۱۱۱

اللَّه عزّوجلّ).

ومراده «سدرة المنتهى» سُمّيت بذلك لأنّها لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم، ولا يعلم ما وراءها إلّااللَّه عزّ وجلّ، وهى شجرة نَبقٍ على يمين العرش، عندها جنّة المأوى، يأوى إليها الملائكة عليهم السلام، وقيل: أرواح الشهداء، وقيل: أرواح المتّقين.

ذو الجلال والإكرام

وقال اللَّه تعالى: تبارك اسم ربِّك ذى الجلال والإكرام معنى «تبارك» جلّ وعظم، ومعنى «ذى الجلال» المستحقّ للرفعة وصفات التعالى ونعوت الكمال.

جلّ أن يعرف جلاله غيره، تنزّه وعظُم شأنه عمّا يقول فيه المبطلون؛ لأنّ كلّ شىء يُثنى عليه بقدرته، وكلّ ذاكر يذكره على قدر طاقته وطبعه وعلمه وفهمه.

والحقّ- جلّ جلاله- ذكره خارج عن أوهام الآدميّين؛ لأنّ الحادث ناقص بقهر الإيجاد والفناء، والعارف (۱) دون الغايات الجلاليّة.

فسبحانه ما أثنى عليه حقّ ثنائه غيره، ولا وصفه بما يليق به سواه، عجز الأنبياء والرسل بأجمعهم عن ذلك، قال أجلّهم قدراً، وأرفعهم محلّاً، وأبلغهم نطقاً، مع ما أُعطى من جوامع الكَلِم:(لا أُحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك).

وأمّا (۲) «الإكرام» فمعناه: ذو الإنعام والمِنَن على العامّ والخاصّ والطائع

۱- لم يظهر لى فى هذه العبارة معنًى فلتحرّر. أنتهى. مصحّحه.

۲- «ذو الإنعام» ليس معنى «الإكرام»، بل معنى «ذو الإكرام»، فهنا لفظ «ذو» ساقط. انتهىمصحّحه. بل ليس هناك سقط فى العبارة حيث إنه يفسّر قوله تعالى: تبارك اسم ربّك ذو الجلال والأكرام والعطف بالواو أغنى عن تكرار لفظ «ذى».

ص: ١١٢

والعاصى.

ووصف سبحانه وتعالى نفسه ب «الكريم» فى قوله: ما غرَّك بربِّك الكريم.

قال عمر رضى الله عنه: «لو قيل لى: ما غرّك بى؟ لقلت: جهلى بك غرّنى».

والكريم: هو الذى إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى.

وقيل: هو الذى إذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالى لمن (١) أعطى وكم أعطى ولا يضيع من لاذ به والتجا.

وقيل: هو الذى يُغنى السائل عن الوسائل والشفعاء، واذا رُفعت الحاجة إلى غيره لا يرضى.

وقيل: هو الذى إذا أبصر خَلَلًا جَبَره وما أظهره، وإذا أولى فضلًا أجزله ثمّ ستره، وقيل غير ذلك.

فمن تأمّل القرآن الكريم وجده مشحوناً بالتقديس والإجلال والتعظيم، وناطقاً بإضلال أهل الإلحاد والتجسيم، والحِيَدة عن الصراط المستقيم، وطريقة السلامة فى ذلك أنّ من أشكل عليه شيء من المتشابه فى الكتاب والسُّنّة، فليقل كما أخبر سبحانه وتعالى فى كتابه المبين عن الراسخين فى العلم ومدحهم عليه فى قوله تعالى: والراسخون فى العلم يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربِّنا.

ويقول كما قال صلى الله عليه و آله و سلم فى الحديث:(وما جهلتم منه فكِلوه الى عالمه) خرّجه غير واحد منهم الإمام أحمد والنسائى وغيرهم (٢).

ويقول كما قاله الشافعى: آمنتُ باللّه وما جاء عن اللّه على مراد اللّه، وآمنتُ برسول اللّه وما جاء عن رسول اللّه على مراد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.

والراسخ فى العلم هو من طولع على محلّ المراد منه.

١- لعلّه: بما أعطى... الى آخره. أنتهى. مصحّحه. عبارة المصنّف صحيحة.

٢- مسند أحمد، المكثرين رقم ۶۴۵۳ ولاحظ ۶۴۱۵، ولم نجده فى النسائى المطبوع.

ص: ۱۱۳

وسئل مالک عن الراسخین فی العلم؟

فقال: العالم العامل بما علم المتّبع له.

وقال عمر بن عبدالعزیز: انتهی علم الراسخین بتأویل القرآن الی أن قالوا:

آمنَّا به کلٌّ من عند ربِّنا.

وقال بعضهم: للقرآن تأویل استأثر اللَّه تعالی بعلمه؛ لا یطّلع علیه أحد من خلقه، کما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها ونحو ذلک، والخلق متعبَّدون بالإیمان به، ومتعبَّدون بالمحکم بالإیمان به وبالعمل به. وقیل غیر ذلک.

الدعوة إلی اتباع العقل والنقل

ثمّ اعلم: أنّه حقّ علی اللبیب المعتصم بکتاب اللَّه وسُنّة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم والمتمسّک بالعروة الوثقی أن یُثبت للّهعزّ وجلّ- ما قضی العقل بجوازه ونصّ الشرع علی ثبوته.

فإنّ المشبِّهة أثبتوا للّهما لم یأذن فیه، بل نهی عنه، وهی زیغة سامریّة ویهودیّة، والمعطِّلة سلبوه ما اتّصف به وسفّهوه.

ولقد أحسن أبو الحسن الأشعری فی جوابه عن التوحید؟ حیث قال: إثبات ذات غیر مشبَّهة بالذوات، ولا معطَّلة عن الصفات.

شعر:

أللَّهُ أکبرُ أن یکون لذاتِهِ کیفیّةٌ کذواتِ مخلوقاتِهِ

أوْ أنْ تُقاسَ صفاتُنا فی کلّ ما نأتیهِ من أفعالِنا بصفاتِهِ

أبداً عقولُ ذوی العقولِ بأسرها متحیِّراتٌ فی دوام حیاتِهِ

لَبدیعُ صَنعتِهِ علیه شواهدٌ تبدو علی صفحاتِ مصنوعاتِهِ

فکلّ ماتری عینک الباصرة فهو دلائل ظاهرة علی (۱) أنّ العالم مخلوق بتقدیر شامل، وتدبیر کامل، وحکمة بالغة غیر متناهیة.

ولو جمعت عقول العقلاء عقلًا واحداً، ثمّ تفکّروا بذلک العقل فی جناح بعوضة؛ حتّی یجدوا ترکیباً أحسن منه وأکمل، لَفنیتْ تلک العقول، وانقطعت تلک الأفکار، ولم تصل الی درک ذرّة من ذرّات حکمته فی تلک البعوضة علی سبیل الکمال والتمام.

فما الظنّ بذی الجلال؟! تبّاً ثمّ تبّاً لأهل الضلال والجهل، وما اعتقدوه من النقص، مع تنزیه البحار وشوامخ الجبال.

فسبحان من تسبّحه البحار الصوافح والجبال الشُمّ والسُّحب السوائح، والأمطار الطوامح، والأفکار والقرائح، تقدّس عن مثل وشبیه، وتنزّه عن نقص یعتریه.

یعلم خائنة الأعین وما تُخفی الصدور من سرّ أضمرته الجوانح، تعالی عن النِّدّ المماثل والضدّ الکادح.

یفعل مایشاء، ما شاء کان، وما لم یشأ لم یکن.

هلک الجاهل والمکافح.

متکلّم بکلام (۲) مسموع بالآذان (۳) بغیر آلات ولا أدوات ولا جوارح، واین لهوات الحصی وحلقوم الجذع وجارحتهما؟!

فما أجهلک بقوله تعالی: فلمّا جاءَتهُمْ آیاتُنا مُبصرةً نسب الإبصار الی الآیات.

۱- هنا لفظ «أنّ» محذوف کما هو ظاهر. انتهی. مصحّحه.

۲- المراد بهذا الكلام هو القرآن؛ لأنّه الذى يُسمع. أنتهى. مصحّحه.

۳- قوله: «بغير آلات» متعلّق بمتكلم، فليفهم. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۱۴

ص: ۱۱۵

فأين الحذق يا قامح؟!

ومن آياته إنزال القطر بقدرته، وصبغ ألوان النبات والثمار بحكمته، مع مُخالفة الطُّعوم بمشيئته، وإرسال الرياح لواقح.

موصوف بالسمع والبصر، يرى فى الدُّجُنّة كما يرى فى القمر. من شبّهه أو كيّفه طغى وكفر. هذا مذهب أهل الحقّ والسُّنّة، وإنّ دليلهم لَجليّ واضح.

من شبّهه أو مثّل أو جسّم فهو مع السامرة واليهود ومن حزبهم، يوم تظهر المخبّآت، وتُبلى السرائر، وتبين الفضائح:

وإن قيل عنه فى الدنيا: إنّه وليّ صالح، هلك الهالكون بآرائهم؛ لأنّه عمل غير صالح، وفاز المنزّهون فيالها صفقةُ رابح.

هو الواحد المتوحّد فى صفاته الأزلى الجبّار، العظيم العزيز القهار، تبارك وتعالى وتنزّه عن دَرْك الخواطر والأفكار، وَسَم كلّ مخلوق بمِيسم الافتقار، وأظهر آثار قدرته فى مخلوقاته؛ ومن أظهرها السموات والأرض والبرارى والبحار، والأعين والأنهار، وجريانها على المدرار، وتصريف السحاب المسخّر بين السماء والأرض، واختلاف الليل والنهار، إنّ فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

يعلم حركات الأسرار، ودبيب النملة السوداء فى الظلمة على سواد الصخور والأحجار:

نَوّع هذا العالم الإنسانى، فمنهم شقيّ، ومنهم سعيد، وربُّك يخلق ما يشاءُ ويختارُ.

وصفاته كذاته، والمشبّهة والمجسّمة أهل زيغ وكفّار، نزّه نفسه بنفسه وقدّسها، فمن شبَّه أو عطّل فمأواه النار، ومن أناب ورجع قَبِلَهُ وإن ارتكب العظائم الكبار؛ لأنّه سبحانه وتعالى عزيز غفّار ستّار.

ومن بديع صنعته أن خلق اليوم وليلته، وقمر السماء وشمسه، وآدم عليه السلام وما

ص: ۱۱۶

مسَّه، علم ذلك المنزَّه فنزّه قُدسَه، وجهله أعمی البصيرة المشبّه، فتصوّر فيه جنسه؛ لأنّه بجهله قاس الخالق- جلّ وعلا- علی ما ألفهُ وأحسّه، فتراكم عليه غبار التشبيه فضاعت المحسّة.

وأمّا المعطّل فجحد صفاته، فما أغباه وما أخسّه، وإذا كان الأمر كذلك فادفع المعطّل بيديك النقيّة، وألحق بالمشبّه دفعةً ورَفسة.

مبحث الرد علی ابن تيمية فی قوله بفناء النار

واعلم: أنّه انتُقد عليه: زعمه: أنّ النار تفنی، وأنّ اللّه تعالی يُفنيها، وأنّه جعل لها أمداً تنتهی إليه وتفنی، ويزول عذابها.

وهو مُطالب أين قال اللّه عزّ وجلّ؟ وأين قال رسول اللّه صلی الله عليه و آله و سلم وصحّ عنه؟

وقد سفّه اللّه تعالی ذكره فی كتابه العزيز، كما سفّهه فی تنزيهه لنفسه.

وأتی بأُمور إقناعية (۱)، صادم بها النصوص الصريحة فی دوام العذاب عليهم:

فمن ذلك قوله تعالی: إنّ الّذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كُلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب.

تُبدَّل فی كلّ ساعة مائة مرة.

وقال الحسن: تأكلهم النار كلّ يوم سبعين ألف مرّة.

إنّ اللّه كان عزيزاً؛ أی شديد النقمة علی من عصاه.

وقيل: العزيز الشديد القادر القوی.

وقيل: الغالب الذی لا يُغلب، والقاهر الذی لا نظير له.

وقيل: معناه المُعِز، فيكون فعيل بمعنی مُفعِل، كالأليم بمعنی المؤلم ونحوه.

۱- أیللعامّة البُله الذين لم يخالطوا المؤمنين، أمّا من عرف دين اللّه عالماً أو مخالطه، فمعاذ اللّه أن يقتنع بغير كلام ربّه، فليعلم. أنتهی. مصحّحه.

ص: ۱۱۷

وقال أهل المعانی وأرباب القلوب: العزیز من ضلّت العقول فی بحار تعظیمه، وحارت الألباب دون إدراک نعته، وکلّت الألسن عن استیفاء مدح جلاله ووصف کماله، والقیام بشکر آلائه.

وقوله: حکیماً أی حکم علی الأعداء بدوام العذاب، کما حکم للأولیاء بدوام النعیم، فلا یعلم کنه حقیقة حکمته غیره، فلا شیء من الأشیاء إلّاوفیه من حکمته علی وفقه لمناسبته.

صُنعَ اللَّه الذی أتقن کلَّ شیءٍ.

وقال تعالی: فالذین کفروا قُطِّعت لهم ثیابٌ من نارٍ یُصبُّ من فوقِ رؤوسهِمُ الحمیمُ یُصهر به ما فی بطونهم والجلودُ ولهم مقامعُ من حدید کلّما أرادوا أن یخرجوا منها من غمٍّ أُعیدوا فیها وذُوقوا عذاب الحریقِ.

وقال: فلن نزیدَکُم إلّاعذاباً.

وقال تعالی: کُلّما خبت زدناهُم سعیراً.

وقال تعالی: یریدون أن یَخرجوا من النَّارِ وما هم بخارجین منها ولهم عذابٌ مُقیمٌ.

وقال تعالی إنّ عذابها کان غراماً؛ أی مقیماً ملازماً، فکلّ عذاب یُفارق صاحبه فلیس بغرام. والآیات فی ذلک کثیرة جدّاً.

وأمّا السُّنّة فطافحة بذلک، وتدلّ علی إخراج المؤمنین دون غیرهم؛ حتّی یخرج مَن فی قلبه مِثقال ذَرّة من الإیمان، وفی روایة: مثقال ذرّة من خیر، فأقول:

یاربّ ما بقی فی النار إلّامن حبسه القران؛ أی وجب علیه الخلود.

قال اللَّه تعالی: لهم فیها دارُ الخلدِ الی غیر ذلک.

ولأنّ العذاب یدوم بدوام سببه بلا شکّ ولا ریب، وهو قصد الکفر وبقاء العزم علیه، ولا شکّ أنّهم لو عاشوا أبد الآباد لاستمرّوا علی کفرهم.

ص: ۱۱۸

وكذلك المؤمن يستحقّ الخلود.

وهذا معنى قوله صلى الله عليه و آله و سلم:(نيّة المؤمن خير من عمله)، وفى معناه أقوال أُخر.

فادّعاء فناء النار بعد أمد نزعة يهودية.

ألا ترى الى قوله تعالى: وقالوا لن تَمسَّنا النارُ إلّاأيّاماً معدودةً الآية؛ أى قدراً مقدوراً، ثمّ يذهب عنّا العذاب.

وكانت اليهود تقول: إنّ هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنّما نُعذَّب بكلّ ألف سنة يوماً، ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، وقيل: أربعين يوماً الذى عبد آباؤنا العجل فيها.

وكانت تقول: إنّ ربّنا عتب علينا فى أمر، فأقسم لَيُعذِّبنَّا أربعين يوماً، فلن تمسّنا النار إلّاتحلة القسم أربعين يوماً. فالرجل ساعٍ خلف سلفه، كما تقدّم وكما يأتى.

مبحث الرد عليه فى القول بقدم العالم

وممّا انتُقد عليه- وهو من أقبح القبائح: ما ذكره فى مصنّفه المسمّى ب «حوادث لا أوّل لها»، وهذه التسمية من أقوى الأدلة على جهله، فإنّ الحادث مسبوق بالعدم (۱) والأوّل ليس كذلك.

وبنى أمره فيه على اسم من أسماء الأفعال، ونفى المجاز فى القرآن، وهو من الجهل أيضاً، فإنّ القرآن مُعجز ومحشوّ بالمجازات والاستعارات؛ حتّى أنّ أوّل حرف فيه أحد أنواع المجاز.

وتضمّن هذا المصنّف مع صِغره شيئين عظيمين:

تكذيب اللَّه- عزّ وجلّ- فى قوله: هو الأوّل فجعل معه قديماً.

۱- لعلّه والذى لا أوّل له ليس كذلك. أنتهى. مصحّحه.

ص: ۱۱۹

وتکذیب النبی صلی الله علیه و آله و سلم فی قوله:(کان اللَّه ولا شیء معه).

وفی البخاری من روایة عمران بن حصین رضی الله عنه:(کان اللَّه ولم یکن شیء قبله).

ولیس وراء ذلک [إلّا] زیغ وکفر، فإنّ الدین ما قاله عزّوجلّ وقاله رسوله صلی الله علیه و آله و سلم.

وقد قال: هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بکلّ شیء علیمٌ هو الأوّل قبل کلّ شیء بلا ابتداء، کان ولم یکن شیء موجوداً، والآخر بعد فناء کلّ شیء بلا انتهاء ویبقی هو.

والظاهر هو الغالب علی کلّ شیء.

والباطن هو العالم بکلّ شیء. هذا معنی قول ابن عبّاس رضی اللَّه عنهما.

والأقوال فی ذلک کثیرة: ومنها قول أبی القاسم الجنید: نفی القدم عن کلّ أوّل بأوّلیّته، ونفی البقاء عن کلّ آخر بآخریّته، واضطرّ الخلق الی الإقرار بربوبیته لظاهریته، وحجب الإدرک عن إدراکه کنهه وکیفیته بباطنیّته.

وقال أیضاً: هو الأوّل بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بکشف الکروب، والباطن بعلم الغیوب.

وقال السیّد الجلیل محمد بن الفضل: الأوّل ببرّه، والآخر بعفوه، والظاهر بإحسانه، والباطن بستره.

ومن حقّ العبد أن یجعل له حظّاً من هذا الخطاب، فیزیّن ظاهره بأنواع الخدمة، ویزّین باطنه بأنوار الهیبة، ویحقّق جمیع أفعاله وحرکاته وسکناته وسائر طاعاته وقُرباته بالصدق والإخلاص؛ لقوله عزّ وجلّ: واللَّه بکلّ شیء علیمٌ.

وسأل عمر رضی الله عنه کعب الأحبار عن معنی هذه الآیة، فقال: إنّ علمه بالأوّل کعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر کعلمه بالباطن.

ص: ۱۲۰

تکذیب ابن تیمیهٔ للنبوهٔ و توهینه لمقام النبی

ومّما انتُقد علیه: تکذیبه النبی صلی الله علیه و آله و سلم فیما أخبر به عن نبوّته من حدیث أبی هریرهٔ رضی الله عنه.

قالوا: یا رسول اللّه متی وجبت لک النبوّهٔ؟ قال صلی الله علیه و آله و سلم:(وآدم بین الروح والجسد)، وفی روایهٔ:(وإنّ آدم لمُنجدل فی طینته).

وتکلّم بکلامٍ لَبَّسَ فیه علی العوامّ وغیرهم من سیّئی الأفهام، یقصد بذلک الازدراء برسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم والحطّ من قدره ورتبته.

وما فیه رفعه یسکت عنه، یفهم ذلک منه کلّ عالم امتلأ قلبه بعظمته صلی الله علیه و آله و سلم وتوقیره، وبما خصّه اللّه تعالی من مزایا المواهب الإلهیهٔ التی لم ینلها غیره.

وهذا الخبیث حریص علی حَطّ رتبته والغضّ منه؛ تارهٔ یقع ذلک منه قریباً من التصریح، وتارهٔ بالإشارهٔ القریبهٔ، وتارهٔ بالإشارات البعیدهٔ التی لا یدرکها إلّا أهلها:

فمن ذلک وقد سُئل- علی مازعم- أیّما أفضل مکّهٔ أو المدینهٔ؟

فأجاب: مکهٔ أفضل بالإجماع. وکتبه أحمد بن تیمیّهٔ الحنبلی، وعلیها خطّه، وأنا أعرف خطّه.

وفی هذا الجواب دسائس وفجور ورمز بعید.

فمن الفجور نسبته نفسه الی الإمام أحمد، والإمام أحمد وأتباعه برآء منه ومّما هم (۱) علیه.

وهو لا یلتفت إلیه إلّاإذا کان له فی ذکره غرض، أمّا إذا لم یکن فلا یلوی علی قوله، ویسفّهه حتّی فیما ینقله، ویکفّره فیما یعتقده إذا کان علی خلاف هواه.

۱- «هم» هو. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۲۱

تجاسر ابن تیمیهٔ علی الإمام أحمد

ومن مواضع تسفیهه الإمام أحمد مسألهٔ الطلاق، فإنّ الإمام أحمد قال: «الذی أخبرنا بأنّ الطلاق واحدهٔ أخبرنا بأنّ الطلاق ثلاث»، وعلی ذلک جری الأئمهٔ من جمیع المذاهب.

فإذا کان الإمام أحمد غیر ثقهٔ فبمن یوثق؟

وقال- أعنی ابن تیمیّهٔ- فی الجواب عن المسألهٔ المبسوطهٔ: «والإمام أحمد أعلم الناس فی زمانه بالسُّنّهٔ»، وبالغ فی الثناء علیه.

فیاللَّه العجب من هذا الأعمی البصیرهٔ الذی لا یحسّ بتناقض کلامه، کیف یجعل الإمام أحمد فیما له فیه غرض أعلم الناس بالسُّنّهٔ، ویسفّهه فیما لا غرض له فیه.

وهذا ونحوه- ممّا یأتی فی غیر الإمام أحمد من أئمهٔ الحدیث- یعرّفک ما فی قلبه من الخبث وعمی بصیرته، وأنّه لا علیه فیما یقوله.

ادعاء ابن تیمیهٔ للاجماع، فی موارد الخلاف

ومن فجوره ادّعاء الإجماع علی ما یقوله ویُفتی به کهذه الفتوی مع شهرهٔ الخلاف فی المسألهٔ؛ حتّی أنّه مشهور فی أشهر الکتب المتداولهٔ بین الناس، وهو «الشفاء»، فإنّه ذکر الخلاف بین مکّهٔ والمدینهٔ؛ وأنّ مالکاً وأکثر أهل المدینهٔ قائلون: بأنّ المدینهٔ أفضل من مکّهٔ، وقال أهل مکهٔ والکوفهٔ: مکّهٔ أفضل.

ومحلّ الخلاف فی غیر الموضع الذی ضمّ سیّد الأوّلین والآخرین صلی الله علیه و آله و سلم، وأمّا هو فالإجماع منعقد علی أنّه أفضل من مکّهٔ وسائر البقاع.

وممّن حکی الإجماع القاضی عیاض فی «الشفاء»، بعد أن حکی الخلاف فی

ص: ۱۲۲

التفضيل بين مكّة والمدينة، فقال: «ولا خلاف فی أنّ موضع قبره أفضل بقاع الأرض».

وكذا ذكره الإمام هبة اللَّه فی كتابه(توثيق عرى الإيمان).

وذكر الإمام أبو زكريا يحيى النووی فی شرح مسلم ذلك فقال القاضی عياض أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وأقره على ذلك.

فسكوت الخبيث عن مثل ذلك دليل على خبث فی باطنه فی حقّ سيّد الأوّلين والآخرين صلى الله عليه و آله و سلم.

وفی هذه الفتوی رمز الی عدم الاعتداد بقول عمر رضی الله عنه، فإنّه رضی الله عنه من القائلين بأنّ المدينة أفضل من مكّة.

ويدلّ على ما قلته من الرمز (۱) الی تخطئته فی الطلاق وعدم الاعتداد بذلك، كما رمز الی تكفير الصدّيق رضی الله عنه فی قوله فی بعض تصانيفه: «من قال: اللَّه ورسوله فی أمر يلحقه، فإنّه يكون مشركاً»، فإنّ الصدّيق رضی الله عنه لمّا قال النبیّ صلى الله عليه و آله و سلم:(ما أبقيت لأهلك)؟ قال: أبقيت لهم اللَّه ورسوله.

ويؤيّد ما قلته ما هو مشهور فی كتبه وعند أتباعه: «لا ينبغی أن يُنسب الی غير اللَّه تعالی ضُرّ ولانفع، ولا أنّه يُغنی».

وهذا من الدسائس أيضاً فإنه يلبس به على كثير من الناس، لا سيّما الضعفاء فی العلم وأصحاب الأذهان الجامدة، فهی كلمة حقّ أُريد بها باطل.

وقد قال اللَّه تعالی فی كتابه العزيز: وما نقموا إلّاأن أغناهم اللَّه ورسولُه من فضلِهِ.

وقال تعالی: وقالوا حسبُنا اللَّه سيُؤتينا اللَّه من فضله ورسولُه وغير ذلك.

۱- هنا لفظ «الی» محذوف. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۲۳

فهذا نصّ القرآن العظيم على مثل هذا القول فی الذين يقولون: إنّه شِرك.

ففی قولهم قدح فی القرآن، وفی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم لإقراره الصديق رضی الله عنه على هذا القول الذی هو شرك (۱).

وهذا منهم كفر بيقين؛ لأنّه واجب وحتم لازم على كلّ أحد بأن يؤمن بالقرآن، وبما جاء به سيّد الأوّلين والآخرين صلی الله علیه و آله و سلم عن ربّ العالمين من غير شكّ ولا ارتياب.

قال اللّه تعالى: ومن لم يؤمن باللّه ورسولِهِ فإنّا أعتدنا للكافرين سعيراً.

وقال تعالى: وأطيعوا اللّه واطيعوا الرسولَ.

وقال: وآمنوا باللّه ورسولِه جمع بينهما بواو العطف للشركة، ولا يجوز هذا فی حقّ غيره صلی الله علیه و آله و سلم.

ولما خطب صلی الله علیه و آله و سلم أمّ سلمهٔ رضی اللّه عنها فاعتذرت اليه بأعذار منها: وأنا موتم مرملهٔ فی أربعهٔ من الولد، فقال لها من جملهٔ قوله: وأما ولدك فهم ولد أخی أبی سلمهٔ وهم على اللّه وعلى رسوله، وقال: إنّما وليُّكم اللّهُ ورسُولُهُ.

ابن تیمیهٔ رافضی و یقول بالتناسخ

واعلم: أنّ ما ذكرته من الرمز الى الصدّيق والفاروق رضى اللّه عنهما، وأنّ فيه إشعاراً بأنّه رافضىّ هو كذلك، وفى الردّ على الرافضى أنّه رافضىّ، وهذا نبّه عليه الشيخ زين الدين القرشی والشيخ زين الدين بن رجب الحنبلی.

نعم وقفت على مصنّف لطيف له ولم يتمّ، وفيه ما يدلّ على ما قالاه.

۱- يعنی فی زعمهم. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۲۴

وفی هذا الکتاب رمز الی أنّه من القائلین بتناسخ الأرواح (۱)، وبعض أتباعه الذین هم رسل فی التبعیة یقع منه (۲) ما یدلّ علی ذلک، واللّه أعلم.

تجویز ابن تیمیة للمکس

ومن الأمور الخبیثة التی وقفت علیها فی فتاویه ما فیه: أنّ بعض المکّاسین مثاب فی وظیفة المَکْس؛ بل أبلغ من ذلک.

وأقبض عنان الکلام فیه لما أخشی ممّا یترتّب علی التصریح من أهل المکس وتجُّرئهم علیه، وقرر ما قاله بتقریر مقبول فی شق، وأهمل الآخر.

فلمّا وقفتُ علی ذلک قبَّ بدنی، وهجت علی الکلام فی ذلک.

وکان شخص من الحنابلة یدّعی بعلاء الدین بن اللحّام البعلبکی، وکان عندهم عظیماً وصنّف فی مذهب الإمام، فأتیته وهو فی حلقة فی الجامع الأموی وهم یقرؤون علیه فی بعض مصنّفاته، فسألته عن شیء یتعلّق بمسألة تقرأ علیه فی کتابه فما أجاب، ثم أُخری فما أجاب ثمّ قلت: ما هذه المسألة التی ذکرها الشیخ

۱– القول بتناسخ الأرواح کفر؛ لأنّه عبارة عن اعتقاد أنّ أرواح من یموتون تتّصل بغیرهم، فقدیکون روح الخواجة الذی مات الیوم، روح أکبر عالم مرشد زاهد ورع بعد ذلک والعکس، وقد یتّصل روح الخنزیر الذی مات بمحمّد الذی ولد بعد ذلک ویعکس، وقد یتّصل بعد ذلک بکلب، ثم یتّصل بحمار، ثمّ یتّصل بنبیّ، وهکذا الی غیر نهایة. وهذا یقتضی أن لا بعث وأن لا جزاء، فإنّ الروح لا یقف عند حدّ معلوم یجازی علیه، بل قد یکون بحال یقتضی العذاب، ویصبح بحال یقتضی النعیم، ثمّ بحال لا یقتضی عذاباً ولا نعیماً وهکذا، وهذا غیر ما تنطق به الشرائع الإلهیة کلّها، فهو مصادم للأنبیاء ولما جاء به الأنبیاء، وکیف لا یکون ما هذا حاله کافراً؟! وهذا المذهب لا دلیل علیه من العقل، مع کونه مخالفاً مع الشرع کما ذکرنا، وذلک أنّ الأرواح لیست من عالم المحسوسات حتی نراها ونحکم علیها، وهی لم تخبرنا عن نفسها بشیء، فالجهالة بها مطلقة. أنتهی مصحّحه.

۲– أی من ذلک البعض. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۲۵

تقیّ الدین بن تیمیّهٔ فی المکس؟

فقال وشرع یقرّر ما قرّره ابن تیمیّهٔ، فأخذت الشقّ الآخر وقرّرته، فسکت ولم یجد جواباً.

فقلت: یلزم أحد شیئین: إمّا بطلان ما قاله، أو تکفیره، فقال: هذه المسألهٔ ما هی فی فتاویه وأنا أختصرتها.

فهذه قاعدهٔ من قواعدهم یبحثون مع الخصم، فإن ظفروا به فلا کلام، وإن ظفر بهم قالوا: هذه ما هی فی کلامه، فهم خَلَفُ إمامهم فی المکر والخدیعهٔ والکذب، وقد خابَ من افتری واللّه أعلم.

قول ابن تیمیهٔ بالتفرقهٔ فی احترام النبی بین حیاته و موته و تکفیره الصحابهٔ والتابعین والأئمهٔ الأربعهٔ

ومن الأمور المنتقدهٔ علیه- وهو من أقبح القبائح وشرّ الأقوال وأخبثها-:

مسألهٔ التفرقهٔ التی أحدثها غلاهٔ المنافقین من الیهود، وعصوا أمر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، واستمر علیها أتباعهم الذین یُظهرون الإسلام، وقلوبهم منطویهٔ علی بغض النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، ولم یقدروا أن یتوصّلوا الی الغضّ منه إلّابذلک.

وقد ذکر المسألهٔ الأئمهٔ الأعلام فأذکر بعض کلامهم فیها، ثمّ أعود الی تتمیمه؛ مستدلًا بأُمور سمعیّهٔ وغیرها تفید جلالته وعظامته، وحیاته فی قبره صلی الله علیه و آله و سلم، وبقاء حرمته علی ما کان علیه فی حیاته.

ویقطع الواقف علیها- أو علی بعضها- بأنّ القائلین بالتفرقهٔ من متغالی أهل الزیغ والزندقهٔ.

وأنّ ابن تیمیّهٔ الذی کان یوصف بأنّه بحر فی العلم، لا یستغرب فیه ما قاله بعض الأئمهٔ عنه: من أنّه زندیق مطلق.

ص: ۱۲۶

وسبب قوله ذلک أنّه تتبع کلامه فلم یقف له علی اعتقاد؛ حتّی أنّه فی مواضع عدیدة یکفّر فرقة ویضلّلها، وفی آخر یعتقد ما قالته أو بعضه.

مع أنّ کتبه مشحونة بالتشبیه والتجسیم، والإشارة الی الازدراء بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم والشیخین، وتکفیر عبداللَّه بن عبّاس رضی الله عنه، وأنّه من الملحدین، وجعل عبداللَّه بن عمر رضی اللَّه عنهما من المجرمین، وأنّه ضالّ مبتدع، ذکر ذلک فی کتاب له سمّاه(الصراط المستقیم) والردّ علی أهل الجحیم.

وقد وقفت فی کلامه علی المواضع التی کفّر فیها الأئمة الأربعة (۱)، وکان بعض أتباعه یقول: إنّه أخرج زیف الأئمة الأربعة یرید بذلک إصلاح هذه الأمّة؛ لأنّها تابعة لهذه الأئمة فی جمیع الأقطار والأمصار، ولیس وراء ذلک زندقة.

اقوال الأئمة فی التوسل بالنبی

ولنرجع الی قول بعض الأئمة:

فمنهم: الإمام العلّامة شیخ شیوخ وقته أبو الحسن علی القونوی، قال بعد ذکره أشیاء لا أطوّل بذکرها، وفیها دلالة علی أنّ التوسّل بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فی الحاجات بعد وفاته کالتوسّل به فی حال حیاته.

ثمّ قال: وهذا وأمثاله یرد علی هؤلاء المبتدعة الذین نبغوا فی زماننا، ومنعوا التوسّل برسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، وقد جمع بعضهم کلاماً یتضمّن نفی عمله صلی الله علیه و آله و سلم بعد الوفاة.

ونقل طائفة منهم التفرقة بین حیاته وحال وفاته، فقال: والتفریق بین الحیاة

۱- أحبّ أن لا یستغرب القاریء شیئاً یراه منسوباً الی هذا الرجل، بعد تصریح العلماء عنه: أنّه یستخفّ برسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم ویزدریه، ویصغّر من شأنه، فإنّ الذی یجتریء علی أسمی مقام فی الوجود لا یتهیّب ما دونه، فلیعلم. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۲۷

والوفاة كان ثابتاً عند الصحابة، فلهذا استسقى أمير المؤمنين عمر بالعبّاس، ولولا هذا التفريق الواضح عندهم لما عدل عمر- مع جلالته وكونه خليفة راشداً، وكان يشاور أيضاً- عن قبر رسول اللَّه إلى غيره.

ثمّ قال: هذا لفظ المبتدع الجاهل الذى قامت البيّنة عليه بأشياء من هذا القبيل، وعُزِّر على ذلك التعزير البالغ بالضرب المبرّح والحبس وغير ذلك، فى شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة بالقاهرة.

وهذا الكلام من التفرقة بين الحالتين، والاستناد فيه الى استسقاء عمر بالعباس، ليس له، وإنّما هو لشيخه، فإنّه لمّا أظهر القول بنفى التوسل برسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، أورد عليه حديث الاستقاء، ففزع إلى التفرقة المذكورة، ولا- مُتشبَّث فى الحديث المذكور، فإنّ عمر رضى الله عنه إنّما قصد أن يقدّم العبّاس، ويباشر الدعاء بنفسه، وهذا لا يُتصور حصوله من غير الحىّ؛ أى الحياة الدنيّوية.

وأمّا التوسّل برسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فلا نسلّم أنّ عمر رضى الله عنه تركه بعد موته، وتقديم العبّاس ليدعو للناس لا ينفى جواز التوسّل به مع ذلك.

ثمّ قال: وهذا القول الشنيع والرأى السخيف الذى أخذ به هؤلاء المبتدعة من التحاقه صلى الله عليه و آله و سلم بالعدم- حاشاه من ذلك- يلزمه أن يقال: أنّه ليس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم اليومَ، وهو قول بعض الضُّلّال.

فرقة ابن تيمية مبتدعة

قال أبو محمّد بن حزم فى كتابه «الملل والنحل»: حدثت فرقة مبتدعة تزعم:

أنّ محمد بن عبداللَّه بن عبدالمطلب بن هاشم صلى الله عليه و آله و سلم، ليس هو اليومَ رسول اللَّه، لكن كان رسولًا.

ثمّ قال: «وهذه مقالة خبيثة مخالفة للَّه- عزّ وجلّ- ولرسوله صلى الله عليه و آله و سلم، ولما عليه

ص: ۱۲۸

أهل الإسلام منذ كان أهل الإسلام الی یوم القیامهٔ».

قال: «وإنّما حملهم علی هذا الرأی الخبیث قولهم الآخر الخبیث: إنّ الروح عَرَض، والعَرَض یفنی أبداً، أو یحدث ولا یبقی وقتین.

قال: «فروح رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم عند هؤلاء بطل، ولا روح له الآن عند اللَّه.

وأمّا جسده ففی قبره تراب، فبطلت نبوّته ورسالته بموته عندهم.

فنعوذ باللَّه من هـذا القول، فإنّه کفر صراح لا تردّد فیه، ویکفی فی بطلان هذا القول الفاحش الفظیع، أنّه مخالف لما أمر اللَّه تعالی به ورسوله صلی الله علیه و آله و سلم، واتّفق علیه أهل الإسلام من الأذان- فی الجوامع والصوامع وأبواب المساجد جهاراً فی شرق الأراضی وغربها- کلّ یوم خمس مرّات بأعلی أصواتهم، قد قرنه اللَّه تعالی بذکره:

أشهد أن لا إله إلّااللَّه. أشهد أنّ سیّدنا محمّداً رسول اللَّه. کان یجب أن یقال علی قولهم: أشهد أن محمّداً کان رسول اللَّه، وکذلک کان یجب أن یقال فی ثانی الشهادتین فی الإسلام.

وقد قال تعالی: ورُسُلًا قد قصصناهُم علیکَ من قبل ورُسُلًا لم نقصصهم علیکَ.

وقال تعالی: یومَ یجمعُ اللَّه الرُّسُلَ.

وقال تعالی: وجیء بالنبیّین والشُّهداء، فسمّاهم اللَّه- عزّ وجلّ- بعد موتهم رُسلًا ونبیّین، والأصل الحقیقهٔ.

وکذلک أجمع المسلمون وجاء به النصّ: أنّ کلّ مُصلٍّ فرضاً أو نفلًا یقول فی تشّهده: السلام علیک أیُّها النبیّ ورحمهٔ اللَّه وبرکاته، ولو کان بعد موته فی حکم العدم لمّا صحّت هذه المخاطبهٔ». هذا معنی کلام ابن حزم.

ثمّ قال «إنّ ابن حزم أورد علی نفسه إیرادات، وأجاب عنها».

قلت: وقد حذفتها أنا لأجل الإطالهٔ، ولا تسع عقول العوامّ وکثیر مّمن أُشیر

ص: ۱۲۹

إليه بالعلم أن يدركها ويدرك الجواب.

ثم قال: «وإنّما أطلتُ النَّفَس فى هذه المسألة- وإن كانت فى غاية الوضوح- لقرب العهد بهذيان من أظهر الخلاف فيها، وأفسد به عقائد خَلْقٍ كثير من العوامّ، فلذلك استطرقتُ فى هذا المقام بما يتعلق بهذه المسألة هذا المقدار اليسير من الكلام، وللمقال فيها مجال واسع، لكن إشباع القول فى ذلك خارج عمّا نحن بصدده فى هذا الكتاب واللَّه تعالى أعلم».

وهذا الكتاب الذى أشار إليه ومنه نقلت يقال له: «شرح التعرّف لمذهب أهل التصوف».

وأعلم أرشدنا اللَّه وإياك أيها الموّفق المنزِّه المعظِّم لسيّد الأوّلين والآخرين صلى الله عليه و آله و سلم، ولذرّيّته الذين بهم تمّ الدين، ولسائر الصحابة رضى اللَّه عنهم، والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين- أنّ فى هذا الذى ذكره الأئمة كفاية لمن له أدنى فهم ودراية إلّاأنّى وعدت بذكر شىء، وخلف الوعد صعب شديد، فأنا أذكر نُبذة يسيرة، وأرجو من اللَّه- عزّ وجلّ- حصول البركة فيها، وقد ذكرت فى كتاب «تنبيه السالك على مظان المهالك» جملة كثيرة تتعلق بذلك وبغيره، وسُقتُ فيها فتواه المطولة والجواب عمّا قاله، ذكرته فى فضل الحجّ، واللَّه أعلم.

ومن الأمور المهمة: معرفة الإنسان حاله فى التوفيق والخذلان:

فمن الخذلان عدم إيمان الإنسان بالآيات والنذر، كما قال تعالى: وما تُغنى الآياتُ والنذُرُ عن قومٍ لا يؤمنونَ. قيل: المعنى لا تصل العقول الخالية عن التوفيق الى سبيل النجاة.

وما يُغنى ضياء العقل مع الخذلان، إنّما ينفع نور العقل مؤيّداً بنور التوفيق وعناية الأزل، وإلّا فإنّه متخبّط بإدراكه بعقله.

فإذا وعيت ما قلته، ووقفت على بعض ما أذكره من الأدّلة، ولم تجد قلبك

ص: ۱۳۰

مؤمناً بها، فاعلم أنّک من أهل الخذلان، ومرقوم فی حزب الشیطان، وتابع لأهل البدع عصاهٔ الرحمن.

قال کعب الأحبار: «تجد الرجل یستکثر من أنواع البرّ، ویحتاط فی (۱) صنائع المعروف، ویکابد سهر اللیل وشدّهٔ ظمأالهواجر، وهو مع ذلک لا یساوی عند اللَّه جیفهٔ حمار».

یشیر الی أهل البدع والتبرّی منهم؛ بحیث لا یمکن سمعه من ذی هوًی.

لما صالح عمر رضـی الله عنه أهل بیت المقدس، وقدم علیه کعب الأحبار، وأسـلم، وفرح به عمر رضـی الله عنه وبإسـلامه، قال له عمر رضی الله عنه: «هل لک أن تسیر معی الی المدینهٔ، وتزور قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم وتنتفع بزیارته؟ قال: نعم یاأمیر المؤمنین أفعل ذلک».

فهذا صریح فی الندب الی زیارهٔ قبره صلی الله علیه و آله و سلم وشدّ الرحل وإعمال المطیّ إلیه.

والکلام علی هذا یأتی إن شاء اللَّه تعالی.

فی بقاء النبی بعد موته والاستغاثهٔ به

بیان زندقهٔ من قال: إنّ روحه صـلی الله علیه و آله و سـلم فنیت، وإنّ جسـده صار تراباً، وبیان زیغ ابن تیمیّـهٔ وحزبه فی جواب الفتوی التی زعم أنّه سُئل عنها:

فقال فی جوابه: «الحمد للَّهربّ العالمین. من اسـتغاث بمیّت أو غائب من البشـر، بحیث یدعوه فی الشدائد والکُرُبات، ویطلب منه قضاء الحاجات، فیقول:

«یا سـیدی الشـیخ فلان» أنا فی حسبک أو فی جوارک، أو یقول عند هجوم العدّو علیه: یاسیدی فلان یسترعیه أو یستغیث به، أو یقول نحو ذلک عند مرضه وفقره وغیر ذلک من حاجاته، فإنّ هذا ظالم ضالّ مشرک». وفی بعض النسخ: «کافر

۱- صائع المعروف صوابها صنائع. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۳۱

عاصٍ للّه تعالى بأتّفاق المسلمين، فإنّهم متّفقون على أنّ الميّت لا يُسأل ولا يُدعى، ولا يُطلب منه شىء؛ سواء كان نبيّاً أو غير ذلك».

ثمّ أكّد ما قاله بقصّة عمر والعبّاس فى الاستسقاء؛ تبعاً لشيخه الجارى خلف سلالة اليهود.

وأنت- أرشدك اللّه تعالى وبصّرك- إذا تأمّلتَ ما قاله فى هذا الجواب اقشعرّ جلدك، وقضيت العجب مّما فيه من الخبائث والفجور، وادّعاء اتّفاق المسلمين، وما فيه من الرمز الى تكفير الأنبياء وتضليلهم، والتلبيس على الأغبياء بقصّة عمر رضى الله عنه.

وليت شعرى! من أىّ الدلالات أنّ من توجّه الى قبر سيّد الأوّلين والآخرين صلى الله عليه و آله و سلم وتوسّل به فى حاجة الاستسقاء أو غيرها، يصير بذلك ظالماً ضالّاً مُشركاً كافراً؟!

هذا شىء تقشعرّ منه الأبدان، ولم نسمع أحداً فاه، بل ولا رمز إليه فى زمن من الأزمان، ولا بلد من البلدان، قبل زنديق حرّان- قاتله اللّه عزّ وجلّ وقد فعل-.

جعل الزنديق الجاهل الجامد قصّة عمر رضى الله عنه دعامة (۱) للتوصّل بها الى خبث طويّته فى الازدراء بسيّد الأوّلين والآخرين وأكرم السابقين واللاحقين، وحطّ رتبته فى حياته، وأن جاهه وحرمته ورسالته وغير ذلك زال بموته.

وذلك منه كفر بيقين وزندقة محقّقة.

حرمة النبى وتعظيمه فى القرآن

فإنّه صلى الله عليه و آله و سلم حرمته وقدره ومنزلته عند ربّه ما زالت ولم تزل، وهو سيّد ولد آدم وأكرمهم على اللّه- عزّ وجلّ- على الدوام.

۱- قوله: «للتوصل بها الى خبث طويّته فى الازدراء...» الى آخره، الصواب أن تقدّم «فى» وتؤخّر «الى»؛ ليظهر معنى الكلام. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۳۲

ومن تأمّل القرآن العظیم وجده مشحوناً بذلک.

وقد ذکرت جملة من ذلک فی مولده صلی الله علیه و آله و سلم وأُشیر هنا الی نُبذة یسیرة من ذلک؛ لیتحقّق السامعُ لها خُبثَ هذا الزندیق، وما انطوی علیه باطنه من الخبث، بإبداله هذه الأنواع من التعظیم بالازدراء وما فاه به من الفجور والافتراء کما تری.

سلْ عن فضائله الزمانَ لتُخَبرا فنظیر مجدِکَ یا محمّد لا یُری

ولقد جمعتَ مناقباً ما استجمعتْ مااستعجمت یا سیّدی فتُفسّرا

ما بین مجدِکَ والمحاوِلِ نیلَه إلّا کما بین الثُّریّا والثَّری

عصمة النبی

فمن ذلک: أنّه سبحانه وتعالی تولّی عصمته بنفسه، فقال تعالی: واللَّهُ یعصمُکَ من النَّاسِ.

وحقّاً عصمه- عزّ وجلّ- فی ظاهره وباطنه؛ حفظه فی ظاهره من أن ینالوا ما همّوا به، وردّ کیدهم فی نحورهم، وحفظه فی باطنه من الناس من أن یکون منه إلیهم التفات، أو یکون له بهم اشتغال؛ صان سرّه عن موارد السکون إلیهم، وعن نزغات الشیطان وفلتات النفس.

ومنها: قوله تعالی: لا تجعلوا دُعاءَ الرَّسول بینَکم کدُعاءِ بعضِکم بعضاً.

قیل: معناه لا تدعوه باسمه، کمایدعو بعضکم بعضاً: یا محمّد، یا عبداللَّه، ولکن فخمّوه وعظموه وشرّفوه، وقولوا: یانبی اللَّه یارسول اللَّه، مع لین وتواضع.

قاله مجاهد وقتادة.

وقیل: معناه احذروا دعاء الرسول علیکم، فإنّ دعاءه مستجاب لا یردّ، لیس کدعاء غیره. قاله ابن عباس رضی اللَّه عنهما.

وقیل: معناه من ضیّع حرمة الرسول صلی الله علیه و آله و سلم فقد ضیّع حرمة اللَّه- عزّ وجلّ-

ص: ۱۳۳

ومن ضیّع حرمة اللَّه فقد دخل فی دیوان الأشقیاء، وحرمة الرسول صلی الله علیه و آله و سلم من حرمة اللَّه تعالی، بل من ضیّع حرمة الأولیاء فقد عرّض نفسه للهلکة.

ومنها: قوله تعالی: إنّا أرسلناکَ شاهداً؛ أی علیهم بالتوحید ومبشراً؛ أی لهم بالتأیید والمغفرة ونذیراً؛ أی محذراً إیّاهم الزیغ والضلالات لتؤمنوا باللَّهِ ورسولِهِ وتُعزّروهُ وتُوقِّروهُ أی تعظّموه تعظیماً یلیق به وبمرتبته.

قال الأئمة: لم یؤمن بالرسول من لم یُعزّه ویُعزّ أوامره ویُوقّره ویوقّر أصحابه رضی اللَّه عنهم.

ومنها: قوله تعالی: فالذَّین آمنوا بهِ؛ أی بمحمّد صلی الله علیه و آله و سلم وعزّروهُ؛ أی وقّروه ونصروهُ؛ بذلوا أنفسهم فی نصرته وأموالهم واتَّبعوا النّورَ الذی أُنزلَ معه وهو القرآن أُولئک هُم المفلحونَ؛ أیالفائزون؛ حصر الفلاح فیهم.

فهذه الآیات موجبة لتوقیره وتعظیمه وتبجیله وتعریف قدره عند ربّه.

ومنها: قوله تعالی: من یطع الرّسولَ فقد أطاعَ اللَّهَ.

قال عمر رضی الله عنه بعد وفاة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم- أثناء کلام طویل-: بأبی أنت وأمّی یارسول اللَّه، لقد بلغ من فضیلتک عند اللَّه أن جعل اللَّه- عزّ وجلّ- طاعتک طاعته.

وقال جعفر الصادق معناه: «من عرفک بالنبوّة والرسالة فقد عرفنی بالربوبیّة والأُلوهیّة».

وقیل: «بطاعتک یصل العبد الی الحقّ، وبمخالفتک یقطع عنه». وقیل غیر ذلک.

ومن أحسنها: «من ألزم نفسه طاعته وصحّح الاقتداء به، أوصله الی مقامات الأنبیاء والصدّیقین والشهداء؛ ألا تری قوله تعالی: ومن یطع اللَّه والرّسول فأولئک مع الذَّین أنعمَ اللَّه علیهم من النبیّین والصِّدِّیقین والشهداءِ الآیة.

ومنها:- وهو أبلغ مّما تقدم- قوله تعالی: إنّ الذَّین یُبایعونک؛ أی یامحمّد

ص: ۱۳۴

إنّما يبايعونَ اللَّهَ نفى سبحانه وتعالى الواسطة فى المبالغة، وقد تنبّه لذلك أرباب المعانى والقلوب، العارفون بمراتبه صلى الله عليه و آله و سلم وما وهبه اللَّه تعالى من سنىّ الأوصاف التى لا تليق بغيره، ولا يقدر على حملها إلّاهو، قالوا: إنّ البشريّة فى نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم عارية وإضافة، دون الحقيقة» (۱) وهو كلام حكيم منوَّر القلب.

وقال بعضهم: لم يُظهر الحقُّ- سبحانه وتعالى- مقامَ الجمع على أحد بالتصريح إلّا على أخصّ نَسَمة وأشرفها، وهو المصطفى، فقال: إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعونَ اللَّه.

ومنها: قوله تعالى: ورَفعنا لك ذكركَ قال ابن عبّاس رضى اللَّه عنهما «المراد الأذان والإقامة والتشهّد والخطبة على المنابر، فلو أنّ عبداً عبد اللَّه وصدّقه فى كلّ شىء ولم يشهد أنّ محمداً رسول اللَّه، لم يسمع منه ولم ينتفع بشىء، وكان كافراً».

وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه:(أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية، فقال: قال اللَّه- عزّ وجلّ- إذا ذُكرتُ ذُكِر معى).

وقال قتادة رضى الله عنه: «رفع اللَّه ذكره فى الدنيا والآخرة».

وقيل: رفع ذكره بأخذ الميثاق على النبيّين، وألزمهم الإيمان به والإقرار به.

وقيل: ورفعنا لكَ ذِكركَ ليعرف المذنبون قدر رتبتك لدىّ ليتوسّلوا بك الىّ، فلا أردّ أحداً عن مسألته، فأُعطيه إيّاها إمّا عاجلًا وإمّا آجلًا، ولا أُخيب من

۱- قوله عارية: «وإضافة دون الحقيقة» لفظ «إضافه» بالضمير هو «إضافة» بالتاء، ومعنى هذا الكلام غامض، وكأنّ قائليه يريدون أن يقولوا: إنّ حقيقته صلى الله عليه و آله و سلم مَلَكية وإن كانت صورته بشريّة، وهو معنًى يكون مدحاً إن سُلِّم أنّ حقيقة الملكية أفضل من حقيقة البشريّة، وليس لنا قسم آخر يُراد إلحاقه صلى الله عليه و آله و سلم به إلّاالإلهية، ولا يتصوّر أن يكون مراداً للقائلين، فليعلم. انتهى مصحّحه.

ص: ۱۳۵

توّسل بک وإن کان کافراً.

ألا ترى قوله تعالى: وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذّين كفروا وسيأتى الكلام على هذه الآية. وقيل غير ذلك.

ولمّا هاجر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم الى المدينة قيل: بكت مكّة لفقده بدموع الحرقة على الخدّ، وقالت: وا أسفاه على من أُنزل عليه: لا أُقسمُ بهذا البلدِ وهو مكّة لحلولک فيه.

ومن جعل «لا» أصلية، فالمعنى: لا أُقسمُ بهـذا البلـدِ وأنت حالّ فيه، بل أُقسم بک وبحياتک وهذا يدلّ على عُلُوّ قدره عند ربّه، ورفعته التى لم يُفزْ بها غيره.

وفى حديث عائشة رضى اللَّه عنها:(أنّ جبريل- عليه الصلاة والسلام- قال:

قلبتُ مشارق الأرض ومغاربها، فلم أرَ رجلًا أفضل من محمّد صلى الله عليه و آله و سلم).

وقـال ابن عبّاس رضـى اللَّه عنهما- من روايـة أبى الجوزاء رضـى الله عنه-: «ما خلق اللَّه ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم على اللَّه من محمّد صلى الله عليه و آله و سلم، ولاـ رأيت اللَّه- عزّ وجلّ- أقسم بحياة أحـد إلّابحياته، فقال: لَعمرُک إنّهم لَفى سـكرتِهم يعمهونَ، والعمه فى البصيرة والعمى فى البصر».

وفى رواية عطاء عن ابن عبّاس رضى اللَّه عنهما: «المعنى: وعيشک يا محمّد إنّهم لفى سكرتهم يعمهون».

وقال بعضـهم: أقسم بحياة محمّد لأنّ حياته كانت به، وهو فى قبضة الحقّ وبساط القرب وشرف الانبساط، ومقام الاتّفاق الذى لا يقوم به غيره، فبحياتـک يكون القسم، فـإنّ الكـلّ زاغوا وما زغتَ، وما لوا وما ملتَ؛ حتّى برأناک ونزّلناک منزلـة ما نالها غيرک، ولا ينالها أحد سواک.

وقيل: المعنى وحياتک التى خصصت بها بين الخلق، فحيوا بالأرواح، وحييت بنا.

ص: ۱۳۶

ولهذا تتمّة مهمّة ذكرتها فی المولد يتعين الوقوف عليها.

وقيل: أقسم اللَّه- عزّوجلّ- فی الأزل بحياته؛ ليظهر شرفه وعُلوّ قدره ودُنُوّ منزلته عنده؛ ليتوسّل المتوسّلون به إليه قبل بروزه إلی الوجود، وفی حياته وبعد وفاته وفی عرصات القيامة.

ولهذا وغيره لم يزل أهل الايمان يتوسّلون به فی حياته وبعد وفاته من غير نكير.

التوسل بالنبی قبل مولده

وكان أهل الكتاب لهم علم من ذلك، فكانوا يتوسّلون به قبل وجوده، فيُستجاب لهم، كما قال اللَّه تعالی: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا.

وقال ابن عبّاس رضی اللَّه عنهما: «كانت أهل خيبر تقاتل غطفان، كلّما التقوا هزمت غطفانُ يهود، فعاذت يهود بهذا الدعاء: «اللّهمّ إنّا نسألك بحقّ النبیّ الذی وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلّانصرتنا عليهم»، فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء هزمت يهودُ غطفان».

ويهود غير منصرف للعلميّة والتأنيثِ، علم علی (۱) قبيلة- فلمّا بُعث النبیّ صلی الله عليه و آله و سلم كفروا به، فأنزل اللَّه عزّوجلّ: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا...؛ أی يدعون بك يا محمّد إلی قوله: فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.

وإذا كان عزّوجلّ يستجيب لأعدائه بالتوسّل به صلی الله عليه و آله و سلم إليه سبحانه، مع

۱- هی أُمّة موسی عليه وعلی نبيّنا الصلاة والسلام. انتهی.

ص: ۱۳۷

علمه- عزّوجلّ- بأنّهم يكفرون به ويؤذونه، ولا يتّبعون النور الـذى أُنزل معه قبل وجوده وبروزه إلى الوجود وإرساله رحمـة للعالمين، فكيف لا يستجيب لأحبّائه إذا توسّلوا به بعد وجوده- عليه الصلاة والسلام- وبعثته رحمة للعالمين؟!

وإذا كان رحمة للعالمين، فكيف لا يتوسّل ولا يتشفّع به؟!

المنكر للتوسل: أسوأ من اليهود

ومن أنكر التوسّل به والتشفّع به بعد موته وأنّ حرمته زالت بموته، فقد أعلم الناس ونادى على نفسه أنّه أسوأ حالًا من اليهود، الـذين يتوسّلون به قبل بروزه إلى الوجود، وأنّ فى قلبه نزغة هى أخبث النزغات.

توسل أبى البشر آدم بالنبى ليغفر له

وهذا آدم عليه السلام توسّل به، كما هو مشهور، ورواه غير واحد من الأئمة.

منهم الحاكم فى «مستدركه على الصحيحين» من حديث عمر رضى الله عنه، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم:(لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ بحقّ محمّد لمّا (۱) غفرتَ لى.

فقال اللّه: يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربّ لأنّك لمّا خلقتَنى بيدك ونفختَ فىَّ من روحك، رفعتُ رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلّا اللّه محمّد رسول اللّه، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلّاأحبّ الخلق إليك. فقال: يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إلىّ، وإذ سألتنى بحقّه فقد غفرتُ لك، ولولا محمّد لما خلقتُك) (۲).

۱- أى: «إلّا» انتهى.

۲- المستدرك على الصحيحين للحاكم ۲/ ۶۱۵.

ص: ۱۳۸

قال الحاكم: صحيح الإسناد (۱)، ورواه الطبرانی، وزاد:(وهو آخر الأنبياء من ذُرّيّتك).

ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عبّاس رضی اللَّه عنهما بزيادة بلفظ:

(أوحى اللَّه إلى عيسى: يا عيسى آمن بمحمّد، ومُرْ من أدركه من أُمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقتُ آدم، ولولا محمّد ما خلقتُ الجنّة والنار. ولقد خلقتُ العرش على الماء فاضطرب، فكتبتُ عليه لا إله إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه فسكن) قال الحاكم فی «مستدركه»: هذا صحيح الإسناد، ولم يخرجاه (۲)؛ يعنی البخاری ومسلم.

فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤنة وصحّح الحديث، وقد رواه غير واحد من الحفّاظ وأئمة الحديث بألفاظ:

منهم أبو محمّد مكّی، وأبو الليث السمرقندی وغيرهما:(أنّ آدم عليه السلام عند اقترافه قال: اللّهمّ بحقّ محمّد عليك اغفر لی خطيئتی).

ويروى نفيل:(فقال اللَّه: من أين عرفت محمّداً؟ قال: رأيت فی كلّ موضع من الجنّة مكتوباً: لا إله إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه).

ويروی:(محمّد عبدی ورسولی،

۱- لا التفات بعد هذا التصحيح من الحاكم- وهو الحاكم- إلى طعن طاعن فی هذا الحديث، وقد رأينا من يطعن فيه وفی أمثاله من الأحاديث التی يصحّحها الحاكم، وهی دالّة على سُموّ شرفه- عليه الصلاة والسلام- وعُلوّ منزلته عند ربّه، كأنّ هذا الطاعن اُوذی ممّن يستخفّون بشأنه- عليه الصلاة والسلام- فصدر منه ذلك الطعن؛ طاعة لشعوره وهو لا يشعر أو يشعر، وكأنّ هذه المسألة- مسألة عِظَم حُرمته صلی الله عليه و آله و سلم ورفعة شأنه- موضع خلاف بيننا وبين هؤلاء الناس، ونحن لا نسلّم هذا الخلاف إلّابعد أن نسمع من هذه الشِّرْذِمة: أنّ كلام اللَّه تعالى مطعون فی صدقه أيضاً، فإذا قالوها سكتنا عنهم، ويكونون بذلك أراحوا واستراحوا، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل. انتهى مصحِّحه.

۲- المستدرك على الصحيحين للحاكم ۲/ ۶۱۵.

ص: ۱۳۹

فعلمت أنّه أكرم خلقك عليك، فتاب اللَّه عليه وغفر له).

وفى روايـة الحافظ الآجرى:(فقال آدم: لمّا خلقتنى رفعتُ رأسـى إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه، فعلمت أنّه ليس أحـد أعظم قدراً عندك ممّن جعلتَ اسـمه مع اسـمك، فأوحى اللَّه إليه: وعزّتى وجلالى إنّه لآخر النبيّن من ذُرّيّتك، ولولاه ما خلقتُك. قال: وكان آدم عليه السلام يكنّى: أبا محمّد).

بدا مجدُهُ من قبلِ نشأةِ آدمٍ وأسماؤهُ فى العرشِ من قبلُ تكتبُ (۱)

وعن ابن عبّاس رضى اللَّه عنهما فى قوله تعالى: وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال:

«لوح من ذهب فيه مكتوب:

عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب؟!

عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك؟!

عجباً لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئنّ إليها؟!

أنا اللَّه لا إله إلّاأنا محمّد عبدى ورسولى».

وعن ابن عبّاس رضى اللَّه عنهما أيضاً قال: «على باب الجنّة مكتوب: إنّى أنا اللَّه لا إله إلّاأنا محمّد رسول اللَّه، ولا اعذّب من قالها».

وذكر السـميطارى: أنّه شاهـد فى بعض بلاـد خراسـان مولوداً ولـد وعلى جبينه مكتوب: لاـ إله إلّـااللَّه محمّـد رسول اللَّه، وذلـك بقلم القدرة.

وذكر الأخباريّون: أنّ ببلاد الهند ورداً أحمر مكتوباً (۲) عليه بالأبيض: لا إله إلّا اللَّه محمد رسول اللَّه.

۱- أى كُتبتْ، والتعبير بالمضارع بحكاية الحال الماضية. انتهى.

۲- يتعيّن نصب لفظ مكتوب» لأنّه وصف لمنصوب. انتهى مصحِّحه.

ص: ۱۴۰

وفی بعض البوادی حیوان مکتوب علی شِقّه الأیمن: لا إله إلّااللّه، وعلی شِقّه الأیسر: محمّد رسول اللّه، وذلک بقلم القدرة، وهو مرئیّ ظاهر لکلّ من له بصر، وذکر غیر ذلک.

فسیّد الأوّلین والآخرین عظیم عند ربه، نوّه بذکره فی الأزل وفی الکون العُلوی والسُّفلی؛ لیعلم أنّه الفاضل الکامل، وأنّه أعظم الوسائل.

مناظرة المنصور العباسی و مالک إمام المذهب

قال أبو حمید: ناظر أبو جعفر أمیر المؤمنین مالکاً فی مسجد رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فقال له مالک: لا ترفع صوتک فی هذا المسجد.

فإنّ اللّه– عزّوجلّ– أدّب أقواماً، فقال: لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ الآیة.

ومدح قوماً، فقال: إِنَّ الَّذِینَ یَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ الآیة.

وذمّ قوماً، فقال: إِنَّ الَّذِینَ یُنَادُونَکَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَکْثَرُهُمْ لَا یَعْقِلُونَ.

وإنّ حرمته میّتاً کحرمته حیّاً.

فاستکان لها أبو جعفر، فقال: یا أبا عبداللّه أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم؟

فقال: ولِمَ تصرف وجهک عنه، وهو وسیلتک ووسیلة أبیک آدم إلی یوم القیامة؟!

بل استقبله واستشفع به، فیشفعه (۱) اللّه عزّوجلّ.

۱– قوله: «فیشفعک اللّه» السیاق یقتضی أن یکون «فیشفعک» فیشفعه؛ لأنّه هو صلی الله علیه و آله و سلم الشافع. انتهی مصحّحه.

ص: ۱۴۱

قال اللّه تعالی: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوااْ أَنْفُسَهُمْ جاؤُوک فَاسْتَغْفَرُوا اللّه وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً.

القصّهٔ معروفهٔ مشهورهٔ، ذکرها غیر واحد من المتقدّمین والمتأخّرین بأسانید جیّدهٔ.

ومنهم القاضی عیاض فی أشهر کتبه، وهو «الشفاء» المشهور بالحسن والإتقان فی سائر البلدان.

ومنهم الإمام العلّامهٔ هبهٔ اللّه فی کتابه «توثیق عری الإیمان».

وقد اشتملت هذه القصّهٔ علی تعظیمه بعد وفاته، وأنّه حیّ، والتوسّل به، وحسن الأدب فی حقّه کما فی حیاته، وأنّ فی الآیهٔ الحثّ علی المجیء إلیه لیستغفر له، ولیس فی الآیـهٔ تعرّض لزمن حیاته دون الوفاهٔ، وکذا فهم العلماء مالک وغیره- کما یأتی إن شاء اللّه تعالی- العموم، واستحبّوا لمن زار قبره المکرّم أن یتلو هذه الآیهٔ، ویستغفر ویتوسّل به ویطلب الشفاعهٔ منه.

ولم نعلم أنّ أحداً طعن فی قصّهٔ مالک إلّاهذا الفاجر ابن تیمیّهٔ، فإنّه لمّا کان فیها هذه الفضائل طعن فیها، وقال: إنها مکذوبهٔ.

فإنّ هذا شأنه؛ إذا وجد شـیئاً لا مساس فیه لما ابتدعه قال به وقبله ولم یطعن، وإذا وجد شیئاً علی خلاف بدعته طعن فیه وإن اتُّفق علی صحّته، ولا یذکر شیئاً علی خلاف هواه وإن اتُّفق علی صحّته.

لا سیّما إذا کان آیهٔ أو خبراً عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم.

ولو أمکنه أن یطعن فی الآیهٔ لفعل (۱)، إلّاأنّه تعرّض لتخصیصها، وهی دعوی

۱- هـذا المبدأ علیه أتباعه المفتونون به إلی الیوم، یعرف ذلک منهم من یلتفت لحالهم أدنیالتفاتهٔ، فالواجب علی المسـلم أن لا یعتبر تصـحیحهم لحـدیث ولا تضـعیفهم، فإنّهم للهوی یصـحّحون ویضـعّفون، واحب أن یأخـذ القاریء قول الإمام الحصـنی: ولو أمکنه أن یطعن فی الآیهٔ لفعل علی ظاهره، دون أن یظنّ فیه أیّ مبالغهٔ، ولیطّرده فی أتباعه کذلک. انتهی مصحِّحه.

ص: ۱۴۲

مجرّدة وعلی خلاف ما فهمه العلماء من العموم ووقع العمل علیه.

فمن ادّعی التخصیص بغیر دلیل سمعیّ ظاهر الدلالة قطعنا بخطئه واتّهمناه، واستدللنا بذلک علی استنقاصه سیّد الأوّلین والآخرین الکامل المکمّل، وهو کفر بإجماع أهل التوحید.

الأعرابی المتوسّل بجاه النبی

وذکر القرطبی فی تفسیره عن علی رضی الله عنه أنّه قال:(قدم علینا أعرابیّ بعدما دُفن رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه بثلاثة أیام، فرمی بنفسه علی قبر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، وحثا علی رأسه من ترابه، ثمّ قال: قلتَ یا رسول اللَّه فسمعنا قولک، ووعیت عن اللَّه- عزّوجلّ- فوعینا عنک، وکان فیما أنزل علیک: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوکَ الآیة، وقد ظلمتُ نفسی وجئتُک تستغفر لی، فنودی من القبر: قد غفر لک).

وهذه القصّة غیر قصّة العتبی.

قصّة العتبی فی التوسل بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم

وقصّة العتبی مشهورة فی غایة الشهرة، وقد ذکرها الأئمّة فی کتبهم قدیماً وحدیثاً.

وکُنیة العتبی أبو عبد الرحمن، واسمه محمد بن عبداللَّه بن عمرو، وکان من أفصح الناس، وصاحب أخبار، وصاحب روایة للآثار، حدّث عن أبیه وعن

ص: ۱۴۳

ابن عُيينة.

وقد ذكر قصّته خلائق.

منهم ابن عساكر فى تاريخه.

وذكرها الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه مثير الغرام الساكن، وذكرها غيرهما بالأسانيد.

وممّن ذكرها الإمام العلّامة– المتّفق على علمه ودينه وزهده– أبو زكريّا يحيى ابن شرف النووى– قدّس اللَّه روحه ونوّر ضريحه– قال فى زيارة قبره: إنّها من أعظم القُربات وأفضل المساعى والطلبات، وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه، ويتشفّع به إلى ربّه، ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين له.

قال العتبى: كنتُ جالساً عند قبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، فجاء أعرابىّ فقال: السلام عليك يا رسول اللَّه، سمعتُ اللَّه يقول: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوكَ فاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّه تَوَّاباً رَحِيماً وقد جئتُك مستغفراً من ذنبى، مستشفعاً بك إلى ربّى، ثمّ أنشأ يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أعظُمُهُ فَطابَ مِن طِيبِهِنَّ القاعُ والأُكُمُ

نفسى الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ فيه العفافُ وفيه الجودُ والكَرَمُ

قال: فرأيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم، فقال: «يا عتبى، إلحق الأعرابى، فبشّره بأنّ اللَّه قد غفر له» (۱).

وفى رواية غيره: «إلحق الأعرابى، وبشّره بأنّ اللَّه قد غفر له بشفاعتى»، فخرجت فلم أجده.

۱– وهكذا رواه الماردى فى الأحكام السلطانية ص ۱۰۹– ۱۱۰، الباب العاشر.

ص: ۱۴۴

فأفاد النووی- قدّس اللَّه تعالی روحه-: أنّ أصحاب الشافعی استحسنوا ذلک، وحکوه عن غیرهم.

وأفاد شـمول الآیهٔ للحیاهٔ والممات، وأنّه یستشفع به إلی ربّه، وساق ذلک مساق ما هو متّفق علیه، ولم یتعرّض لذلک أحد بالإنکار فی سائر الأعصار، وزدتُ أنا هذین البیتین لعلّی یلحقنی نصیب من شفاعته، وهما:

وفیه کلُّ خصالِ الحمدِ قد جُمعتْ فَلذْ بِهِ فَهْوَ مَن تُرعی لَهُ الذِّمَمُ

وَهْوَ الذی یُرتجی فی کلّ مُعضلهٍ وفی المعادِ إذا زلّتْ بنا القَدم

قصهٔ الراهبین مع أبی عبدالله الفرحی

وقال السیّد الجلیل قطّاع المفاوز علی قدم التوکّل أبو عبد اللَّه الفرحی- قدّس اللَّه سرّه ونوّر ضریحه-: خرجتُ مرّهٔ أُرید الزیارهٔ من طریق المفاوز، فوقعت فی التیه، فکنت فیه أیّاماً حتّی أشرفتُ علی الموت، فبینا أنا کذلک إذ رأیت راهبین (۱) یسیران، کأنّهما خرجا من مکان قریب یریدان دَیْراً لهما بالقرب، فملتُ إلیهما، فقلت: أین تریدان؟ فقالا: لا ندری. فقلت: من أین أتیتما؟ قالا: لا ندری. قلت:

۱- هذه القصّهٔ فیها خبیء خفی ولعل هذین الراهبین ملکان أو ولیّان للّه‌تعالی أرسلهما سبحانه‌وتعالی للشیخ الفرحی لینتقل بحالهما من حاله إلی حال أرفع، کما تری فی القصّهٔ، وأمّا أنّهما راهبان حقیقهٔ، فهذا ما لا یستطیع العقل فهمه، فإنّا لا نعرف أنّ اللَّه تعالی یُکرم إلّاالصادقین من عباده المؤمنین، فکیف یُکرم بهذه الکرامهٔ الباهرهٔ- التی تضمنتها القصّهٔ- راهبین کافرین بسیّد أنبیائه، وهما یعرفانه حقّ المعرفهٔ کما تری من کلامهما؟! فاعرف ذلک. انتهی مصحّحه.

ص: ۱۴۵

فتـدریان أین أنتمـا؟ قالاـ نعم، نحن فی ملکه، وبین یـدیه. قال: فأقبلتُ علی نفسـی أقول لها: راهبان یتحقّقان بالتوکّل دونک. ثمّ قلت لهما: أتأذنان لی فی الصحبة؟

فقالا: ذاک إلیک.

قال: فسـرنا، فلمّا أمسـینا قاما إلی صلاتهما، وقمت إلی صلاة المغرب، فتیمّمتُ وصلّیتُ، فنظرا إلیّ وقد تیمّمتُ فضحکا منّی، فلمّا فرغا من صلاتهما، بحث أحدهما بیده فإذا بالماء قد ظهر، وإذا بطعام موضوع.

قال: فبقیت أتعجّب من ذلک، فقالا لی: اُدنُ وکُلْ واشرب.

قال: فأکلنا وتوضّأتُ، وقاما فلم یزالا فی صـلاتهما وأنا فی صـلاتی حتّی أصـبحنا، فصلّیت الفجر، ثمّ قاما یسیران، فسرنا (۱) إلی اللیل، فلمّا أمسینا تقدّم الآخر، فصلّی بصاحبه، ثمّ دعا بدعوات ثمّ بحث الأرض بیده، فنبع الماء وظهر الطعام، فقالا لی: ادنُ وکُلْ واشرب.

قال: فأکلنا وشـربنا وتوضّأت للصـلاة، ثم نضب الماء وغار حتّی لم یبقَ له أثر، فلمّا کانت اللیلـة الثالثـة، قالا لی: یا مسـلم اللیلة نوبتک.

قال: فاستحییت من قولهما، ودخلنی من ذلک همّ شدید.

قـال: فقلت فی نفسـی: اللّهمّ إنّی أعلم أنّ ذنوبی لم تـدعْ لی عنـدک جاهاً، ولکنّی أسألک وأتوسّل إلیک بنبیّک المکرّم عنـدک: ألّا تفضحنی عندهما، ولا تُشمت (۲) بنبیّک محمد صلی الله علیه و آله و سلم.

قال: فإذا بعین خرّارة وطعام کثیر، قال: فأکلنا وشربنا، ولم نزل علی حالنا حتّی بلغت النوبة الثانیة إلیّ، قال: فدعوتُ بمثل ما دعوتُ أوّلًا وتوسّلتُ بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فإذا بطعام اثنین وشراب اثنین دون ما کان. قال: فتقاصرتُ إلی

۱- قوله فساروا بالجمع بل الصحیح: «فسرنا»، کما هو مقتضی السیاق.

۲- ای تشمتهما. انتهی مصحّحه.

ص: ۱۴۶

نفسی، وقصرتُ عن الأکل، وأریتهما أنّی آکل، فسکتا عنّی.

قال: وسرنا حتّی بلغت النوبة الثالثة إلیّ، قال: فدعوتُ بمثل ما دعوتُ وتوسّلتُ بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم وقوی حالی فی أمر صدق توسّلی به صلی الله علیه و آله و سلم علمی بأنّه وسیلة من قبلی، فإذا بطعام اثنین والماء مثل ذلک، فغمّنی ذلک.

قال: فغلبتنی عینای من الهمّ خوف الشماتة بدیننا، فإذا بقائل یقول لی:

أدرکناک بالإیثار الذی خصصنا به محمّداً من دون الأنبیاء (۱)، وهی علامته وکرامة أُمّته من بعده إلی یوم القیامة.

قال: فلمّا بلغت النوبة الرابعة إلیّ قالا: بلی یا مسلم ما هذا؛ إنّا نری فی طعامک وشرابک نقصاً، فلم ذلک؟ فقلت لهما: أو لم تعلما أنّ هذا خصّ اللّه- عزّوجلّ- به نبیّه محمّداً صلی الله علیه و آله و سلم من بین الأنبیاء، وخصّ أُمّته به من بعده، إنّ اللّه- عزّوجلّ- یرید لی الإیثار، وقد آثرتکما اقتداء بنبی الکرم، فقالا: صدقت.

ثمّ قالا: نشهد أنْ لا إله إلّااللّه، ونشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدی ودین الحقّ، صدقت فی قولک، هذا خلق محمّد فی کتب اللّه المنزلة؛ إنّ اللّه- عزّوجلّ- خصّ محمّداً وأُمّته بذلک. قال: وحسن إسلامهما.

قال: ثم قلت لهما فی الجمعة والجماعة، فقالا: ذلک واجب؟ قلت: نعم فاسألا اللّه تعالی وادعوا أن یخرجنا من هذا التیه إلی أقرب الأماکن.

فدعوا، فبینا نحن نسیر إذا نحن ببیوت قد أشرفنا علیها، فإذا هی بیت المقدس.

قال: فدخلنا المسجد، وأقمنا أیاماً، ثمّ تجدّد لی سفر ففارقتهما، وقد مُلیء قلبی

۱- أی خصصنا به أُمّة محمّد صلی الله علیه و آله و سلم من دون أُمم الأنبیاء، وإلّا فالأنبیاء جمیعاً أوائل أهل الإیثارصلیّ اللّه وسلّم علیهم جمیعاً. انتهی صحّحه.

ص: ۱۴۷

فرحاً بإسلامهما وبصحّهٔ (۱) توسّـلی بالنبیّ صـلی الله علیه و آله و سلم، وأنّه غیاث الصادقین فی محبته (۲)، السالکین خلفه فی صدقه مع ربّه وصحّهٔ الاعتماد علیه.

فانظر- أرشـدک اللَّه- کیف بصـدق التوسّل به جری ما جری؛ من حصول الکرامات من نبع الماء والطعام والاهتداء، فله عزّوجلّ المنّهٔ علی ما أکرمنا به، وعلی ما وهب الأولیاء من آثار معجزاته.

قصهٔ سفیان الثوری مع المصلی علی النبی فی الطواف

وقـال سـفیان الثوری: بینا أن أطوف بالبیت؛ وإذا أنا برجل یرفع قـدماً ولا یضع اخری، إلّاوهو یصـلّی علی النبیّ صـلی الله علیه و آله و سلم، فقلت: یا هـذا إنّک ترکت التسبیح والتهلیل، وأقبلت علی الصـلاهٔ علی النبیّ صـلی الله علیه و آله و سـلم، فهل عنـدک من هـذا شیء، فقـال لی: من أنت؟ قلت: سـفیان الثوری، فقـال: لولاـ أنّک غریب فی أهل زمانک، لما أخبرتک عن حالی، ولما أطلعتک علی سرّی.

ثم قـال: خرجت أنـا ووالـدی حـاجّین إلی بیت اللَّه الحرام وإلی زیـارهٔ سیّد الأنام، حتی إذا کنّا ببعض المنازل مرض والـدی، فعالجته فمـات، فلمّـا مات اسودّ وجهه فغلبتنی عینای من الهمّ، فنمت فإذا أنا برجل لم أرَ أجمل منه ولا أنظف ثوباً ولا أطیب رائحهٔ منه، فـدنا من والـدی وکشف عن وجهه وأمرّ یـده علیه، فعـاد وجهه أبیض، ثمّ ذهب، فتعلّقت بثوبه وقلت له: یا عبـداللَّه من أنت الـذی منّ اللَّه- عزّوجلّ- علیّ وعلی والدی بک فی دار الغربهٔ؛ لکشف هذه الکُربهٔ؟

فقال: أو ما تعرفنی أنا محمّد بن عبداللَّه صاحب القرآن. أمّا إنّ والدک کان مسرفاً علی نفسه، ولکنّه کان یُکثر الصلاهٔ علیّ، فلمّا نزل به ما نزل استغاث بی،

۱- قوله: «وبصحبهٔ توسّلی» صوابه: وبصحّهٔ توسّلی... الخ. انتهی مصحّحه.

۲- قوله: «فی محبّهٔ السالکین»، صوابه: فی محبّته، السالکین... إلی آخره. انتهی مصحِّحه.

ص: ۱۴۸

وأنا غياث من أكثر الصلاة عليّ.

قال: فانتبهت فإذا وجه والدی قد ابيضّ.

فانظر أرشدك اللَّه- عزّوجلّ- إلی جلاله وتعظيمه فی حياته وبعد وفاته، كيف أغاث من استغاث به حتّی فی البرزخ؟!

فهو- عليه الصلاة والسلام- كما قيل:

غياثٌ لملهوفٍ وغيثٌ لآملٍ وعينٌ لظمآنٍ وعونٌ لذی جَهْدِ

له فَوق إيوان الزمانِ مراتبٌ يُقصِّر عنها الأنبياء أولو المجْدِ

فموسی وعيسی والخليلُ ونوحُهمْ يقولون طه منتهی السُّؤْلِ والقصدِ

حوی قَصَباتِ السَّبْق من قبلِ آدمٍ وكهلًا وأيامَ الطفولة فی المهدِ

بِهِ طيبةٌ طابتْ ولاغرْو قدْ حوتْ طبيبَ قلوب الخلق من مرض الجَحْدِ

فلولاهُ ما اشْتاقتْ قُلوبٌ نفيسة إلی الشيح من أرض الحِجازِ ولا الرَّنْدِ

ولا ذُكِرتْ سَلْعٌ ونعمانُ والنّقا ولا استُعذِبتْ من شدّةِ الوجدِ للوجدِ

فسبحان من قرّبه وبجّله وعظّمه ومنحه وتوّجَهُ خِلَعَ الفضائل، وجعله أعظم ما يُتوَجّه به إليه وأعظم الوسائل:

ص: ۱۴۹

حدیث عثمان بن حنیف والضریر المتوسل بالنبی

روی التِّرمذی من حدیث عثمان بن حنیف رضـی الله عنه:(أنّ رجلًا ضـریر البصـر جاء إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فقال: ادعُ لی أن یعافینی اللَّه. فقال: إن شـئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خیر لک. قال: فادعه، فأمر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم أن یتوضّأ فیُحسن الوضوء، ویـدعو بهـذا الـدعاء: «اللّهمّ إنّی أسألک وأتوجّه إلیک بنبیّک محمّـد نبیّ الرحمهٔ، یا محمّد إنی توجّهت بک إلی ربّی فی حاجتی هذه لتُقضی، اللهمّ شفّعه فیّ) (۱).

قال الترمذی: حدیث حسن صحیح، ورواه النسائی بنحوه.

ورواه البیهقی، وزاد محمّد بن یونس فی روایته:(فقام وقد أبصر).

وفی روایهٔ شعبهٔ:(فَفَعل فبریء).

وفی روایهٔ:(یا محمّد إنّی توجّهتُ بک إلی ربّی فتجلی عن بصری، اللّهمّ شفّعه فیّ وشفّعنی فی نفسی).

قال عثمان رضی الله عنه: فواللَّه ما انصرفنا ولا طال الحدیث، حتّی جاء الرجل کأنّه لم یکن به ضرّ (۲).

فهذا حدیث صـحیح صـریح فی التوسّل والاسـتجابهٔ، ولیس فیه: أنّه فعل ذلک فی حضـرهٔ النبیّ صـلی الله علیه و آله و سلم، ولیس فیه التقیید بزمن حیاته، ولا أنّه خاصّ بذلک الرجل.

بل إطلاقه- علیه الصلاهٔ والسلام- یدلّ علی أنّ هذا التوسّل مستمرّ بعد وفاته

۱- سـنن الترمذی کتاب الدعوات رقم ۳۵۰۲، ورواه ابن ماجه فی سـننه کتاب إقامهٔ الصـلاهٔ رقم ۱۳۷۵، ومسند أحمدء، الشامیین رقم ۱۶۶۰۴.

۲- وفی روایهٔ: أنّه قال- علیه الصلاهٔ والسلام-:(وإن کان لک حاجهٔ فمثل ذلک). انتهی مستنسخ النسخهٔ.

ص: ۱۵۰

شفقهٔ عليهم؛ لأنّه بهم رؤوف رحيم، ولاحتياجهم إلى ذلك في حاجاتهم.

ويـدلّ على ذلك أنّ عثمان بن حنيف- راوى الحـديث- هو وغيره فهموا التعميم، ولهذا اسـتعمله هو وغيره بعد وفاته صـلى الله عليه و آله و سلم.

كما رواه الطبرانى فى «معجمه الكبير» فى ترجمهٔ عثمان بن حنيف رضـى الله عنه، ذكره فى أوّل الجزء الخمسـين من مسـنده:(أنّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنه فى حاجهٔ له، فكان عثمان لا ينظر فى حاجته، فلقى الرجل عثمان بن حنيف، وشكا (۱) إليه ذلك.

فقال له عثمان بن حنيف رضى الله عنه: «إئتِ الميضاهٔ فتوضّأ، ثمّ ائتِ المسجد فصلّ ركعتين، ثمّ قل: «اللّهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد نبىّ الرحمهٔ يا محمّد إنّى أتوجّه إلى ربّى» فُتقضى (۲) حاجتك، وتذكر حاجتك. ورُحْ حتّى أروح معك.

فـذهب الرجل، وفعل ما قاله عثمان بن حنيف له، ثمّ إنّ الرجل أتى إلى باب عثمان بن عفان رضـى الله عنه، فجاء البوّاب، فأخـذ بيـده حتّى أدخله إلى عثمـان بن عفـان رضـى الله عنه، فـأجلسه معه على الطُّنْفُسـهٔ، فقـال: حاجتـك، فـأعلمه بهـا، فقضاهـا، وقـال ما ذكرت حاجتك إلّاالساعهٔ. ثمّ قال عثمان بن عفان رضى الله عنه: ما كان لك من حاجهٔ فاذكرها.

ثمّ إنّ الرجل خرج من عند عثمان ابن عفانّ رضـى الله عنه، فلقى عثمان بن حنيف رضـى الله عنه، فقال له: جزاك اللَّه خيراً؛ أما إنّه ما كان ينظر فى حاجتى، ولا يلتفت إلىّ حتّى كلّمته فىّ.

فقـال عثمـان بن حنيف رضـى الله عنه: مـا كلّمتهُ، ولكن شـهدت رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سـلم أتاه ضـرير، فشـكا إليه ذهاب بصره، فقال له عليه الصلاهٔ والسلام: أوَ تصبر؟ فقال يا

۱- قوله: «وشكى» يُرسم «شكا» بالألف. انتهى مصحّحه.

۲- قوله: «فتُقضـى حاجتك» ليس بظاهر معناه، وقد راجعتُ الأصل، فرأيت النصّ:(فتقضـى حاجتى، وتذكر حاجتك... إلى آخره، وبه يتّضح المعنى. انتهى مصحِّحه.

ص: ۱۵۱

رسول اللَّه إنّه لیس لی قائد، وقد شقّ علیّ.

فقال علیه الصلاهٔ والسلام: إئتِ المیضاهٔ فتوضّأ، ثمّ صلّ رکعتین، ثمّ ادعُ بهذه الدعوات.

قال عثمان بن حنیف: فواللَّه ما انصرفنا ولا طال الزمان؛ حتّی دخل علینا الرجل کأنّه لم یکن به ضرّ قطّ).

ورواه البیهقی بإسناده من طریقین.

فهذا من أوضح الأدلّهٔ علی الاحتجاج للتوسّل بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم بعد وفاته کحیاته، لفعل (۱) عثمان راوی الحدیث ولفعل غیره فی حیاته وبعد وفاته، وهم أعلم باللَّه- عزّوجلّ- وبرسوله صلی الله علیه و آله و سلم من غیرهم، وإلیهم تُرجع الأُمور فی القضایا التی شاهدوها فی زمنه وأخذوها عنه رضی اللَّه عنهم (۲).

ومن عدل عن ذلک فقد أفهم عن نفسه إنّ عنده ضغینهٔ لهم.

وهذا من الواضحات الجلیّات التی لا یُنکرها إلّاصاحب دسیسهٔ؛ أعاذنا اللَّه تعالی من ذلک.

حرمهٔ الرسول بعد وفاته

وقال القاضی عیّاض فی أشهر کتبه المتداولهٔ بین الناس وهو «الشفاء»:

«الفصل الثانی: فی حرمته بعد وفاته، وأمّا حرمهٔ (۳) النبی صلی الله علیه و آله و سلم بعد وفاته وتوقیره وتعظیمه، فهو لازم کما کان فی حیاته.

وذلک عند ذکره- علیه الصلاهٔ والسلام- وذکر حدیثه وسُنّته وسماع اسمه

۱- الکاف فی قوله: «کعفل» لام. انتهی مصحِّحه.

۲- قوله: «وأخذوها عنهم رضی الله عنه» تؤخّر فیه «عنهم»، وتقدّم «عنه» کما هو ظاهر. انتهی مصحِّحه.

۳- الصواب: «وحرمهٔ» ویُحذف الضمیر. انتهی مصحِّحه.

ص: ۱۵۲

وسيرته ومعاملة آله، وتعظيم أهل بيته وصحابته واجب على كلّ مؤمن متى ذُكر عنده.

أن يخضع ويخشع ويتوقّر ويسكن من حركته، فيأخذ فى هيبته وإجلاله بما كان يأخذ بعينه (۱) لو كان بين يديه، ويتأدّب بما أدّبنا اللَّه- عزّوجلّ- به».

وقال ابن حبيب: إذا دخلت مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فصلّ ركعتين بين الروضة والمنبر، ثمّ اقصد القبر من تجاه القبلة وادْنُ منه، ثمّ سلّم على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم وأثْنِ عليه وعليك السكينة والوقار، فإنّه- عليه الصلاة والسلام- مسلّم (۲)، ويعلم وقوفك بين يديه.

وكذا قاله غيره من الأئمة.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى: أمّا زيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- فأحضرْ قلبك لتعظيمه ولهيبته، وأحضر عظيم رتبته فى قلبك، واعلم أنّه عالم بحضورك وتسليمك.

وهذا الذى قالاه معروف مشهور؛ لأنّ الصحابة رضى اللَّه عنهم كانوا يغضّون أصواتهم فى مسجده تعظيماً له وتوقيراً.

وفى البخارى: «أنّ عمر رضى الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كُنتما من أهل البلد لأوجعتُكُما؛ ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم».

وكانت عائشة رضى اللَّه عنها إذا سمعت دقّ الوتد أو المسمار يضرب فى بعض الدور المطنبة لمسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم ترسل اليهم لا تؤذوا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

وروى أنّ عليّاً رضى الله عنه لمّا عمل مِصْراعى داره، ما عملهما إلّابالمناصع

۱- قوله: «بما كان يأخذ بعينه» عبارة الشفاء: «بما كان يأخذ به نفسه...» إلى آخره. انتهى محصّحه.

۲- قوله: «مسلِّم» بتشديد اللام؛ أى رادّ عليك السلام الذى تسلّمه عليه. انتهى مصحِّحه.

ص: ۱۵۳

توقّياً لذلک.

والآثار بمثل ذلک کثیرة جدّاً.

وکذا الأخبار بعرض الصلاة علیه.

وکذا بردّ (۱) روحه الشریفة العظیمة الکریمة علی اللَّه- عزّوجلّ- وإذا ثبت ردّها ثبتت حیاته، وإذا ثبتت حیاته وجب القطع بصحّة التوسّل به.

فضیلة الصلاة علی النبی

فی ابن ماجة من حدیث أبی الدرداء رضی الله عنه:(أنّه- علیه الصلاة والسلام- قال:

أکثروا علیّ من الصلاة یوم الجمعة، فإنّه مشهود تشهده الملائکة، وإنّ أحداً لن یصلّی علیّ إلّاعُرضت علیّ صلاته حتّی یفر منها.

قال: قلت: یا رسول اللَّه وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، فإنّ اللَّه حرّم علی الأرض أن تأکل أجساد الأنبیاء، فنبیّ اللَّه حیّ یُرزق) (۲).

وقال علیه الصلاة والسلام:(إنّ للَّهملائکة سیّاحین فی الأرض یبلّغونی عن أُمّتی السلام) رواه النسائی، وکذا الحاکم من حدیث ابن مسعود رضی الله عنه وصُحّح (۳).

وقال علیه الصلاة والسلام:(ما من أحد یسلّم علیّ إلّاردّ اللَّه علیّ روحی

۱- سیأتی للمصنّف شرح الحدیث الوارد بذلک، وتوضیحه: أنّ الوجود لا یخلو لحظة منمسلّم علیه صلی الله علیه و آله و سلم، فهو دائماً یرد السلام، فهو دائماً مردودة علیه روحه، فهو دائماً حیّ. وشرح الحدیث: بأنّ جملة «ردّ ...» إلی آخره حالیة تحلّ إشکال الحدیث کذلک، وهناک أحادیث اخری کثیرة تدلّ علی حیاة الأنبیاء فی البرزخ بلا قید ولا شرط، وهو أمر مُجمَع علیه بنین علماء الأُمّة، فلیعلم. انتهی مصحّحه.

۲- سنن ابن ماجة فی الجنائز رقم ۱۶۲۷.

۳- سنن النسائی/ السهو رقم ۱۲۶۵، والمستدرک علی الصحیحین للحاکم ۲/ ۴۲۱، ورواه أحمد فی المسند رقم ۳۴۸۴ و ۴۰۹۳، وسنن الدارمی فی کتاب الرقاق رقم ۲۶۵۵.

ص: ۱۵۴

حتّى أردّ عليه السلام) رواه أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بإسناد جيّد (۱).

قال البيهقى: معنى قوله: إلّا ردّ اللّه عليه روحه: إلّاوقد ردّ اللّه عليه روحه لأجل سـلام من سـلّم عليه، واستمرّت فى جسده؛ لأنّه لا يبلى، ولا تفتر صلاة المصلّين عليه، ولا سلام المسلّمين عليه من الثقلين وغيرهم.

وقال عليه الصـلاة والسـلام:(لا تجعلوا قبرى عيـداً، وصـلّوا علىّ، فإنّ صـلاتكم تبلغنى حيثما (۲) كنتم) رواه أبـو داود من حـديث أبى هريرة رضى الله عنه بإسناد صحيح (۳).

والأحاديث فى ذلك كثيرة.

وقال كعب الأحبار: «ما من فجر يطلع إلّاأَنزل اللّه سـبعين ألفاً من الملائكة؛ حتّى يحفّوا بالقبر الشـريف، يضـربون بأجنحتهم، ويصـلّون على النبىّ صـلى الله عليه و آله و سـلم؛ حتّى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم، وصـنعوا مثل ذلك؛ حتّى إذا انشقّت الأرض خرج رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فى سبعين ألفاً من الملائكة يوقّرونه».

وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهانى صاحب الترغيب، عن أنس رضى الله عنه، قال:

قال رسول اللّه صـلى الله عليه و آله و سـلم:(من صـلّى علىّ فى يوم جمعة وليلة جمعة مائة من الصـلاة، قضى اللّه له مائة حاجة، سبعين من حوائـج الآخرة، وثلاثين من حوائـج الـدنيا، ووكل بـذلك ملكاً يُدخله على قبرى، كما يُدخل عليكم الهدايا؛ إنّ علمى بذلك بعد موتى كعلمى به فى حياتى).

وقال السيّد الجليل سلمان بن شحيم- قدّس اللّه تعالى روحه-: «رأيت النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام، فقلت: يا رسول اللّه الذين يأتونك ويسلّمون عليك تفقه

۱- سنن أبى داود المناسك رقم ۱۷۴۵، ورواه أحمد فى المسند رقم ۱۰۳۹۵.

۲- توصل «حيث» ب «ما». انتهى مصحّحه.

۳- سنن أبى داود المناسك رقم ۱۷۴۶، ورواه أحمد فى المسند رقم ۸۴۴۹.

ص: ۱۵۵

سلامهم؟ قال: نعم وأردّ عليهم».

وقـال بعض المشايـخ: رأيت رسـول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سـلم فى النـوم، فقلت: اسـتغفر لى، فـأعرض عنّى. فقلت: يـا رسول اللَّه استغفر لى، فـأعرض عنّى. فقلت: يا رسول اللَّه إنّ سـفيان بن عيينـة حـدّثنا عن محمّـد بن المنكـدر، عن جابر أنّك لم تُسأل شـيئاً قطّ فقلت: لا، فأقبل علىّ، وقال: غفر اللَّه لك.

وكان موهوب ابن الجزرى الشافعى إماماً عالماً فاضـلًا مفيـداً، يشارك فى سائر العلوم مشاركـة جيّـدة، مع العقل والـدين والإيثار لأهل الضـرورات، وكان يتّجر فكثر ماله، فأراد الصاحب أن يتعرّض له، قال: فخفت منه خوفاً شديـداً، فلمّا كان فى بعض الليالى رأيت النبىّ صلى الله عليه و آله و سـلم فى المنـام، فقلت: يا رسول اللَّه إنى خائف من الصاحب، فقال: لا تخف منه وقل له بعلامـة كـذا وكـذا: لا تُؤْذِنى، فرسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم يشفع فىّ.

فلمّـا انتبهتُ صـليتُ الصبح، وركبت دابّتى، ووقفتُ للصاحب فى الطريق وهو طالع إلى القلعـة، قال: فسـلمتُ عليه وصـحبته، وقلت له: معى رسالة، فقال: ممّن؟

قلت: من رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سلم، وقال: قل له بعلامة كذا وكذا، فقال: صدقت أنت، وصدق رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سـلم، وأنـا اليوم أتشـفّع بـك إلى رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سـلم، فالمولى يرسم والمملوك يمتثل، ومهما كان لك من الحوائج تعرّفنى بها، أو لأحد أصحابك.

وطلب بعض أمراء الجور رجلًا أراد منه شـيئاً، وهـدّده تهديـداً، وتوعّده (۱) بالعقوبات، فقال له الرجل: أنا أتشـفّع إليك بسـيّد الأوّلين والآخرين أن لا تتعرّض لى بما لا يحلّ لك، فلم يلتفت إليه، ولا إلى قوله، فلمّا أصبح الصباح طلب الأمير الرجل، وأكرمه بعد أن فكّ عنه الطلب، فقيل للأمير فى ذلك، فقال رأيت البارحة رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله و سلم، فنهرنى، وهمّ بى، وقال: يتشفّع بى إليك ولا تقبل، فواللَّه لا يتشفّع

۱- الصواب حذف ألف «تواعده». انتهى. مصحِّحه.

ص: ۱۵۶

به أحد إلىّ إلّاقبلتُ شفاعته، فإنى خفتُ على نفسى الهلكة.

وعن منصور بن عبداللَّه قال: سمعت ابن الجلاء يقول: دخلت مدينة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم وبى شىء من الفاقة، فتقدّمت إلى القبر، فسلّمتُ على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وعلى ضجيعيه أبى بكر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه، ثمّ قلت: يا رسول اللَّه بى فاقة وأنا ضيفك الليلة، ثمّ تنحّيت ونمتُ بين القبر والمنبر، وإذا أنا بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم قد جاءنى، ودفع إلىّ رغيف خبز، فأكلتُ نصفه، فانتبهتُ فإذا فى يدى نصف الرغيف.

ومن تتمّة القصّة: أن قال ابن الجلاء: إنّه دام بعد ذلك أربعين سنة، لم يحتج فيها إلى طعام الدنيا ولا إلى شرابها ببركة تلك الأكلة.

قال العلماء: الظاهر أنّ ما أتاه به النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم من طعام الجنّة؛ لأنّ من أكل من طعام الجنّة استغنى عن طعام الدنيا.

قالوا: وهذه رؤيا حقّ؛ لما جاء فى الحديث:

(من رآنى فى المنام فقد رآنى حقّاً، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بى).

ومثل هذا وقع للسيّد الجليل أبى الخير الأقطع، صاحب المقامات الباهرة والكرامات الظاهرة، قال: دخلت مدينة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً، فتقدّمت إلى القبر، وسلّمتُ على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وعلى أبى بكر وعمر رضى اللَّه عنهما، وقلت: أنا ضيفك يا رسول اللَّه، وتنحّيت ونمت خلف القبر، فرأيت فى المنام النبى صلى الله عليه و آله و سلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله، وعلىّ بين يديه، فحرّكنى، وقال: قم قد جاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، قال: فقمت إليه وقبّلتُ بين عينيه، فدفع إلىّ رغيفاً فأكلتُ نصفه، وانتبهتُ وإذا فى يدى نصف رغيف.

قال العلماء: وإنّما يبقى نصف الرغيف ليتحقّق الأمر، وتظهر الكرامة لأولياء اللَّه- عزّوجلّ- الذين سلكوا سبيله بصدق صلى الله عليه و آله و سلم، ورضى عنهم.

وقال ابن أبى ذرعة الصوفى: سافرتُ مع أبى ومع ابن حنيف إلى مكّة، وأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وبتنا طاوين، وكنت دون

ص: ۱۵۷

البالغ فكنت أجىء إلى أبى غير دفعة، وأقول: أنا جائع، فأتى والدى إلى الحضرة الشريفة، وقال: يا رسول اللّه أنا ضيفك الليلة، وجلس على المراقبة، فلمّا كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكى ساعة ويضحك ساعة، فقال: رأيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فوضع فى يدى دراهم، وفتح يده فإذا فيها دراهم، وبارك اللّه تعالى لنا فيها إلى أن رجعنا [إلى] شيراز، فكنّا نُنفق منها.

وقال السيّد الجليل أبو العبّاس أحمد الصوفى: تهت فى البادية ثلاثة أشهر، وانسلخ جلدى، فدخلت المدينة الشريفة، وجئت إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فسلّمتُ عليه وعلى صاحبيه، ثمّ نمتُ، فرأيتُ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم، فقال لى: يا أحمد جئت.

قلت: نعم، وأنا جائع، وأنا فى ضيافتك. فقال لى: افتح كفّيك (۱)، ففتحهما فملأهما دراهم، فانتبهتُ وهما مملوءتان، فقمت فاشتريت لى خبزاً حوارى وفالوذجاً وأكلتُ، وقمتُ للوقت ودخلت البادية.

ومثل هذا كثير، وهؤلاء رجال صدقٍ يقطعون البوادى على قدم التوكّل، لا يعتمدون على غيره، ولا يأنسون بسواه، وتقع لهم ألطاف وأُمور عجيبة.

وقد ذكرت جملة من ذلك فى كتاب(تنبيه السالك) فى فصل الكرامات، فمن أراد أن يقف على الغرائب والعجائب، فلينظر فيه وفيما وهب لهم من الكرامات على مقدار طبقاتهم.

وخرج بعض المشايخ يريد الزيارة فى جماعة من الفقراء، قال: فلمّا وصلنا إلى شِعْب النَّعام أدركنا العطش، وبيننا وبين المدينة مراحل، قال: فاستغثتُ بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وصليتُ ونمتُ، فرأيتُ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: مرحباً بك وبجماعتك، وضمّنى إلى صدره وقبّلنى، فقبّلتُ يده الكريمة وقدمه، وقلت له: يا سيّدى يا

۱- الصواب «ففتحتهما». انتهى. مصحِّحه.

ص: ۱۵۸

رسول اللّه أنا خائف على أصحابنا من العطش، فقال: لا تخف فإنّا نسيّر لكم الماء، وها نحن نُعدّ لكم الضيافة، ورأيته- عليه الصلاة والسلام- مشمّر الأكمام، فجاءنا السيل فى تلك الليلة، وملأنا ركابنا، فلمّا قدمنا المدينة تلقّانا أحد خدّام النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقال لى: سلّم على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وأشتهى أن أجتمع بك حتى أُوفى لك بما أوصانى به النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فلمّا سلّمتُ على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم جئتُ إليه، فقال لغلامه: جىء بالمائدة فجاء بها وعليها كلّ خير يراد، فالتفت إلىّ، وقال: كُلْ هذا الذى أوصانى به النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وقال لى: هذه ضيافتك يا فلان، وسمّانى باسمى.

وما يبعد أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم سمّاه.

كما وقع لغيره من الخدّام من تسمية أقوام قصدوا زيارته من أرض شاسعة، كما أخبرنى به الشيخ محمّد فولاذ فى المسجد الأقصى، وكان من الأخيار وكثير التعبّد والإيثار، وحجّ ماشياً ما يزيد على ثلاثين حجّة، قال لى: إذا جاء أوان الحجّ هاج بى الشوق إلى تلك المعاهد الشريفة وإلى زيارة سيّد الأوّلين والآخرين، فآخذ زادى على ظهرى وإناء الماء، وأسير مع الناس إلى جانب، وأنا مشغول بحالى، قال: فاتّفق أنّى تحدّثتُ أنا وخادم الضريح، وتذاكرنا مواهب اللّه- عزّوجلّ- لسيّدنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، فقال لى: يا شيخ محمّد إنّى أخدم هذا الضريح ستّين سنة، فاتفق فى يوم حارّ أنّى سمعتُ السرير يصرصر، وسمعتُ صوته- عليه الصلاة والسلام- وهو يقول: «وعليك السلام يا فلان بن فلان»، وسمّى ثمانية أنفس.

قال الخادم: فقمتُ من ساعتى، وجئتُ الضريح وإذا بشخص كاد أن يموت من الهزال، جالس عند الضريح، فسلّمتُ عليه، وقلتُ: ما اسمك؟ فقال: فلان بن فلان لأحد الثمانية، فقلت له: وأين رفقتك؟ فقال: عند باب الحرم قد عجزوا عن الوصول إلى الضريح. قال: فعمدت إليهم فإذا ثلاثة من الذين سمّاهم

ص: ۱۵۹

رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، فقلتُ: وأین بقیّتکم؟ فقالوا: فارقناهم من وراء تلک الأکمهٔ.

قال: فأخذت ما أحملهم علیه وماءً وشیئاً من الأکل، ومضیت، فوجدتُ الأربعهٔ قد قضوا فجهّزتهم.

ثمّ رجعتُ إلی الأربعهٔ، فأخذتُهم وأکرمتُهم وسألتُهم: من أین ورودهم؟

فقالوا: من بلاد شاسعهٔ تعاقدنا وتعاهدنا علی زیارهٔ سیّدنا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، وأن لا نرجع عن ذلک ولو ذهبت أنفسنا، فأمّا نحن فقد أعطانا اللَّه- عزّوجلّ- مرادنا، وأمّا إخواننا الذین ماتوا عند الأکمهٔ، فنرجو أنّ اللَّه- عزّوجلّ- لا یخیّب مسعاهم.

ووقع مثل ذلک کثیراً جداً وقد دوّنه الأئمّهٔ، کابن أبی الدنیا وغیره، وعقدوا له باب الاستغاثهٔ بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وخرّجوه بأسانیدهم علی اختلاف الوقائع، وفیها ما یتعلّق بالصدّیق والفاروق رضی اللَّه عنهما (۱).

ابن تیمیهٔ فی قبره

قلت: وبلغنی أنّه لما دُفن ابن تیمیّهٔ، قال شخص بعد ثلاثهٔ أیام: قد اضطرب القول فی هذا الرجل، واللَّه لأنظرنّ ما صنع اللَّه به، قال: فحفر قبره، فوجد علی صدره ثُعباناً عظیماً هاله منظره.

فکان الرجل یحذّر الناس من اعتقاده، ویُعلمهم بما رأی، واللَّه أعلم.

۱- لا ریب فی أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أکرم الناس علی اللَّه تعالی، ولأجل عینه تکرم الآف العیون، من آله الکرام والمؤمنین من صحابته العظام، وسائر محبّیه وزواره، وذلک ثابت بالنص والیقین، من دون حاجهٍ إلی الرکون إلی الأطیاف والمنامات والأحادیث التی لا خطم لها ولا أزمّهٔ، فهی لا یحتجّ بها علی ما فی کثیر منها من الخرافات والخزعبلات والمخالفات للشرع الأقدس، فکیف للنسب إلی ساحهٔ الرسول المقدّس. وهی بمقدار صفحات من الأصل، فلا حاجهٔ إلی ذکرها، فلتراجع فی الأصل لیعرف صحّهٔ ما ذکرناه.

ص: ۱۶۰

الاستغاثة بالنبی علی طول التأریخ ولو من بعید

والمراد أن الاستغاثة بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم واللواذ بقبره مع الاستعانة به، کثیر علی اختلاف الحاجات، وقد عقد الأئمة لذلک باباً، وقالوا: إنّ استعانة من لاذ بقبره وشکا إلیه فقره وضرّه، توجب کشف ذلک الضرّ بإذن اللَّه تعالی:

فمن ذلک ما أخبر به یوسف بن علی قال: رکبتنی دیون، فقصدت الخروج من المدینة الشریفة، ثمّ جئتُ إلی قبر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، فاستغثت به فی وفاء دینی، فنمتُ فرأیتُ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فأشار علیّ بالجلوس، فاستیقظت فقیّض اللَّه لی من وفی دینی.

وقال بعضهم: بلغنا أنّ أبا اللیث یقرأ القرآن فی المصحف؛ من غیر تعلّم سبق منه للکتابة، وکنت أنکر ذلک، قال: فدخلتُ مکّة فوجدته یقرأ القرآن فی المصحف قراءة محمودة، فسألته عن سبب ذلک؟ فقال: کنتُ فی مدینة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أبیتُ فی المسجد وأخلو به فتشفّعتُ إلی اللَّه- عزّوجلّ- بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أن یسهّل علیّ القرآن فی المصحف. قال: وجلست فأخذتنی سِنَة، فرأیتُ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم وهو یقول:

قد أجاب اللَّه تعالی دعاءک، فافتح المصحف واقرأ القرآن. قال: فلما أصبح الصباح فتحتُ المصحف، وشرعتُ أقرأ القرآن، فکنت أقرأ فی المصحف، فربّما تتصحّف علیّ الآیة، فأنام فأری من یقول لی: الآیة التی تصفّحتْ علیک کذا وکذا.

وذکر ابن عساکر فی تاریخه: أنّ أبا القاسم ابن ثابت البغدادی، رأی رجلًا بمدینة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، أذّن الصبح عند قبر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، فقال فیه: الصلاة خیر من النوم، فجاءه خادم من خَدَم المسجد فلطمه حین سمع ذلک منه، فبکی واستغاث بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وقال: یا رسول فی حضرتک یُفعل بی هذا الفعل. قال: فضربه الفالج فی الحال، وحُمل إلی داره، فمکث ثلاثة أیّام، ثمّ مات.

وقال أبو العبّاس أحمد المقری الضریر التونسی: جعتُ بالمدینة ثلاثة أیام،

ص: ۱۶۱

فجئتُ إلى القبر، وقلت: يا رسول اللّه جعتُ. ثمّ نمتُ ضعيفاً، فلكزتنى جارية برجلها، فقمت إليها، فقالت: اعزم، فقمتُ معها إلى دارها فقدّمت لى خُبز بُرّ وتمراً وسمناً، وقالت: كُل أبا العباس، فقد أمرنى بهذا جدّى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.

قال أَبو العبّاس: فرجعتُ إلى بلادى، فرأيت النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم بمصر بعد رجوعى، فقال: أَوحشتْنا يا أبا العبّاس قراءتُك، وكنت أُكثر قراءة القرآن عند ضريحه. قال الباجى: كم قرأت من ختمة عند قبره؟ قلت: ألف ختمة.

وقال أبو العباس أحمد اللواتى: كانت عندنا بمدينة فاس امرأة، وكانت إذا أصابها أَمر أو شىء يفزعها، جعلت يدها على عينيها، واستغاثت بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فتغاث، فلمّا تُوفِّيت قال لى قريب لها: رأيتها فى النوم فقلت لها: يا عمّة أرأيتِ المَلَكينِ الفتّانين؟ فقالت: نعم جاءآنى، فعندما رأيتُهما جعلتُ يدى على عينى، وقلت: يا محمّد، فلمّا نزعت يدى عن وجهى فلم أرَهما.

وهذه القصّة ذكرها بعض الأئمة وعزاها، وقال: إنّ الاستغاثة من بعيد به صلى الله عليه و آله و سلم كالاستغاثة به عند قبره صلى الله عليه و آله و سلم.

وساق عن أبى إسحاق الحسين، قال: كنت بين مدينة النبى صلى الله عليه و آله و سلم والشام، فضلّ لنا جمل، قال: وكان قد بلغنى عن الشيخ أحمد الرفاعى أنه قال: من كانت له حاجة فليستقبل عبّادان نحو قبرى، ويمشى سبع خطوات ويستغيث، فإنّ حاجته تقضى. قال: فلمّا استقبلتُ عبّادان، وقصدتُ الاستغاثة، هتف بى هاتف: أما تستحى من رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم وتستغيث بغيره. قال: فتحوّلتُ نحو المدينة، فقتلتُ:

يا سيّدى يا رسول اللّه أنا مستغيث بك. قال: فواللّه ما استكملتُ ذلك إلّاوالجمّال يقول لى: هذا الجمل قد وجدناه.

وسافر بعض الفقراء لقصد زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فتاه فى الطريق، فاستغاث بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فظهرت له قبّة العبّاس رضى الله عنه وبينه وبين الموضع المذكور يومان

ص: ۱۶۲

أو نحوهما.

وقال أبو الحجاج يوسف بن على- قدّس اللَّه روحه-: خرجتُ من مكّة متوجّهاً إلى المدينة على طريق المشاة، فتهتُ فى الطريق، فاستغثتُ بالنبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فإذا بامرأة آتية من نحو المدينة، وهى تشير إلى أن أمشى على أثرها، فلم أزل أمشى على أثرها إلى أن وصلتُ المدينة.

وقال: سمعتُ أبا عبداللَّه بن سالم يقول: رأيت فى المنام كأنّى فى بحر النيل، وإذا بتمساح يريد أن يقفز علىّ فخفت منه، وإذا بشخص وقع لى أنّه النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فقال لى: إذا كنت فى شدّة فقل: أنا مستغيث بك يا رسول اللَّه، فكنت أفعل فأُغاث، فأراد بعض الإخوان السفر لزيارته صلى الله عليه و آله و سلم، وكان ضريراً، فحكيتُ له الرؤيا، وقلت له: إذا كنت فى شدّة فقل: أنا مستغيث بك يا رسول اللَّه، فسافر فى تلك الأيام، فجاء إلى رابُغ وهى غزيرة الماء، وكان له خادم قد ذهب فى طلب الماء، قال: فبقيت القربة فى يدى وأنا فى شدة من طلب الماء، فذكرت ما قلت لى، وقلت:

أنا مستغيث بك يا رسول اللَّه، فبقيت أنا كذلك، وإذا بصوت يقول: زِمَّ قِرْبتك، وسمعت صرير الماء فى القِربة إلى أن امتلأت، ولم أعلم من أين أتى القائل.

وقال: سمعت محمد السلاوى يقول: لمّا ودّعتُ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، قلت: يا حبيبى يا محمّد يا سيّد الكونين أَنا أَدخل الصحراء، فإذا أخذتنى شدّة أدعو اللَّه وأتوسّل بك.

وجئت إلى أبى بكر وعمر رضى اللَّه عنهما، وقلت لهما كذلك. قال: فبقيت فى البرية سبعة أيّام، ووقعت فى جُبّ وفيه ماء، فبقيت فيه من أوّل النهار إلى ما بعد الظهر، فلم يبقَ إلّاالموت. قال: ففكرتُ ما كنتُ قلتُ عند النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وقلت: يا حبيبى يا محمّد الذى كنت قلت لك وقلت كذلك لأبى بكر وعمر رضى اللَّه عنهما، قال فكأنى بمن حوّلنى وطلعت ببركة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وصاحبيه رضى اللَّه عنهما.

وقال: أخبرنى رجل من مدينة طرابلس، قال: كنّا جائين من الاسكندرية فى

ص: ۱۶۳

مرکب، فهاج البحر علینا، وأشرفنا علی التلف والهلاک، فقمت إلی الناس، فقلت:

استغیثوا بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فإنّه غیاث، فقلنا جمیعاً: الغیاث یا رسول اللَّه، العفو یا رسول اللَّه، العفو یا رسول اللَّه، جانین مذنبین استجرنا بک، أجرنا یا محمّد الحبیب، یا حبیبنا یا شفیعنا یا ولیّنا.

فنام رجل من أهل المرکب مشهور بالخیر والصلاح، فرأی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وأخذ بیده، فقال: انجُ وأبشروا بالسلامة، فلمّا أفاق الرجل بشّرنا برؤیاه، فلمّا أصبح رجع البحر کالزیت، وکأنّه عقد بیضة، وجئنا إلی طرابلس سالمین ببرکته صلی الله علیه و آله و سلم.

وقال: سمعت أبا الحسن العسقلانی یقول: رکبنا البحر فی طلب جدّة، فهاج علینا، ورمینا ما معنا فیه، وأشرفنا علی التلف، فجعلنا نستغیث بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم ونحن نقول: وامحمّداه، وکان معنا رجل مغربیّ صالح، فقال لنا: ارفقوا حجّاج إنّکم سالمون، رأیت النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فی المنام، فقلت: یا رسول اللَّه أُمّتک یستغیثون بک قال:

فالتفت إلی أبی بکر الصدّیق رضی الله عنه، وقال: یا أبا بکر أَنجدهم. قال: فکأنّ عینی تری أبا بکر رضی الله عنه وقد خاض البحر، وأدخل یده فی مقدّم الحلَق، ولم یزل یجذبها حتّی دخل بها البرّ، فلِمَ تستغیثون فأنتم سالمون؟ فسلمنا ولم نَرَ بعد هذا إلّاخیراً، ودخلنا البرّ سالمین. والحمد للّهرب العالمین.

ولمّا قُتل الحسین بن علیّ رضی اللَّه عنهما- یوم عاشوراء أوّل سنة إحدی وستّین، وهو یومئذٍ ابن أربع وخمسین سنة ونصف شهر- ووقع ما وقع من السبی وحمل النساء والصبیان، فلمّا مرّوا بالقتلی صاحت زینب بنت علی رضی اللَّه عنهما مستغیثة بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم:(یا محمّداه هذا حسین بالعراء، مُزمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، یا محمّداه).

فلمّا کان سنة ثلاث وأربعمائة أخذ أهل الکوفة جدریّ عظیم، ثمّ عمی منهم ألف وخمسمائة کلّهم من نسل من حضر قتل الحسین رضی الله عنه. وهذا من أعجب ما سُمع.

ص: ۱۶۴

واعلم- أرشدک اللّه عزّوجلّ- أنّ مثل هذه القضایا کثیرة جدّاً، وقد ذکر جماعة من الأئمة من ذلک أُموراً عدیدة عجیبة، منهم البیهقی، ومنهم أبو محمّد عبدالحقّ، ومنهم بعض الأئمّة، وذکر جملة مستکثرة فی ذلک، وعقد أبواباً فی الاستغاثات بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم.

ومنها باب فی أصحاب العاهات، وذکر منها جملة مستکثرة من ذلک؛ علی اختلاف أنواع العاهات، کالعمی والصداع والزمانة ووجع البطن وغیر ذلک، وأنّه- علیه الصلاة والسلام- یضع یده الشریفة علی موضع العاهة فتزول ببرکة یده الشریفة، وتشفی وکأنّه ما به وجع قلبه (۱).

ثمّ إنّه مع ذلک قال: ولو تتبّعت هذا الفنّ لحفیت الأقلام، وجفّت المحابر، وفنیت الطُّروس فی تتبعه والدفاتر.

ثمّ قال: ولقد سألت بعض إخواننا المجتهدین، وکان بمدینة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم علی التجرید، فقلت: هل استغثتَ بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أو لجأت إلیه فی شیء قطّ مدّة إقامتک فی المدینة، فقال: کنتُ أستحی أن أسأله إذ کنت بحضرته صلی الله علیه و آله و سلم.

ثمّ قال: سمعت الفقیه الإمام برهان الدین بن الطیّب المالکی یقول: قال لی من أثق به وکان بمدینة النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وأنّه أصابه الجوع، فأتی قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فقال: یا رسول اللّه إنّی جائع، وجلس بالقرب من حجرة النبی صلی الله علیه و آله و سلم، فأتاه رجل من الأشراف، فقال له: قم، فقال: إلی أین؟ فقال: تأکل عندی شیئاً، فقام معه إلی بیته، فقدّم إلیه جَفْنة فیها ثرید ولحم ودهن، فأکل حتّی شبع، وأراد الانصراف، فقال له: کُل وازدد، فلمّا أراد الانصراف قال له: یا أخی الواحد منکم یأتی من البلاد البعیدة، ویقطع المفاوز والقِفار، ویترک الأهل والأوطان، ویقطع البحار،

۱- الصواب: قبله. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۶۵

ويأتى إلى زيارة النبىّ العظيم على ربّه صلى الله عليه و آله و سلم، وتكون همّته أن يطلب منه كسرة خبز، يا أخى لو طلبت الجنّة، أو المغفرة، أو الرضا، مهما طلبته منه لنلته ببركة هذا النبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم (۱).

هذا وعدم السؤال يكون للأكابر؛ لما يشاهدون فى الحضرة النبويّة من الإجلالات والكرامات العلوية.

وأنت- أرشدك اللَّه عزّوجلّ إلى الحقّ، وأزاح عنك الباطل- إذا استحضرت بعض ما تقدّم، وعطفت على قول هذا الزائغ: أنّ المسلمين متّفقون على أنّ الميّت لا يُسأل ولا يُدعى ولا يُطلب منه؛ سواء كان نبيّاً أو شيخاً أو غير ذلك.

قطعتَ بفجوره وببهتانه، وأنّه من أخبث الناس طويّة، وأنّه لا اعتقاد له، وهذه عادته بادّعاء الاتّفاق وبالإجماع المقطوع به، كما سيأتى عند ذكر شدّ الرحال وإعمال المطى وفى غير ذلك.

۱- هذا كلام جليل جدّاً، فليتأمّله القارىء، ولا يستكثر على منزلته صلى الله عليه و آله و سلم عند ربّه إغاثة أىّ ملهوف، فإنّه تعالى يسمع له فى الآخرة فى الشفاعة العظمى التى تشمل كلّ خلق اللَّه كافرهم كمؤمنهم، فيحمده لذلك الأوّلون والآخرون من الخلق، وإذا كان تعالى يُكرمه بذلك فى دار الجزاء- وقد غضب غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله- فعدمُ كلّ ما يُحكى فى هذه الدار [الدنيا] من أنواع إغاثته تعالى للمستغيثين به صلى الله عليه و آله و سلم بالنسبة لذلك المقام المحمود.

ص: ۱۶۶

من أنباء التوسل بقبر النبی و آثاره

وقد تقدّم توسّل آدم علیه السلام بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وأنّ اللَّه قبله بسبب التوسّل، وجعل هذا الزندیق آدم علیه السلام بتوسّله بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم ظالماً ضالّاً مشرکاً.

ولیس وراء ذلک زندقهٔ وکفر.

وروی عن أبی الجوزاء قال: قحط أهل المدینهٔ قحطاً شدیداً، فشکوا إلی عائشهٔ رضی اللَّه عنها ذلک، فقالت: اُمضوا إلی القبر واجعلوا منه کُوّهٔ إلی السماء؛ حتّی لا یکون بینها وبین السماء شیء.

ففعلوا فمطروا حتّی نبت العشب، وسمنت الإبل حتّی تفتّقت من الشحم، فسُمّی عام التفتّق.

وروی البیهقی بسنده إلی الأعمش، عن ابن صالح، قال: أصاب الناس قَحَطٌ فی زمن عمر رضی الله عنه، فجاء رجل إلی قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فقال: یا رسول اللَّه هلک الناس، استسقِ لاُمّتک، فأتاه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم فی المنام، إئتِ عمر فاقرأهُ منّی السلام، وأخبره أنّهم مُسقون، وقل له: علیک الکیس. قال: فأتی الرجل عمر فأخبره، فبکی عمر رضی الله عنه، وقال: یا ربّ ما آلوا إلّاما عجزتُ عنه.

فهذا رجل مبارک قد أتی قبره- علیه الصلاهٔ والسلام- وطلب الاستسقاء منه- علیه الصلاهٔ والسلام- فلو کان ذلک جهلًا وضلالًا وشرکاً لمنعه عمر رضی الله عنه، الذی احتجّ الزائغ باستساقه بالعبّاس.

وقد تقدّمت قصّهٔ عثمان بن حنیف، وهی من الاُمور المشهورهٔ.

التفریق فی التوسل بین الحیاهٔ والممات، باطل

فسکوت هذا الزائغ- القائل بمسألهٔ الفرق تبعاً لسلالهٔ الیهود- عن هذه الاُمور الواضحهٔ الجلیهٔ المشهورهٔ، والعدول إلی الفجور من أقوی الأدلّهٔ علی

ص: ۱۶۷

خُبث طويّته.

ومثل هذا لا يحلّ لأحد تقليده فيما يقوله، ولا ينظر فى كلامه إلّامن يكون أهلًا لمعرفة دسائس أهل البدع والزيغ، وإلّا هلك وأهلك. فتنبّه لذلك، وخذ حِذْرك، وإلّا هلكتَ من حيثُ ظننت السلامة.

وقوله: ولا يطلب منه شيء؛ سواء كان نبيّاً، أو شيخاً، أو غير ذلك.

قال الأئمّة الأعلام النقّاد أصحاب الأذهان الجيّدة: هذا منه كفر؛ لما فيه من حطّ رتبة الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- والإجماع على أنّ من غمط من نبيّ فى شيء من الأشياء كفر.

وأيضاً ففيه ترفيع غير الأنبياء إلى رُتبة الأنبياء وإلحاقهم بهم، وفيه إشارة بعيدة ترجع إلى اعتقاد الشيعة (۱)، وهو أنّ النبوّة عندهم تُكتسب بالرياضات وتهذيب النفس، وكتبهم (۲) مشحونة بهذا، وهذا من فجورهم، فإنّ النبوّة إنّما هى من اللَّه- عزّوجلّ- فمن نبّأه اللَّه- عزّوجلّ- فهو النبيّ، ومن أرسله فهو الرسول اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.

فتوى ابن تيمية بأن زيارة النبى فى قبره معصية

ومن الأُمور المنتقدة عليه: قوله: زيارة قبر النبيّ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها.

وهذا ثابت عنه أنّه قاله، وثبت ذلك على يد القاضى جلال الدين القزوينى.

۱- هذا ليس اعتقاد الشيعة، وإنّما هو اعتقاد الفلاسفة. هكذا رُؤى على حاشية خطّ الشيخ. انتهى. صاحب الأصل.

۲- كتب الشيعة موفورة ومنتشرة فى البلاد الإسلامية، ولم نعثر على كتاب واحد منهايذكر ذلك.

ص: ۱۶۸

فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها؛ من كون ذلك معصية، ومن ادّعى الإجماع وأنّ ذلك مقطوع به؟

فهذا الزائغ يُطالب بما ادّعاه من إجماع الصحابة رضى اللّه عنهم، وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمّة المسلمين إلى حين ادّعائه ذلك.

وما أعتقد أنّ أحداً يتجاسر على مثل ذلك.

مع أنّ الكتب المشهورة، بل والمهجورة، وعمل الناس فى سائر الأعصار على الحثّ على زيارته من جميع الأقطار، فزيارته من أفضل المساعى وأنجح القُرَب إلى ربّ العالمين، وهى سُنّة من سُنن المرسلين، ومجمع عليها عند الموحّدين، ولا يطعن فيها إلّامن فى قلبه مرض المنافقين، ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين؛ من المشركين الذين أسفروا فى ذمّ سيّد الأوّلين والآخرين.

ولم تزل هذه الأُمّة المحمّديّة على شدّ الرحال إليه على ممرّ الأزمان، من جميع الأقطار والبلدان، سار فى ذلك الزرافات والوحدان، والعلماء والمشايخ والكهول والشبّان.

حتّى ظهر فى آخر الزمان مبتدع من زنادقة حرّان، لبّس على أشباه الرجال ومن شابههم من سيّئى الأذهان، وزخرف لهم من القول غروراً، كما صنع إمامه الشيطان، فصدّهم بتمويهه عن سبيل أهل الايمان، وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيّات الطريق ومدرجة النيران، فهم برزيّته فى ظلمة الخطأ يعمهون، وعلى منوال بِدْعته يَهْرعون.

فتاوى العلماء باستحباب زيارة القبور

وسأذكر ذلك ماتحقّق بفجوره وبدعته وتضليل من مشى خلفه وهلكته، وأبيّن ما أظهره من القول الباطل ومارمز إليه وأُوضّحه لكلّ من سمعه ووقف عليه.

ص: ۱۶۹

ثمّ أُردف ذلک بما یدلّ علی المنهج من ذلک، فلا یزیغ عنه بعد ذلک إلّاهالک.

قال القاضی عیّاض- فی أشهر کتبه الذی شاع ذکره فی سائر البلاد، وقُریء فی المجامع والجوامع علی رؤوس الأشهاد-:

«فصل فی حکم زیارة قبره- علیه الصلاة والسلام- وفضل من زاره، وکیف یسلّم علیه ویدعو؟ وزیارة قبره سُنّة من سُنن المرسلین، مُجمع علیها، ومرغَّب فیها.

ورُوی عن ابن عمر رضی الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم:(من زار قبری وجبت له شفاعتی).

وعن أنس بن مالک رضی اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم:(من زارنی فی المدینة محتسباً کان فی جواری، وکنتُ له شفیعاً یوم القیامة).

وفی حدیث آخر:(من زارنی بعد موتی فکأنّما زارنی فی حیاتی)». هذه ألفاظه بحروفها (۱).

وکذا ذکره الإمام العلّامة هبة اللَّه فی کتاب «توثیق عُری الإیمان».

فهذا نقل الإجماع علی خلاف ما نقله هذا الزائغ الفاجر المبالغ فی فجوره وعزوه إلی السلف. وأمّا غیر هذین الإمامین ممّن نقل الندب إلی زیارته فخلق لا یحصون، وسأذکر بعضهم.

استدلال ابن تیمیة علی أقواله بالباطل

علی أنّه ذکر فی فتوی مطوّلة ما یناقض ما ادّعاه من الإجماع والقطع هنا.

وقد ذکرتُ المسألة فی تنبیه السالک، وذکرتُ صورة الفتوی وجوابه، وهذا

۱- کتاب الشفا للقاضی عیاض: وقد أسندها بطرق الإمام السبکی فی شفاء السقام، فی الباب الأوّل، فراجعه.

ص: ۱۷۰

جواب مطوّل، وتعرّضت لما فیه من الخلل وسوء الفهم وفجوره فی النقل والعزو.

وها أنا ذا أذکر هنا بعض الجواب، وأبیّن ما فیه من الخطأ وعـدم صـحّهٔ الاحتجاج بما احتجّ به، کحدیث(لا تُشدّ الرحال)، ولا أُدقّق فی الجواب؛ لأنّ قصدی بیان جهله، وأنّه لا حجّهٔ له فی الحدیث؛ جریاً علی القواعد التی علیها مدار الاستدلال صحّهٔ وبطلاناً.

وأَذکر ما ذکره فی أحادیث الزیارهٔ، وما ادّعاه فیها من الفجور، وما رمز إلیه فی تکفیر الأئمهٔ الذین رووها.

وأنّه قال قولًا مفتریً لم یسبقه إلیه أحد، ولا رمز ولا أشار إلیه، وباللَّه التوفیق.

فممّا ذکره فی الجواب بلفظ قوله: «وقد یحتجّ بعض من لا یعرف الحدیث بالأحادیث المرویّهٔ فی زیارهٔ قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، کقوله:(من زار قبری بعد مماتی فکأنّما زارنی فی حیاتی) رواه الدارقطنی وابن ماجهٔ».

فانظر- أرشدک اللَّه تعالی- کیف جعل هذین الإمامین ممّن لا یعرف الحدیث.

وهو من أقبح البهتان.

وقـد احتجّ بهذا الحدیث خلائق من أئمهٔ الحدیث غیر هذین الإمامین: منهم القاضـی عیاض وصاحب «توثیق عری الإیمان» وأبو الفرج ابن الجوزی فی کتابه(مثیر الغرام الساکن إلی أشرف الأماکن) ذکره فی الباب الذی عقده لزیارهٔ قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم.

ومنهم ابن قدامهٔ ذکره فی کتابه «المُغنی» فی فصل: یُستحبّ زیارهٔ قبر النبی صـلی الله علیه و آله و سلم، واستدلّ بحدیث ابن عمر من طریق الدارقطنی، ومن طریق سعید بن منصور، وذکر أیضاً حدیث أَبی هریرهٔ رضی الله عنه:(ما من أحد سلّم علیّ عند قبری).

وقوله: وأمّا ما یذکره بعض الناس من قوله:(من حجّ ولم یزرنی فقد جفانی)

ص: ۱۷۱

فلم یورده أحد من العلماء.

وهذا أیضاً من البهتان البیّن والجهل.

فقد روی هذا الحدیث غیر واحد من الأئمة بألفاظ متقاربة: منهم الحافظ أبو عبداللَّه بن النجّار فی کتابه(الدُّرّة الثمینة)، من حدیث علیّ رضی الله عنه.

ومنهم الإمام الحافظ- المتّفق علی حفظه وعُلُوّ قدره فی هذا الشأن- أبو سعید عبد الملک النیسابوری، خرّجه فی کتابه «شرف المصطفی» من حدیث علیّ رضی الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم:(من زار قبری بعد موتی فکأنّما زارنی فی حیاتی، ومن لم یزُرنی فقد جفانی)، رواه ابن عساکر من طرق.

وقوله: وهو مثل(من زارنی وزار أبی إبراهیم فی عام واحد ضمنتُ له علی اللَّه الجنة)».

تَنَبَّهْ، یا من أُشیر إلیه بالعلم، فی قوله، فإنّه یشیر به إلی أنّ الحدیث الأول کذب علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم؛ لأنّه سوّی بینهما، وذکر الحدیث الثانی توطئة لقصده الفاسد فی إرادة تجاسره به، والتمویه علی العوامّ والضعفاء من الطلبة، وهو شدید الاعتناء بهذا القصد الخبیث فی الکلام علی آیات الصفات وأحادیثها.

فلیحذر الواقف علی کلامه فی آیات المتشابه وأحادیثه غایة الحذر، فإنّ الخطأ فیها کفر، بخلاف غیرها من مسائل الفروع.

وقوله: وقد احتجّ أبو محمد المقدسی علی جواز السفر لزیارة قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم وقبور الأنبیاء: بأنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم کان یزور قباء، وأجاب عن حدیث(لا تشدّ الرحال): بأنّ ذلک محمول علی نفی الاستحباب، وأمّا الأوّلون فإنّهم محتجّون بما فی الصحیحین عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم، أنّه قال: (۱)(إلّا إلی ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصی، ومسجدی) وهذا الحدیث اتّفق الأئمّة علی صحّته والعمل به.

۱- أوّل الحدیث:(لا تُشدّ الرحال)، ثم المذکور هنا. انتهی. مصحِّحه.

ص: ۱۷۲

انظر- بصّرک اللَّه تعالی- ما فی هذا الکلام من الإبهام والتدلیس، فإنّه قال:

(وقد احتجّ الشیخ أبو محمد علی جواز السفر لزیارة قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم: بأنّ النبیّ کان یزور قباء).

ولم یذکر: «راکباً وماشیاً»؛ لأنّ الراکب قد شدّ الرحل، وهو لا غرض له فی ذلک.

وأیضاً فلم یذکر غیر الشیخ أبی محمد، وهو یوهم انفراده بذلک، ولم ینفرد کما أذکره من بعد.

وقوله: أجاب- یعنی أبا محمّد- عن حدیث(لا تُشدّ الرحال): بأنّ ذلک محمول علی نفی الاستحباب.

وهو یوهم: أنّ ذلک لم یقُلهُ إلّاالشیخ أبو محمد، وهو من التدلیس الذی هو کثیر الاعتناء به، والمکر السیّیء.

قوله: أمّا الأوّلون یعنی القائلین بتحریم السفر؛ وعدم جواز القصر فی سفر المعصیة، فإنّهم یحتجّون بما فی الصحیحین عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، أنّه قال:(لا تُشدّ الرحال إلّا الی ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الاقصی، ومسجدی) هذا، وهذا الحدیث اتّفق الأئمة علی صحّته والعمل به.

وهو یوهم أنّهم احتجّوا لتحریم (۱) قبور الأنبیاء وقبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم به.

وهو من التدلیس الفاحش، وهو مطالب: بأنّ الأوّلین صرّحوا: بأنّ شدّ الرحال وإعمال المطیّ إلی قبره وقبر الخلیل إبراهیم- علیهما الصلاة والسلام- حرام ومعصیة، ولا تقصر فیه الصلاة.

وهذا لا یجده، بل الموجود غیره والندب إلی ذلک، کما یأتی إن شاء اللَّه، وقد خاب من افتری.

۱- فیه حذف مضاف، تقدیره «زیارة قبور الأنبیاء ...» انتهی مصححه.

ص: ۱۷۳

ثمّ ما ذكره من انفراد الشيخ أَبى محمّد: بأنّ الحديث محمول على نفى الاستحباب، كذب وفجور وجهل، فإنّه لم ينفرد بذلك، بل ولا الحديث مسوق لتحريم زيارة القبور، وإنّما هو لبيان فضيلة المساجد الثلاثة دون غيرها؛ لأنّ المساجد الثلاثة مساجد الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- والعمل فيها يضاعف ما لا يضاعف فى غيرها، وليس لزيارة القبور تعلّق بالحديث.

ولما تكلّم الأئمة على هذا الحديث، ومنهم الإمام العلّامة أبو زكريا يحيى النووى رضى الله عنه فى «شرح مسلم» قال: فى الحديث فضيلة المساجد الثلاثة وفضيلة شدّ الرحال إليها؛ لأنّ معناه عند جمهور العلماء: لا فضيلة فى شدّها إلى مسجد غيرها.

وقال الشيخ أبو محمد الجوينى من أصحابنا: يحرم شدّها إلى غيرها، وهو غلط، ومرّ بيانه فى باب سفر المرأة.

فصرّح بأن جمهور العلماء انما ذكروا ذلك فى الفضيلة، وصرّح: بأنّه لا فضيلة فى شدّ الرحال إلى مسجد غيرها، ولم يتعرّض للزيارة، ألبتّة.

قلت: وجزم الشيخ محيى الدين رضى الله عنه، بأنّ الشيخ أبا محمّد جزم بالتحريم.

وهو ممنوع، وإنّما تردّد فى ذلك، فقال: ربما يحرم، وربما يُكره، واللَّه أعلم.

وقال- أعنى النووى فى «شرح مسلم» فى باب سفر المرأة-:

«واختلف فى شدّ الرحال وإعمال المطى إلى غيرها، لا الذهاب إلى قبور الصالحين والمواضع الفاضلة ونحو ذلك.

فقال الشيخ أبو محمد الجوينى: يحرم، وهذا الذى أشار إليه عياض مختاراً له.

والصحيح عند أصحابنا، واختاره الإمام والمحقّقون لا يحرم ولا يكره.

والمراد: أنّ الفضيلة التامّة إنّما هى فى شدّ الرحال إلى الثلاثة خاصّة». انتهى.

فذكر أوّلًا: أنّ جمهور العلماء إنّما ذكروا ذلك فى الفضيلة.

وذكر ثانياً: أنّه قول المحقّقين، وأنّه لا يحرم ولا يكره، وأنّ المراد: أنّ الفضيلة

ص: ۱۷۴

التامّهٔ إنّما هی فی شدّ الرحال إلی المساجد الثلاثهٔ خاصّهٔ، ولم یصرّح بقبور الأنبیاء.

وقوله: «وأَنّ الفضیلهٔ التامّهٔ إنّما هی فی شدّ الرحال إلی المساجد الثلاثهٔ» یفید أنّ شدّ الرحال إلی غیر الثلاثهٔ فیه فضیلهٔ إلّاأنّها غیر تامّهٔ.

تقلید ابن تیمیهٔ حرام لا یجوز

وإذا علمت ذلک وما قرّره هـذا العبـد الصالـح وما نقله، اسـتفدت منه أنّه لا یجوز تقلیـد هـذا الزائغ فی نقله، ولا یرجع إلیه فی تقریره؛ لسوء فهمه وتدلیسه، وسیأتی- إن شاء اللّه تعالی- ما تقطع به بصحّهٔ ما قلته بلا شکّ ولا تردّد.

کلام ابن قدامهٔ فی الزیارهٔ

وأزیدک علی ما ذکره النووی ما یؤکّد ما قلته:

قال ابن قدامهٔ الحنبلی فی کتابه «المغنی»: «فصل: فإن سافر لزیارهٔ القبور والمشاهد.

قـال ابن عقیـل: لا ـ یُبـاح له الترخیص؛ لأنّه منهیّ عن السـفر إلیهـا، قال النبیّ صـلی الله علیه و آله و سـلم:(لا تُشـدّ الرحال إلّاإلی ثلاثهٔ مساجد).

والصحیح إباحته وجواز القصر فیه؛ لأنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم کان یأتی قباء ماشیاً وراکباً، وکان یزور القبور، وقال:(زوروها تُذکّرکم الآخرهٔ).

وأمّا قوله:(لا تُشدّ الرحال إلّاالی ثلاثهٔ مساجد) فیحمل علی نفی الفضـیلهٔ، لا علی التحریم، ولیس الفضـیلهٔ شـرطاً فی إباحهٔ القصـر، ولا یضرّ انتفاؤها». انتهی.

وفیه من الفوائد:

أنّه صرّح بأنّ الصحیح أنّ ذلک فی نفی الفضیلهٔ، وأنّ المنع إنّما نسبه إلی ابن عقیل فقط.

ص: ۱۷۵

فأين قول ابن تيمية: «وطوائف كثيرون من العلماء المتقدّمين»؟!

وابن قدامة واسع الباع فى الاطّلاع، فكيف يقتصر على ابن عقيل وحده ويترك طوائف كثيرة من العلماء المتقدّمين؟!

وهذه كتب الحنابلة وغيرها مشهورة، فأين النقل فيها عن المتقدّمين؟! وهذا ممّا يعرّفك أن ابن تيميّة يكذب فى الإجماع.

ومن تتبع ذلك وجده صحيحاً، وينقل فى بعض الأحيان شيئاً، وهو كذب محقّق، وإذا نقل كلام الغير لم ينقله على وجهه، وإن نقله على وجه دسّ فيه ما ليس من كلام ذلك المنقول [عنه] (۱).

فاعلم ذلك، وتنبّه، واحذر تقليده تهلك كما هلك.

وقول ابن عقيل: «لا يباح الترخيص لزيارة القبور؛ لأنّه منهىّ عن السفر إليها».

لم يصرّح بقبور الأنبياء، ولا بقبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم، ولم يُعلم مراده.

وعلى تقدير إرادته ذلك فهو مخطىء، وضعيف الإدراك فى الاستدلال؛ ألا تراه اعتمد على الحديث.

۱- هل الذى يبلغ فى الخيانة فى النقل إلى هذه الدرجة، يُعدّ من متوسّطى المؤمنين، فضلًا عن أفاضل العلماء، فضلًا عن الأئمة المجتهدين؟!

ص: ۱۷۶

وما ابن عقيل؟!

وسيأتى- إن شاء اللَّه تعالى- أنّ الحديث لا دليل فيه إلّاعند عوامّ الفقهاء، وأنّ من تمسّك به فقد تمسّك بما لا يفيد.

حديث لا تشد الرحال و ألفاظه

ولا بدّ من ذكر ألفاظ الحديث لتتمّ الفائدة، وقد ورد بألفاظ مختلفة:

أشهرها:(لا تُشدّ الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى).

واللفظ الثانى:(تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد) من غير لفظ الحصر.

اللفظ الثالث:(إنّما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيلياء) وإيلياء بيت المقدس.

وهذه الروايات ذكرها مسلم فى فضل المدينة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

وذكر قبل ذلك فى سفر المرأة من حديث أبى سعيد الخُدرى رضى الله عنه:(لا تشدّوا الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى).

وهذا بصيغة النهى، والثلاثة الأُوَل بصيغة الخبر.

وبصيغة النهى رواه الطبرانى من حديث ابن عمر رضى اللَّه عنهما:(لا تشدّوا الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد: مسجد إبراهيم، ومسجد محمّد، ومسجد بيت المقدس).

وهذا اللفظ رواه ابن راهويه فى مسنده من حديث أبى سعيد رضى الله عنه.

هذا ما يتعلّق بلفظ الحديث.

وأمّا ما يتعلّق بمعناه، وما يدلّ عليه.

ص: ۱۷۷

فاعلم: أنّ الاستثناء فی الحدیث مُفرَّغ کما هو واضح، ولابدّ فیه من تقدیر، وهو شیئان:

أحدهما: لا تُشدّ الرحال إلی مسجد إلّاإلی المساجد الثلاثهٔ.

وعلی هذا فلا حجّهٔ للخصم فیه.

والتقدیر الثانی- لا تُشدّ الرحال إلی مکان إلّاإلی المساجد الثلاثهٔ.

ولابدّ من تقدیر أحد هذین؛ لیکون المستثنی مندرجاً تحت المستثنی منه.

والتقدیر الأوّل- وهو لا تشدّ الرحال إلی مسجد- أولی من التقدیر الثانی- وهو لا تشدّ الرحال إلی مکان- لأنّه علی التقدیر الأوّل جنس قریب؛ لما فیه من قلّهٔ التخصیص؛ لأنّ التخصیص علی تقدیر إضمار الأمکنهٔ أکثر، فیکون مرجوحاً.

ولو خطر بالبال تقدیر العموم فی الحدیث لکان خیالًا فاسداً لسیاقه، وللقرینهٔ اللفظیهٔ فیه، ولدخول التخصیص بالأدلّهٔ السمعیّهٔ والعملیهٔ الکثیرهٔ جدّاً:

أمّا سیاقه: فلأنّ الحدیث إنّما ورد لبیان شرف هذه المساجد الثلاثهٔ وخِیْرتها (۱) علی غیرها من المساجد، کما مرّ من أنّها مساجد الأنبیاء علیهم الصلاهٔ والسلام، ولهذا تُضاعف الأعمال فیها ما لا تُضاعف فی غیرها، والمتکلّمون علی الحدیث إنّما یتکلّمون فی ذلک ونحوه؛ من لزوم النذر المتعلّق بها، دون الزیارات.

ولهذا لمّا تکلّم بعض المتأخّرین علی الحدیث وأدرج ذکر الزیارهٔ، اعترض علیه فی ذکر الزیارهٔ، وقیل: لم یرد الحدیث لذلک، وإنّما ورد لبیان شرف هذه المساجد دون غیرها.

وهذا کافٍ فی بطلان الاحتجاج بالحدیث لمنع زیارهٔ القبور، والزیادهٔ علی

۱- قول المصنّف صواب ومعنی «خِیْرتها» فضلها. وفی هامش المطبوعهٔ صوابه وخیریتها کمالا یخفی. انتهی مصححه.

ص: ۱۷۸

ذلک إنّما هو على وجه التنزّل.

فمن احتجّ بالحديث لمنع الزيارة ينبغى أن لا يرسم فى حزب الفقهاء ألبتّة؛ لما قرّرنا.

وإن قلنا بعموم اللفظ فكذلك؛ لأنّ وقائع الأعيان إذا تطرّق إليها الاحتمال، كساها ثوب الإجمال، وسقط بها الاستدلال. وهذا فى الاحتمال وإن كان فيه بعد، فما ظنّك بهذا الحديث، الذى لا احتمال فيه من لفظه؟!

وهو قرينة ظاهرة قويّة ولها شاهد ظاهر الدلالة، كما أذكره إن شاء اللَّه تعالى، ولا سيما وقد دخله التخصيص بالأدلّة السمعيّة والعملية، مع كثرة المخصّصات على اختلاف أنواعها: فمنها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو مندوب، ومنها ما هو قُربة، ومنها ما هو مباح. وصور هذه الأنواع لا تكاد تنحصر عدّاً.

فأمّا القرينة اللفظية فذكر المساجد الثلاث فى الاستثناء وهو بعض المستثنى منه، وهذا قوىّ جدّاً.

و «إلى» تكون بمعنى اللام إذ حروف الصلة ينوب بعضها عن بعض كما هو كثير فى الكلام، فالمعنى لا ـ تشدّ الرحال لمسجد إلّاللمساجد الثلاثة.

ويؤيّد هذا: أنّ رجلًا من التابعين قال لابن عمر رضى اللَّه عنهما: أُريد أن آتى الطور. قال:(إنّما تُشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، ومسجد الأقصى، ودع عنك الطور، فلا تأته).

فهذا عبداللَّه بن عمر رضى اللَّه عنهما من أجلّاء الصحابة رضى اللَّه عنهم، لم يتكلّم إلّافى شدّ الرحال إلى المساجد دون غيرها، وهو أعلم بالحديث وموارده ومصادره.

وعلى منواله تكلّم العلماء فى شدّ الرحال بالنسبة إلى المساجد، وكذا ذكر

ص: ۱۷۹

القاضی عیاض فی کتابه «الإکمال»، ولم یتعرّض لزیارهٔ الموتی أصلًا، ولیس فی الحدیث تعرّض لمنع الزیارهٔ ألبتّهٔ.

وبهذا وغیره یُعرف أنّ دعوی: أنّ الحدیث یدلّ علی منع الزیارهٔ.

من کلام الجهلهٔ العارین عن العلوم التی بها یصحّ الاستدلال والاستنباط، ومن سوء الفهم وبلادهٔ الذهن وجموده.

وأَنّ مثل هذا لا یحلّ لأحد تقلیده ولا الأخذ بقوله؛ لتحقّق جهله ببعض ما قرّرنا. ومن لم یجعل اللّه له نوراً فماله من نور.

ومثل هذا لا یزال یتخبّط فی ظلمهٔ جهله هو وأتباعه، وباللّه التوفیق.

وقوله فی جواب الفتوی: ولو نـذر أن یـأتی مسـجد النبیّ صـلی الله علیه و آله و سـلم أو المسـجد الأقصـی؛ لصـلاهٔ أو اعتکاف، وجب الوفاء بهذا النذر عند مالک والشافعی وأحمد، ولم یجب عند أبی حنیفهٔ؛ لأنّه لا یجب عنده بالنذر إلّاما کان من جنسه واجباً بالسمع... إلی آخره.

فقوله: «وجب الوفاء عند الشافعی» یوهم أنّ الشافعی جازم بذلک، ولیس کذلک، بل هو قول مرجوح عند الشافعی، وعلّل: بأنّ مسجد النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم والمسجد الأقصی لا یقصدان بالنسک، فأشبها سائر المساجد.

وقوله: «ولو نذر أن یصلّی فی مسجد أو مشهد، أو یعتکف فیه، أو یسافر إلی غیر هذه المساجد الثلاثهٔ، لم یجب ذلک باتّفاق الأئمهٔ».

وهـذا أیضـاً لیس بصـحیح، ومـا رأیت أجرأ منه علی الفجور، ولا أکـذب فی دعوی الاتفاق والإجماع، وقصـده بـذلک الترویـج علی الأغمار، ولا علیه من غضب الجبّار.

وفی کلامه مسألتان:

الاولی: إذا نذر أن یصلّی فی مسجد أو مشهد، أو یعتکف فیه؛ من غیر

ص: ۱۸۰

المساجد الثلاث. وقد حكى الاتّفاق على أنه لا يجب الوفاء بذلك، وهو البهتان البيّن.

ففى ذلك قولان آخران: أحدهما: يجب الوفاء مطلقاً، والثانى: إن نذرها فى الجامع تعيّن، وإلّا فلا.

المسألة الثانية: إذا نذر أن يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة، فإنّها لا تجب عليه باتّفاق الأئمة.

ثمّ أردف ذلك بقول: «وأمّا السفر إلى بُقعة غير المساجد الثلاث، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره؛ حتّى نصّ العلماء على أنّه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من المساجد الثلاث».

فانظر إلى هذه الجُرأة والفجور بقوله: «حتّى نصّ العلماء» والمسألة فيها خلاف، وقد قال الإمام محمد بن مسلمة المالكى: إذا قصد مسجد قباء لزمه؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم كان يأتيه كلّ سبت راكباً وماشياً.

بل قال الليث بن سعد: إذا نذر المشى إلى أى مسجد كان؛ لزمه؛ سواء فى ذلك المساجد الثلاثة وغيرها.

وقال الإمام ابن كج- من كبار أصحابنا-: إذا نذر أن يزور قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فعندى أنه يلزمه وجهاً واحداً، ولو نذر المشى إلى مسجد النبى صلى الله عليه و آله و سلم، ففيه قولان:

أحدهما لا يلزمه، والثانى يلزمه، فعلى هذا لابدّ من ضمّ عبادة، قيل: يلزمه صلاة.

وقيل: اعتكاف ولو لحظة، والصحيح أنّه يتخيّر فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله و سلم بين الصلاة وبين زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم.

فجعل زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم طاعة، وهى أخصّ من القربة، وجعلها تقوم مقام الصلاة التى هى أفضل عبادات البدن، والمساجد موضوعة لها بالأصالة.

وقوله: وقالوا: لأنّ السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بِدعة، لم يفعلها

ص: ۱۸۱

أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أَمر بها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، ولا استحبّ ذلك أَحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسُّنّة ولإجماع الأُمّة.

قلت: لمّا وقف بعض الأئمة على هذا الكلام الباطل، قال: هذا من البَهْت الصريح. وصدق رضى الله عنه لما أذكره، وفيه أيضاً تدليس من الفجور.

وبيان التدليس: قوله: «قالوا»:

فإنّه يوهم أنّ هذا الذى قاله لم يقله من عند نفسه، وإنّما نقله عن أئمة المسلمين، وأنّه مجمع عليه.

وهذا شأنه يدلّس فى الإغراء ليحمل الناس على عقيدته الفاسدة المفسدة؛ لأنه لو عزاه إلى نفسه لما انتظم له ذلك؛ لعلم الحُذّاق النُّقّاد بسوء فهمه وكثرة خلطه؛ ممّا عرفوه منه فى بحثه وتدوينه إذا انفرد.

فقوله: لأنّ السفر إلى قبور الأنبياء.

يشمل قبر الخليل والكليم وقبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم وغيرهم.

وقوله: والصالحين.

يشمل قبور الصحابة رضى اللَّه عنهم وغيرهم، وهو مطالب بتصحيح ما عزاه إلى أئمة المسلمين، وأنّه مجمع عليه، وهو لا يجد إلى ذلك سبيلًا، بل المنقول خلاف ذلك كما تراه.

وقوله: إنَّ السفر إلى قبور الأنبياء بدعة؛ لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين.

هذا من الفجور والإفك المبين.

زيارة قبر النبى سنة سائرة بين المسلمين

ولم تزل الناس على زيارة قبر الخليل والكليم وغيرهما فى سائر الأعصار من

ص: ۱۸۲

جمیع الأمصار.

وهذا بلال- مؤذّن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم- سافر من الشام إلی المدینة الشریفة لزیارة قبر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم.

وممّن ذکر ذلک الحافظ ابن عساکر، والحافظ عبد الغنی المقدسی فی کتابه «الإکمال» فی ترجمة بلال.

وقال فیه: ولم یؤذّن لأحد بعد النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم- فیما یروی- إلّامرّة واحدة فی قَدْمة قدمها إلی المدینة؛ لزیارة قبر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، طلب إلیه الصحابة رضی اللَّه عنهم ذلک، فأذّن لهم ولم یتمّ الأذان.

وقیل: إنّه أذّن لأبی بکر رضی الله عنه فی خلافته. انتهی.

وممن ذکر ذلک أیضاً إمام الأئمة فی الحدیث أبو الحجّاج الشهیر بالمِزّی (۱).

وسبب سفر بلال رضی الله عنه لزیارة قبره- علیه الصلاة والسلام- أنّه رأی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فی المنام، فقال له: ما هذه الجفوة یا بلال؛ أمّا آن لک أن تزورنی یا بلال؟

فانتبه من نومه حزیناً وَجِلًا خائفاً، فقعد علی راحلته من حینه، وقصد المدینة، فأتی قبره- علیه الصلاة والسلام- فجعل یبکی عنده ویمرّغ وجهه علیه، فأقبل الحسن والحسین رضی اللَّه عنهما إلیه، فجعل یضمّهما ویقبّلهما ثمّ قالا له: یا بلال نشتهی أن نسمع أَذانک الذی کنت تؤذن للنبی صلی الله علیه و آله و سلم فی المسجد، فعلا سطح المسجد، ووقف موقفه الذی کان یقف.

فلمّا أنْ قال: «اللَّه أکبر» ارتجّت المدینة، فلمّا قال: «أشهد أن لا إله إلّااللَّه» ازدادت رجّتها.

فلمّا قال: «أشهد أنّ سیّدنا محمّداً رسول اللَّه» خرجت العواتق من خُدورهنّ، وقالوا: أَبُعث رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، فما رُؤی یوم أکثر باکیاً ولا باکیة بالمدینة- بعد

۱- المِزّی- بکسر المیم وتشدید الزای- نسبة إلی قریة بالشام. انتهی. مستنسخ الأصل.

ص: ۱۸۳

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم- من ذلك اليوم.

فهذا بلال من سادات الصحابة رضى اللَّه عنهم قد شدّ رحله من الشام، وسافر لزيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- فقط، وأعلم بذلك الحسن والحسين، وطار بذلك الخبر فى المدينة، وكان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولم ينكر عليه ولا أحد من الصحابة رضى اللَّه عنهم.

ولو كان السفر لزيارة قبره مخالفاً للسنة ولإجماع الأُمّة لأنكروا عليه؛ لأنّهم ينكرون أدنى شيء من المخالفات، ولا سيّما عمر وهو أمير المؤمنين، وأشدّ الناس فى الإنكار وأبطشهم يداً، وأحدّهم لساناً ووقوفاً مع الحقّ، ولا تأخذه فى اللَّه لومة لائم.

وأيضاً فمن الشائع الذائع أنّ عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه، كان يُبرد البريد من الشام لأجل السلام على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم فقط.

ذكر هذا غير واحد منهم القاضى عيّاض فى أشهر كتبه وهو «الشفاء».

وذكره الإمام هبة اللَّه فى كتابه «توثيق عُرى الإيمان».

وذكره الإمام العلّامة بن الجوزى فى كتابه مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن.

وذكره الإمام أبو بكر أحمد ابن النبيل فى مناسك له لطيفة جرّدها من الأسانيد، والتزم فيها الثبوت، ولفظه: «وكان عمر بن عبدالعزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة، ليُقرِىء النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم السلام، ثمّ يرجع».

وهذا الإمام أبو بكر قديم تُوفّى فى سنة سبع وثمانين ومائتين.

فهذا السيّد الجليل عمر بن عبدالعزيز يبعث الرجل لأجل السلام فقط، لا لقصد آخر، وكان ذلك فى زمن صدر التابعين، وكان سفر بلال فى زمن صدر الصحابة رضى اللَّه عنهم، ولم يُنكر عليه ذلك أحد، فدل على أنّ السفر لأجل زيارة

ص: ۱۸۴

قبره صلی الله علیه و آله و سلم ولأجل السلام علیه، مجمع علیه بین الصحابة والتابعین.

فأین دعوی ابن تیمیّة أنّ ذلک مخالف للسنّة ولإجماع الأُمّة.

وقد تقدّم قول عمر رضـی الله عنه لکعب الأحبار: ألا تسافر لتزور قبر رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله و سلم وتتمتّع بزیارته؟! فقال: نعم یا أمیر المؤمنین أفعل.

وهذا أو بعضه کافٍ فی إبطال دعوی ابن تیمیّة وإثبات فجوره.

وأتبرّع بزیادة، وأقتصر غایة الاقتصار:

قال بعض الأئمة: وأمّا زیارة قبر النبیّ صـلی الله علیه و آله و سـلم فلم ینکرها أحد، ولم یقع فی السفر إلیها نزاع، ولم یزل سفر الحجیج إلیه فی السلف والخلف.

وصدق رضی الله عنه، وهذه کتب العلماء من جمیع المذاهب مصرّحة بذلک.

وقـد تقـدّم قول القاضـی عیـاض: زیـارة قبره صـلی الله علیه و آله و سـلم سُـنّة من سُـنن المرسـلین، ومجمع علیها ومرغّب فیها، واحتجّ بحدیث ابن عمر وأنس رضی اللَّه عنهم، وقد ذکر غیر القاضی عیاض ما ذکره.

ابن تیمیة من أعظم الكذبة والفجار

وإذا تقرّر ذلک، ففی ذکری ما أتبرّع به- مع غایـة الاقتصار- تتحقّق أنّ ابن تیمیـة من أعظم الکَذَبـة والفُجّار، وقد انکشف لک ذلک کما انکشف ضوء النهار:

فمن ذلک ما ذکره القاضـی أبو الطیب- وهو من أئمـة الشافعیّة- قال: ویُسـتحبّ أن یزور قبر النبیّ صـلی الله علیه و آله و سـلم بعد أن یحجّ ویعتمر.

وکیف یزور من غیر سفر؛ سواء کان راکباً أو ماشیاً؟!

وقال المحاملی فی کتابه «التجرید» ویستحب للحاج إِذا فرغ من مکّة أن یزور قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم انتهی.

وقال الحلیمی فی کتابه «المنهاج»، عند ذکر تعظیم النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، وذکر جملة، ثمّ

ص: ۱۸۵

قال: وهذا كان من الذين رُزقوا مشاهدته وصحبته، وأمّا اليوم فمن التعظيم بيان تعظيمه وزيارته.

وقال الماوردى فى كتابه «الحاوى»: أمّا زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فمأمور بها ومندوب إليها.

وقال فى كتابه «الأحكام السلطانية» فى باب الولاية على الحجيج، وذكر كلاماً يتعلّق بأمير الحاجّ، ثمّ قال: وإذا قضى الناس الحجّ أمهلهم الإمام الأيّام التى جرت عادتهم بها، فإذا رجعوا سار بهم على طريق المدينة للنبى صلى الله عليه و آله و سلم؛ ليجمع بين حجّ بيت اللَّه- عزّوجلّ- وزيارة قبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم؛ رعاية لحرمته، وقياماً ببعض حقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحجّ، فهو من مندوبات الشرع المستحبّة وعبادات الحجيج المستحسنة (۱).

فتأمّل هذه العبارة من هذا الإمام، وما اشتملت عليه من الفوائد الجليلة.

وقال الإمام العلّامة- المتّفق على دينه وكثرة علومه وعُلُوّ قدره- الشيخ أبو إسحاق الشيرازى: ويستحبّ زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

وذكر القاضى حسين نحوه، وكذا الرويانى.

ولا حاجة إلى الإطالة بذكر من قال بزيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- سواء فى ذلك قبل الحجّ أو بعده.

وذكر السير إليه كثير من أصحاب الشافعى، من جملتهم السيّد الجليل أبو زكريا يحيى النووى- قدّس اللَّه روحه- قال فى كتابه «المناسك وغيرها»: «فصل:

فى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم سواء كان ذلك على طريقه أم لا، فإنّ زيارته صلى الله عليه و آله و سلم من أهمّ القُرّبات وأربح المساعى وأفضل الطلبات» انتهى.

۱- الأحكام السلطانية للماوردى: ص ۱۰۹ الباب العاشر.

زيارهٔ قبر النبى من أفضل المندوبات

وإذا عرفت هذا فأتبرّع إليک بزيادهٔ أُخرى مع زيادهٔ فائدهٔ:

قال الحنفيهٔ: إنّ زيارهٔ قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم من أفضل المندوبات والمستحبّات، بل تقرب من درجهٔ الواجبات.

وممّن صرّح بذلک الإمام أبو منصور محمّد الكرمانى فى مناسكه، والإمام عبداللَّه بن محمود فى شرح المختار.

وقال الإمام أبو العبّاس السروجى: وإذا انصرف الحاجّ من مكّهٔ- شرّفها اللَّه تعالى- فليتوجّه إلى طِيبهٔ مدينهٔ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم لزيارهٔ قبره، فإنها من أنجح المساعى.

وكلامهم فى ذلک يطول.

كلمات أئمهٔ الحنابلهٔ فى استحباب زيارهٔ قبر النبى

وأتبرّع بزيادهٔ هى أبلغ فى تكذيب هذا الفاجر؛ لأنّها من كلام أئمّهٔ الحنابلهٔ:

قال ابن الخطاب محفوظ الكلواذى الحنبلى- فى كتابه «الهدايهٔ» فى آخر باب صفهٔ الحجّ-: استُحبّ له زيارهٔ قبره صلى الله عليه و آله و سلم وصاحبيه.

وفيه فائدهٔ، وهى استحباب شدّ الرحال الى زيارهٔ الصدّيقين رضى اللَّه عنهما.

وقال الإمام أحمد بن حمدان فى «الرعايهٔ (۱) الكبرى»: ويستحبّ لمن فرغ من نُسكه زيارهٔ قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وقبر صاحبيه رضى اللَّه عنهما، وذلک بعد فراغ الحجّ وإن شاء قبله.

وذكر نحو ذلک غيرهم، ومنهم الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه «مثير

۱- هى الدعايهٔ بالدال. انتهى. مصحّحه.

ص: ۱۸۷

الغرام»، وعقد له باباً فی زیارة قبره- علیه الصلاة والسلام- واستدلّ بحدیث ابن عمر وأنس رضی اللَّه عنهم.

وذکر ابن قدامة فی «المُغنی» فصلًا فی ذلک، فقال: یستحبّ زیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، واستدلّ بحدیث ابن عمر وأبی هریرة رضی اللَّه عنهم.

ولا أُطوّل بذکری من ذکره من أئمة الحنابلة تبعاً لإمامهم رضی اللَّه عنهم.

القول بوجوب زیارة قبر النبی

وأتبرّع بزیادة لفوائد جمّة ومهمّة:

فمن ذلک ما فی کتاب «تهذیب الطالب» لعبد الحقّ الصقلی عن أبی عمران المالکی: أنّ زیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم واجبة.

وقال عبدالحقّ فی هذا الکتاب: رأیت فی بعض المسائل التی سُئل عنها أبو محمد بن أبی زید، قیل له فی رجل استؤجر بمال لیحجّ به، وشرطوا علیه الزیارة، فلم یستطع تلک السنة أن یزور لعذر منعه من ذلک؟ فقال: یردّ من الأُجرة بقدر مسافة الزیارة، وهی مسألة حسنة.

وفی کتاب النوادر لأبن أبی زید فائدة أُخری، فإنّه بعد أن حکی فی زیارة القبور من کلام ابن حبیب ومن المجموعة عن مالک ومن کلام القرْطی- بإسکان الراء وبالطاء المهملتین- ثمّ قال عقبة (۱): ویأتی قبور الشهداء بأُحُد ویسلّم علیهم، کما یسلّم علی قبره صلی الله علیه و آله و سلم وعلی صاحبیه، وفی الکتاب المذکور.

ویدلّ علی التسلیم علی أهل القبور ما جاء فی السُّنّة والتسلیم علی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم وأبی بکر وعمر رضی اللَّه عنهما مقبورین.

۱- هی عقبة بالقاف، لا بالتاء. انتهی. مصحِّحه.

ص: ۱۸۸

وقال العبدی المالکی فی «شرح الرسالهٔ»: إنّ المشی إلی المدینهٔ لزیارهٔ قبر النبی صلی الله علیه و آله و سلم أفضل من المشی إلی الکعبهٔ وبیت المقدس.

وصدق وأجاد رضی الله عنه؛ لأنّه أَفضل البقاع بالإجماع.

فهذه نُبذهٔ یسیرهٔ، والنقول فی ذلک کثیرهٔ جداً، وفیها الإجماع علی طلب الزیارهٔ بعدت المسافهٔ أو قصرت، وعمل الناس فی ذلک فی جمیع الأعصار من جمیع الأقطار.

تجاسر السلفیهٔ علی وفد الله تعالی و ضیوف الرحمن

فکیف یحلّ لأحد أن یبدعهم بالقول الزور، ویضلّل أئمّهٔ أُمّهٔ المختار؟!

بل من المصائب العظیمهٔ أنْ یوقع وفد اللّه تعالی فی جریمهٔ عظیمهٔ، وهی عصیانهم بشدّ رحالهم لزیارهٔ قبره عقب ما رجوه من المغفرهٔ وبترکهم الصلاهٔ التی هی أحد أرکان الدین؛ لأنّهم إذا لم یَجُزْ لهم القصر وقصّروا، فقد ترکوا الصلاهٔ عامدین، ومن ترکها متعمّداً قُتل إمّا کفراً وإما حدّاً.

ولا یصدر هذا إلّاممّن هو شدید العداوهٔ لوفد اللّه تعالی، ولحبیبهم الذی (۱) یرتجون بزیارتهم له استحقاق الشفاعهٔ التی بها نجاتهم.

حکم ابن تیمیهٔ علی مجموعهٔ من أحادیث الزیارهٔ بالوضع والکذب

وسأذکر عقب هذا، الأدلّهَ الخاصهٔ بالحثّ علی زیارته، وأتعرّض لما قدح فیها وفی الأئمهٔ رواتها.

ومنه تعلم أنّ هذا الخبیث لا دین له یعتمد علیه، فتراه واضحاً جلیاً لا تشکّ فیه ولا ترتاب.

۱- «الذی» بالإفراد انتهی. مصحِّحه.

ص: ١٨٩

فنسأل اللَّه تعالى العافية ممّا يرتكبه هذا الزائغ الفاجر الكذّاب.

وأن يذيقه أشدّ العذاب، على ما أفسد فى هذه الأُمّة، وسيلقى أشدّ الحساب.

وقوله: «إنّ ما ذكروه من الأحاديث فى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فكلّها ضعيفة باتّفاق أهل العلم، بل هى موضوعة لم يروِ أحدٌ من أهل السُّنَن المعتمدة شيئاً منها».

أعوذ باللَّه من مكر اللَّه عزّوجلّ. أنظر- أدام اللَّه لك الهداية، وحماك من الغواية- إلى فجور هذا الخبيث، كيف جعل الأحاديث المرويّة فى زيارة قبر خير البريّة كلّها ضعيفة.

ثمّ أردف ذلك بقوله: «باتّفاق أهل العلم بالحديث»، ولم يجعل الأئمّة الذين أذكرهم من أهل الحديث؟!

والعجب أنّه روى عنهم فى مواضع عديدة من كتبه، وهذا من جهله وبلادة ذهنه وعماءة قلبه؛ من أنّه لا يعلم تناقض كلامه ونقضه بذلك.

ثمّ إنّه لم تخمد نار خبثه بما ذكره من الفجور، حتّى أردف ذلك: بأنّ الأحاديث المرويّة فى زيارة القبر المكرّم موضوعة؛ يعنى أنّها كذب.

وهذا شىء لم يُرَ أحد من علماء المسلمين ولا من عوامّهم فاه به، ولا رمز إليه؛ لا مَن فى عصره ولا مَن قبله- قاتله اللَّه تعالى-.

ولقد أسفرت هذه القضيّة عن زندقته بتجرّئه على الإفك على العلماء، وعلى أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور، ولا يُبالى بما يقول، وإن كان فيه عظائم الأُمور.

التحذير من تقليد ابن تيمية

وإذا عرفت هذا، فينبغى أيّها المؤمن- الخالى من البِدْعة والهوى- أن لا تقلّده

ص: ۱۹۰

فیما ینقله، ولا فیما یقوله، بل تفحص عن ذلک، وتسأل غیر أتباعه ممّن له رتبهٔ فی العلوم، وإلّا هلکت کما هلک هو وأتباعه (۱).

احادیث فی زیارهٔ قبر النبی

ولنذکر بعض الأحادیث الواردهٔ فی زیارهٔ قبره- علیه الصلاهٔ والسلام- وأذکر من رواها، وأحذف الأسانید؛ لأنّها لا تلیق بهذه الأوراق، وقد رُویت من طُرُقبلغت بهامنزلهٔ الصحیح أوقاربت، أو منزلهٔ الحسن، وأذکر منصحّح بعضها، وأُبیّن أنّه من الأئمّهٔ الأعلام بالحدیث، وأنه یُعتمد بتصحیحه، وباللّه التوفیق (۲):

فمن الأحادیث فی زیارهٔ قبره- علیه الصلاهٔ والسلام- قوله صلی الله علیه و آله و سلم:(من زار قبری وجبت له شفاعتی).

رواه غیر واحد من أئمّهٔ الحدیث، منهم الدارقطنی والبیهقی وغیرهما، والحدیث مرویّ بهذا اللفظ فی عدّهٔ نسخ معتمدهٔ، وهو من حدیث ابن عمر رضی اللّه عنهما. وخرّجه أبو الیمن فی کتابه «إیجاف (۳) الزائر وإطراف المغنم للسائر فی زیارهٔ سیّدنا رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم».

وخرّجه الحافظ ابن عساکر فی «تاریخه» فی زیارهٔ قبره- علیه الصلاهٔ والسلام- بعد وفاته کان کمن زاره فی حیاته.

وخرّجه العقیلی وغیره، فلا نطوّل بذکر من رواه من أئمّهٔ الحدیث المعتبرین

۱- لعلّک فی دهشهٔ ممّا مرّ مفصّلًا من تعمّد کذب هذا الرجل فی نقوله وأحکامه؛ حتّی تعدّی کذبُه الخلقَ إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم. انتهی. مصحِّحه.

۲- تجد تفصیل الکلام عن هذه الأحادیث متناً وسنداً وبحثاً حول رواتها فی(شفاء السقام) للإمام السبکی، فراجعه.

۳- لا أدری أهو إیجاف- کما ذکره- أم إتحاف. انتهی. مصحِّحه.

ص: ۱۹۱

وهو مرویّ من طرق تبلغ الحسن.

قال أئمّـة الحـدیث: والحـدیث أو الأحادیث وإن لانت أسانیـد مفرداتها، فمجموعها یُقوّی بعضـها بعضاً، ویعتبر الحدیث حدیثاً حسـناً، ویحتجّ به.

وممّن ذکر ذلک أبو زکریّا النووی، ذکره فی «شرح المهذّب» فی کتاب الحجّ.

وهی فائدة جلیلة ینبغی معرفتها؛ لیعلم بها جهل هذا الفاجر المبالغ فی فجوره.

وقـوله- علیه الصـلاة والسـلام-:(وجبت له شـفاعتی) معنـاه حقّت، ولابـدّ منهـا بوعـده الصـادق، وفی ذلـک بشـارة عظیمـة لزوّار قـبره الشریف، وهی أنّ من زاره محتسباً مات علی التوحید، وهذه البشارة العظیمة من ثمرة زیارة قبره المکرّم.

وفی قوله- علیه الصلاة والسلام-:(وجبت له شفاعتی) تحقیق لما قلته، لأجل إضافة الشفاعة إلیه، ولأنّه- علیه الصلاة والسلام- مُشفَّع لا تردّ شفاعته؛ لا فی حیاته، ولا بعد وفاته، ولا فی عرصات القیامة.

وقال- علیه الصلاة والسلام-:(من زار قبری حلّت له شفاعتی).

رواه الحافظ البزّار فی مسـنده، وهو بهذا اللفظ فی نسخة معتمدة، وسمعها الحافظ أبو الحسین الصدفی علی الإمام أبی عبداللّه مورتش (۱) سنة ثمانین وأربعمائة.

ومعنی «حلّت» وجبت، وقد عزی عبدالحقّ هذا الحدیث إلی البزّار والدارقطنی.

وقال- علیه الصلاة والسلام-:(من حجّ فزار قبری بعد وفاتی فکأنّما زارنی فی حیاتی).

رواه الدارقطنی فی سُننه وغیرها.

۱- هو فرتس کما فی الأصل. انتهی. مصحِّحه.

ص: ۱۹۲

وفی روایة:(ومن مات بأحد الحرمین بُعث فی الآمنین یوم القیامة).

ورواه غیر واحد، وهو من حدیث ابن عمر رضی اللَّه عنهما، ورُوی من طرق.

ورواه الحافظ بن عدی فی کتابه «الکامل» بزیادة، قال- علیه الصلاة والسلام-:(من حجّ فزار قبری بعد موتی کان کمن زارنی فی حیاتی وصحبنی)، وذکر البیهقی فی سننه: أنّه ذکره ابن عدی، وخرّجه هو بدون هذه الزیادة، وخرّجه الحافظ بن عساکر من حدیث ابن عمر رضی اللَّه عنهما، قال: قال- علیه الصلاة والسلام-:(من حجّ فزار قبری بعد موتی کان کمن زارنی فی حیاتی) زاد السهمی(وصحبنی) ورواه الحافظ ابن الجوزی بهذه الزیادة.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من حجّ البیت ولم یزرنی فقد جفانی).

رواه ابن عدیّ فی کتابه «الکامل» وغیره.

وهو من حدیث ابن عمر رضی اللَّه عنهما، وخرّجه الدارقطنی فی أحادیث مالک التی لیست فی المُوطَّأ، وهو کتاب ضخم.

وقال ابن الجوزی: إنّ هذا الحدیث موضوع، وقد نُسب ابن الجوزی فی ذلک إلی السرف، فاعرف ذلک.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من زار قبری أو زارنی کنتُ له شفیعاً أو شهیداً).

رواه أبو داود الطیالسی فی مسنده، وهو من حدیث ابن عمر رضی اللَّه عنهما، ورواه إمام الأئمة ابن خزیمة، ورواه البیهقی وابن عساکر من جهة الطیالسی.

وروی بزیادة: قال أبو داود الطیالسی: حدّثنا سوار بن میمون أبو الفرج العبدی، قال: حدّثنی رجل من آل عمر رضی اللَّه عنه، قال: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول:(من زار قبری- أو قال: من زارنی- کنت له شفیعاً أو شهیداً، ومن مات فی أَحد الحرمین بعثه اللَّه فی الآمنین یوم القیامة).

ص: ۱۹۳

وقال علیه الصلاة والسلام:(من زارنی متعمّداً کان فی جواری یوم القیامة).

رواه أبو جعفر العقیلی وغیره، ومنهم الحافظ ابن عساکر.

وفی روایة السحای (۱)، قال: حدثنا هارون بن قزعة، عن رجل من آل الخطاب، عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، قال:(من زارنی متعمّداً کان فی جواری یوم القیامة، ومن سکن المدینة وصبر علی بلائها کنت له شفیعاً أو شهیداً یوم القیامة، ومن مات فی أحد الحرمین بُعث فی الآمنین یوم القیامة).

ومن هو فی جواره فهو فی الآمنین لا محالة صلی الله علیه و آله و سلم.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من حجّ حجّة الإسلام، وزار قبری، وغزا غزوة، وصلّی فی بیت المقدس، لم یسأله اللّه فیما افترض علیه).

ورواه الحافظ أبو الفتح الأزدی فی فوائده.

وهذا أبو الفتح اسمه محمد بن الحسین، وکان حافظاً من أهل العلم والفضل، وصنّف کُتُباً فی علوم الحدیث. ذکره الخطیب البغدادی فی تاریخه، وابن السمعانی فی الأنساب، وأثنی علیه محمد بن جعفر بن غیلان، وذکره فی الحفظ وحسن المعرفة بالحدیث.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من زارنی محتسباً کنت له شفیعاً أو شهیداً).

وفی روایة:(من زارنی محتسباً إلی المدینة کان فی جواری یوم القیامة).

وهو من روایة أنس رضی الله عنه، ورواه غیر واحد، وممّن ذکره ابن الجوزی فی کتابه «مثیر الغرام الساکن» وهو من طریق ابن أبی الدنیا، وروی من طرق.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من زارنی میّتاً فکأنّما زارنی حیّاً، ومن زارنی وجبت له شفاعتی یوم القیامة، وما من أحد من أُمّتی له سعة، ثمّ لم یزرنی، فلیس له عذر).

۱- فی الأصل «السحامی». انتهی. مصحّحه، والظاهر أنّه: الشحامی.

ص: ۱۹۴

رواه الحافظ أبو عبداللَّه محمد بن محمود النجار فی کتابه الدُّرّة الیتیمة فی فضائل المدینة.

وعن ابن عبّاس رضـی اللَّه عنهما أنّه- علیه الصلاة والسلام- قال:(من زارنی فی مماتی کان کمن زارنی فی حیاتی، ومن زار قبری حتّی ینتهی إلی قبری کنت له یوم القیامة شهیداً).

خرّجه العقیلی، ورواه ابن عساکر من جهته إلّاأنّه قال:(من زارنی فی المنام کان کمن زارنی فی حیاتی) وهی فائدة جلیلة.

وعن علیّ- کرم اللَّه وجهه- أنّه- علیه الصلاة والسلام- قال:(من زار قبری بعد موتی فکأنّما زارنی فی حیاتی، ومن لم یزرنی فقد جفانی).

رواه الحسن بن یحیی بن جعفر فی کتاب «أخبار المدینة».

ورواه الحافظ أبو عبداللَّه بن النجار فی کتابه «الدُّرّة الیتیمة».(من لم یزرنی فقد جفانی).

ورواه الحافظ أبو سعید عبدالملک بن محمّد النیسابوری فی کتابه «شرف المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم»، وهذا الکتاب فی ثمان مجلّدات.

وأبو سعید هذا له مصنّفات فی علوم الشریعة. تُوفّی سنة ستّ وأربعمائة بنیسابور، وقبره بها مشهور ویتبرّک به، وکان ینتفع بکلامه وبوعظه، وتنجلی بکلامه القلوب قدّس اللَّه روحه ونوّر ضریحه.

وقال علیه الصلاة والسلام:(من جاءنی زائراً لا تحمله حاجة إلّازیارتی، کان حقّاً علیّ أن أکون له شفیعاً یوم القیامة)، وفی روایة:(من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلّازیارتی).

رواه غیر واحد من الأئمّة الحفّاظ المشهورین من حدیث ابن عمر رضی اللَّه عنهما، ومنهم الطبرانی فی «معجمه الکبیر»، ومنهم الدارقطنی فی «أمالیه»، ومنهم

ص: ۱۹۵

أبو بكر بن المقرى فى «معجمه»، ومنهم العلّامة الحافظ أبو على سعيد بن عثمان بن السكن، ذكره فى كتابه المسمّى ب «الصحاح المأثورة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم».

يا هذا انتبه لما أذكره: قال فى خطبة كتابه هذا: «أمّا بعدُ فإنّك سألتنى أن أجمع لك ما صحّ عندى من السُّنن المأثورة، التى نقلها الأئمّة من أهل البلدان، الذين لا يطعن فيهم طاعن؛ ممّا نقلوه، فتدبّرتُ ما سألتنى عنه، فوجدتُ جماعة من الأئمّة قد تكلّفوا ما سألتنى من ذلك، وقد وعيتُ جميع ما ذكروه، وحفظتُ عنهم أكثر ما نقلوه، واقتديتُ بهم، وأجبتُك إلى ما سألتنى من ذلك، وجعلتُه أبواباً فى جميع ما يحتاج إليه فى أحكام المسلمين، فأوّل من نصب نفسه لطلب الصحيح البخارى، وتابعه مسلم وأبو داود والنسائى، وقد تصفّحت ما ذكروه وتدبّرتُ ما نقلوه، فوجدتهم مجتهدين فيما طلبته، فما ذكرته فى كتابى هذا مجملًا فهو ممّا أجمعوا على صحّته، وما ذكرته بعد ذلك ممّا اختاره أحد الأئمة الذين سمّيتهم، فقد ثبتت حجّته فى قبول ما ذكره، ونسبتُه إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته فيما ينفرد به أحد أهل النقل للحديث، فقد بيّنتُ علّته، ودللتُ على انفراده دون غيره، وباللَّه التوفيق».

انتهى.

فانظر- أرشدك اللَّه تعالى- هذا الاتّفاق من هذا الإمام، والحرص على تحقيق ما وضعه فى كتابه؛ لم يقنع بوضع البخارى ومسلم وغيرهما مع جلالتهم، بل تتبع ما وضعوه حتّى وضع فى كتابه.

وهذا شأن الأئمّة الخائفين من اللَّه- عزّوجلّ- من أن يقع منهم زلل فى الإخبار عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

ثمّ إنّه رضى اللَّه تعالى عنه ذكر فى هذا الكتاب- فى كتاب الحجّ فى باب ثواب من زار قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم عن ابن عمر رضى اللَّه عنهما، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم:

(من جاءنى زائراً لم ينزعه إلّازيارتى كان حقّاً على اللَّه أن أكون له شفيعاً يوم

ص: ۱۹۶

القيامة).

ولم يـذكر فى هـذا الباب غير هـذا الحـديث، وهـذا حكم منه بأنّ هـذا الحديث مجمع على صـحّته بمقتضـى الشـرط الذى شـرطه فى الخطبة.

وهو رضـى الله عنه إمام جليل، حافظ مُتقِن، كثير الحديث، واسع الرحلة؛ سـمع بالعراق وخراسان وما وراء النهر، وسـمع بالشام ومصـر، وسـمع من خلائق من أئمّـة الحديث والأجلّاء أهل الدين، وهو من القدماء أصـله بغداديّ، وسـكن مصـر، ومات بها فى نصف المحرّم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة اللَّه تعالى عليه وعلى أمثاله.

وإذا كان هذا حديثاً صحيحاً فكيف يحلّ لأحد يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يجعله ضعيفاً، فضلًا عن أن يجعله كذباً؟!

وأقلّ درجات الثقـة الخائف أن يقول: صـحّحه فلان، وأمّا القول بوضـعه وبتكـذيب هـذا الإمام وأمثاله، فلا يصدر إلّامن زنديق محقّق الزندقة بهذه القرينة وغيرها.

عائذاً باللَّه- عزّوجلّ- من ذلك.

طعن ابن تيمية فى الأئمة والأحاديث المروية

وإذا تقرّر لك ذلك، فانظر- أرشـدك اللَّه تعالى وعافاك- هـذا الخبيث الطويّة كيف طعن فى هذه الأئمّة الأعلام فى علوم الحديث، الذين بهم يُقتدى، وعليهم يُعوّل، وعند ذكرهم تتنزّل الرحمة.

ورماهم بالوضع على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

وطعن فى هذه الأخبار المرويّة عن هذه الأئمة.

وهذا شأنه- قاتله اللَّه تعالى- كلّما جاء إلى شىء لا غرض له فيه، طعن فيه وإن كان مشهوراً ومعمولًا به بين الأئمّة.

ص: ۱۹۷

ولا علیه لا من اللَّه- عزّوجلّ- ولا من رسوله صلی الله علیه و آله و سلم، ولا من الناس.

وتنبّه لشیء عظیم رمی به هذه الأئمّة: وهو أنّ من قاعدته أنّ من کذب علی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم متعمّداً کفر، فعلیه من اللَّه- عزّوجلّ- ما یستحقّه.

وهذا وغیره یدلّ علی أنّ عنده ضغینة للنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم ولصاحبیه، وکذا لأُمّته؛ لیفوّت علیهم هذا الخبر الذی رتّبه علی زیارة قبره- علیه أفضل الصلاة والسلام-.

فاحذروه، واحذروا تزویق مقالته المطویّ تحتها أخبث الخبائث، فإنّها لا تجوز إلّاعلی عامّیّ أو بلید الذهن، کالحمار یحمل أسفاراً، أو خالٍ من العلوم وأخبار الناس.

وباللَّه تعالی التوفیق، واللَّه أعلم.

قال علیه الصلاة والسلام:(إنّ بین یدی الساعة دجاجلة (۱) فاحذروهم).

رواه مسلم فی صحیحه من حدیث جابر بن سَمُرة رضی الله عنه.

وقوله: «وفی الصحیحین عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أنّه قال فی مرض موته:(لعن اللَّه الیهود والنصاری اتّخذوا قبور أنبیائهم مساجد) یحذّر ما فعلوا. قالت عائشة:

ولولا ذلک لأبرزوا قبره، ولکن کره أن یُتّخذ مسجداً، فهم دفنوه فی حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن فی الصحاری؛ لئلّا یصلّی أَحد عند قبره ویُتّخذ مسجداً، ویُتّخذ قبره وثناً...» إلی آخره.

احتجاج ابن تیمیة علی منع الزیارة و تدلیسه فی کلامه

تأمّل- بصّرک اللَّه تعالی وفهّمک- کیف بعد تضلیل هذه الأئمة وفجوره؛

۱- هذا إخبار من المصنّف بأنّ هذا الرجل دجّال وهو یؤیّد ما سبق لنا من أنّ أفعاله أفعال دجاجلة. انتهی. مصحّحه.

ص: ۱۹۸

بادّعاء أنّ هذه الأحاديث المتعلّقة بالزيارة كذب.

كيف أردف ذلك بهذا الحديث؛ محتجّاً به على منع زيارة القبر الشريف.

وفيه من أقوى الأدلّة على تدليسه وسوء فهمه؛ إذ الحديث ليس فيه تعرّض للزيارة ألبتّة، وإنّما فيه منع اتّخاذ القبور مساجد.

ونحن لم نتّخذ قبره المكرّم المعظّم مسجداً، ولا ـ نصلّي فيه ولا إليه، بل نزوره وندعو مع الأدب والخشوع والسكينة ورؤية العظمة؛ لعلمنا بأنّه يسمعنا ويجيبنا، وعلى ذلك جرت عادة المؤمنين.

قال بعضهم: رأيت أَنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أتى قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، فوقف فرفع يديه حتّى ظننت أنّه قد افتتح الصلاة، فسلّم على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، ثمّ انصرف.

وقوله: «فهم دفنوه فى حجرة عائشة رضى اللّه عنها خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحارى؛ لئلّا يصلّى أحد عند قبره، ويُتّخذ مسجداً، فيُتّخذ قبره وثناً».

هذا أيضاً من التدليس منه وسوء الفهم على عادته، وما قاله باطل يموّه به على الضعفاء من الطلبة وغوغاء الناس.

وإنّما دفنوه فى حجرة عائشة رضى اللّه عنها؛ لما رُوى لهم أنّ الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- يدفنون حيث يُقبضون.

وكان ذلك بعد اختلافهم أن يدفن؟ فقال بعضهم: يُدفن فى مسجده، وقال بعضهم: مع إخوانه.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: عندى من ذلك علم فذكر لهم: أنّ النبى يُدفن موضع يقبض، فلمّا روى لهم الحديث دفنوه موضع قبضه.

وهذا من القضايا المشهورة فى غاية الشهرة، ولا نعلم أنّ أحداً قال: إنّهم

ص: ۱۹۹

دفنوه موضع قبضه للمعنى الذى ذكره.

وهـذا شأنه إن وجـد شـيئاً يوافق هواه وخبث طويّته، ذكره ووسّع الكلام فيه وزخرفه، وإن وجـد شـيئاً عليه أهمله، أو حمله على محمل يعرف به أهل النقل جهله وتدليسه عند تأمّله، وفى بعض المواضع يُعرف من غير تأمّل.

وقوله: وكانت الصـحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبويـة منفصـلة عن المسـجد لا يـدخل للصـلاة هناك، ولا يتمتّع بالقبر، ولا دعاء هناك».

هـذا أيضاً من الجسارة التى يُزخرف بها على العوامّ وأشـباههم من سـيّئى الأفهام من الطلبة، فإنّ هذا لا يدلّ على مراده من منع الزيارة، بل كلامه يدلّ على الزيارة بلا هذه الأفعال إلّاالدعاء، فليس كما قال، وسيأتى إن شاء اللّه تعالى.

ومع ذلك ليس مجمعاً عليه، كما زعمه وأوهمه كلامه.

فـإنّ أبـا أيوب الأنصارى رضـى الله عنه زار والتزم القبر، فأنكر عليه مروان بن الحكم، فوبّخه أبو أيوب، وقال فى كلامه ما معناه: أُبكوا على هذا الأمر إذا وليه غير أهله (۱).

ذكر ذلك أبو الحسين فى كتابه «أخبار المدينة».

وروى عن ابن عمر رضـى اللّه عنهما: أنّه وضع يده على موضع مقعد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم من المنبر، ثمّ وضعها على وجهه (۲).

وكان رضى الله عنه يتردّد إلى الأماكن التى كان يتردّد إليها رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم وبراحلته لأجل التبرّك.

۱- فى ذلك جواز ضمّ قبور الصالحين، وأبو أيّوب الأنصارى الذى ضمّ ضـريح سيّد الوجود صلى الله عليه و آله و سلم، هو أبو أيّوب وكفى. انتهى مصحِّحه.

۲- فى ذلك جواز التبرّك بآثار الصالحين أيّاً كانت حتّى الخشب الذى كانوا يجلسون عليه، وابن عمر هو ابن عمر. انتهى. مصحِّحه.

ص: ۲۰۰

وقد تقدّمت قصّة بلال رضـی الله عنه لمّا شدّ رحله لزيارة قبره عليه الصـلاة والسلام، فلمّا وصل الضريح المكرّم جعل يمرّغ وجهه عليه ويبكی (۱).

وقوله: «ولا دعاء هناک».

قضيّة سياقه أنّ الإجماع على أنّه لا يدعو عند القبر، وهی دعوى عريضة.

ثمّ أكّد ذلک بقوله: «إنّما يفعلونه فی المسجد».

ثم أردف ذلک بقوله: «وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلّموا عليه، وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلی القبلة، ولم يستقبلوا القبر».

ثمّ قال: وأمّا وقت السـلام فقال أبو حنيفة: يسـتقبل القبلة ولا يسـتقبل القبر، وقال أكثر الأئمّة: يستقبل القبر عند السلام خاصّة، ولم يقل أحد من الأئمّة: إنّه لا يستقبل القبلة عند الدعاء إلّافی حكاية مكذوبة عن مالک، ومذهبه بخلافها.

ثمّ أردف هذا بأُمور يجسر بها على الأغمار، يتخيل الواقف عليها من العوامّ حسم باب الزيارة لقبره عليه الصلاة والسلام.

والحاصل من كلامه: أنه لا يُدعى عند القبر بالاتّفاق، ولا يُستقبل القبر عند

۱- انظر تمريغ سـيّدنا بلال وجهه على ضـريح خير الخلق، وبلال هو بلال، تجـده صورة طبق الأصل لما يحصل من كثير من الزائرين اليوم والزائرات للصـالحين من أهـل الـبيت وغيرهـم، ويقوم ويقعـد كثير من المتنطّعين لـذلک، ولاـ يرضون لفـاعله غير الشـرک بـاللّه، ليحكموا بذلک على بلال الذی يُعدّ من أجلّاء الصـحابة، وهو مؤذّن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم. ليعلم أولئک المتنطّعون أنّ ذلک أثر وجد فی النفوس لا يشعرون هم به، يحمل أهله على التبرّک بما يجاور حبيب ربّهم، وهو من باب قول القائل:

ص: ۲۰۱

الدعاء بالإجماع، وأَنّ الحكاية التى وقعت بين مالك وأبى جعفر المنصور كذب.

سبحانك هذا بهتان عظيم، وهذا من الفجور الذى لا أَعلم أحداً فاه به، ولا رمز إليه؛ لا من العلماء ولا من غيرهم.

أما قضيّة مالك مع المنصور فقد ذكرتها فى الكلام على التوسّل، فإنّها صحيحة بلا نزاع.

وأَما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق، ومنهم الإمام مالك، وقد نصّ على أنّه يقف عند القبر، ويقف كما يقف الحاجّ عند البيت للوداع، ويدعو، وفيه المبالغة فى طول الوقوف والدعاء، وقد ذكره ابن المواز فى الموازية.

فأفاد ذلك: أنّ إتيان قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم والوقوف عنده والدعاء عنده من الامور المعلومة عند مالك، وأنّ عمل الناس على ذلك قبله وفى زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره، فضلًا عن أن يُفتى به، أو يُقرّه عليه.

وقال مالك فى رواية ابن وهب: إذا سلّم على النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر، لا إلى القبلة، ويدعو ويسلّم، ولا يمسّ القبر بيده.

نعم فى «المبسوطة»: لا أرى أنّه يقف عنده ويدعو، ولكن يسلّم ويمضى.

وإنّما ذكرت كلام «المبسوطة» لأنّ من حقّ العالم الذى يؤخذ كلامه أن يذكر ما له وما عليه؛ لأنّ ذلك من الدين.

وقال أبو عبداللَّه محمّد بن عبداللَّه السامرى فى كتاب «المستوعب» فى باب زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «وإذا قدم مدينة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم استُحبّ له أن يغتسل لدخوله، ثمّ يأتى مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، ويقدّم رجله اليمنى فى الدخول، ثمّ يأتى حائط القبر، فيقف ناحيته، ويجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، ثمّ ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال، ومنه: اللّهمّ إنّك قلت فى كتابك لنبيّك- عليه الصلاة والسلام-: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوكَ الآية، وإنّى

ص: ۲۰۲

قد أتيتك مستغفراً، فأسألك أن توجب لى المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه فى حال حياتِه اللّهمّ إنّى أتوجه إليك بنبيّك» وذكر دعاء طويلًا، ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودّع».

وهذا أبو عبداللَّه من أئمة الحنابلة، وساق هذا الكلام سياق المتّفق عليه. ومن جملة ما أفاد: أنّه يتوسّل بالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، ويتوجّه به بعد وفاته كما فى حياته، وأنّ الآية عامّة وشاملة للحياة وبعد الوفاة، فتنبّه لذلك.

وكذلك ذكره أبو منصور الكرمانى من الحنفية: أنّه يدعو ويُطيل الدعاء عند القبر المكرّم.

وقال الإمام أبو زكريا النووى فى مناسكه وغيره: فصل فى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، وذكر كلاماً مطوّلًا، ثمّ قال: «فإذا صلّى تحيّة المسجد أتى القبر، فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر، وسلّم مقتصداً لا يرفع صوته»، وذكر كيفيّة السلام، ثمّ قال: «ويجتهد فى إكثار الدعاء، ويغتنم هذا الموقف الشريف...» إلى آخره.

فهذه نُقُول الأئمّة بتطويل الدعاء عند القبر المكرّم، وقد خاب من افترى وكلّ أحد تلحقه الخيبة على قدره.

وقوله: «وهذا كلّه محافظة على التوحيد، فإنّ من أُصول الشرك باللَّه اتّخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف فى قوله تعالى: لَاتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً.

قالوا: كان هؤلاء قوماً صالحين فى قوم نوح، فلمّا ماتوا اعتكفوا على قبورهم ثمّ صوّروا على صورهم تماثيل، ثمّ طال عليهم الأمد فعبدوها.

وقد ذكر ذلك المعنى البخارى فى صحيحه عن ابن عبّاس رضى اللَّه عنهما، وذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره وغيره عن غير واحد من السلف...»

ص: ۲۰۳

إلى آخره.

وأنت- أيّها اللبيب أرشدك اللَّه عزّوجلّ وزادك بصيرة وفهماً- إذا تأمّلتَ هذا الاستدلال منه قطعت بجهله وبخلطه فى خبطه، وعلمت بذلك سوء فهمه وخيالاته الفاسدة، ومن نفس الدليل تعلم ذلك.

فإنّه تخيّل بذهنه الجامد وخياله الفاسد: أنّ منع الزيارة والسفر إليها من المحافظة على التوحيد، وأنّ الزيارة تؤدّى إلى الشرك وعبادة الأوثان.

وهذا خيال فاسد؛ لأنّ اتّخاذ الصور مساجد وعيداً والعكوف وتصوير الموتى فيها، هو المحذور، والمؤدّى إلى الشرك عند تطاول الزمان، وهذا هو الممنوع منه، كما هو مصرّح به فى الأحاديث الصحيحة فى قوله عليه الصلاة والسلام:(لعن اللَّه اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا.

وفى قوله- عليه الصلاة والسلام- لمّا أخبر بكنيسة بأرض الحبشة، قال:

(أُولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثمّ صوّروا فيه تلك الصور، أُولئك شرار الخلق عند اللَّه عزّوجلّ).

فهذا هو الذى حذّر منه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

وأمّا الزيارة والسلام على الميّت والدعاء له وعنده، فلم يؤدِّ إلى ذلك ولا له تعلّق بتلك الأُمور.

ومن تخيّل ذلك فهو من سوء فهمه فى هذا الأمر الواضح.

ولو كان يؤدّى إلى ذلك لما شرّعه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

وأبلغ من ذلك لما أمره اللَّه- عزّوجلّ- بالخروج إلى قبور الشهداء الذين أكرمهم بالشهادة، حين نزل عليه جبريل عليه السلام، وأمره بأمر اللَّه تعالى بالخروج إلى بقيع الغرقد، بل كان نهاه أن لو أراد الخروج.

وأيضاً فإنّه- عليه الصلاة والسلام- قال:(زوروا القبور) كما رواه مسلم

ص: ۲۰۴

وغيره بزيادة...

إلى غير ذلك ممّا علّمهم عليه الصلاة والسلام كيفيّة الزيارة، كما جاء في الأحاديث في زيارتها قولًا وفعلًا، وتواتر ذلك.

وأجمع عليه المسلمون حتى أنّ منهم من أوجب زيارتها؛ لظاهر قوله- عليه الصلاة والسلام-:(زُوروا القبور).

فلو كانت الزيارة من الأُمور التي تؤدّي إلى الشرك- كاتّخاذها مساجد وعيداً والتصوير ونحو ذلك- لم يشرعه اللَّه- عزّوجلّ- لنبيّه صلى الله عليه و آله و سلم، ولا شرّعها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم بقوله وبفعله.

وقد أطلعه اللَّه- عزّوجلّ- على ما أراد من غيبه، وبعثه بدينه القويم، وهو الصراط المستقيم.

ولا فعلها الصحابة رضي اللَّه عنهم الذين هم من أصفياء اللَّه تعالى.

بل كانوا أحرص الناس على ذلك؛ خوفاً من إعادة ما جاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم بإماتته ودفنه واندراس أثره، واللَّه أعلم.

وأنت أيها العاقل الفطن إذا تصوّرت ما نقلتُهُ لك، وتعقَّلْتَهُ بذهنك الصحيح، علمت وتحقّقتَ أنّه ليس لأحد أن يحرّم إلّاما حرّم اللَّه تعالى ورسوله، وأنّه لا يحلّ له التهجّم على موارد الشرع ومصادره بخيالاته الفاسدة.

وأنّه بذهنه الجامد أدرك ما لم يدركه الصحابة رضي اللَّه عنهم.

ولو فتحنا هذا الباب، وتتبعنا هذه الخيالات الفاسدة، لهدمنا أُموراً كثيرة من الدين ولانحلّت عُراه عُروة عروة، وتبدلّت بعد الجهالة، ولمات الدين، وذلك من الخسران المبين.

شعر:

فالقول ما قال النبيُّ وصحبُهُ فإذا اقتديتَ بهم فنعْمَ المُقْتدى

و احتجاج ابن تيمية بحديث آخر على مدعاه

وأعلم: أنّ من جملة ما احتجّ به على منع زيارة قبره- عليه الصلاة والسلام- حديث(اللّهمّ لا تجعل قبري وثناً وعيداً، اشتدّ غضب اللَّه على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

وهذا من أظهر الامور على عمى قلبه وطَمْس بصيرته.

كيف يتخيّل متخيّل- فضلًا عن أن يعتقد معتقد- أنّ قبره المكرّم المعظّم يصير وثناً.

كلّا والذي رفع ذكره، وأعلى قدره وعظّمه، وملأ كتابه بذلك، لا يمكن تصوّر ذلك.

وكيف يُتصوّر وهو لا تردّ له دعوة ولو في حقّ غيره؟! فكيف بما هو في حقّه؟!

موارد من أدعية النبي

وهذا من المعلوم الشائع الذائع عند المتّسع الباع، ولو عددت لك نقطة من ذلك مع الاقتصاد، لضاقت القراطيس والألواح. ولما أُدرك غبار مباديه ولما لاح:

دعا عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقّاص: أن يجيب اللَّه دعوته، فما دعا على أحد إلّااستُجيب له.

وإذا كان هذا قد ناله ببركة دعوته، فكيف بدعائه لنفسه، لا سيّما في هذا الأمر الفظيع؟!

ومرض أبو طالب فعاده عليه الصلاة والسلام، فقال: ادعُ ربّك أن يعافيني، فقال: اللّهمّ اشفِ عمّي، فقام في الحال كأنّما نشط من عقال. فقال له: يا ابن أخي أيطيعك ربّك؟ فقال: يا عمّاه لئن أطعت اللَّه- عزّوجلّ- ليطيعنّك).

ودعا عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضى اللَّه عنها أنّ اللَّه لا يُجيعها.

ص: ۲۰۵

ص: ۲۰۶

قالت رضی اللّٰه عنها: فما جئتُ بعد.

ودعا علیه الصلاة والسلام لعلیّ رضی الله عنه أن یکفیه الحرّ والبرد، فکان یلبس فی الشتاء ثیاب الصیف، وفی الصیف ثیاب الشتاء، ولا یصیبه حرّ ولا برد.

ودعا علیه الصلاة والسلام لابن عبّاس، فقال:(اللّهمّ فقّهْهُ فی الدین وعلم (۱) التأویل) فکان کذلک، وکان بعد ذلک یُسمّی الحَبْر وترجمان القرآن.

ودعا لعبد الرحمن بن جعفر بالبرکة فی صفقة یمینه، فما اشتری شیئاً إلّا ربح فیه.

ودعا علیه الصلاة والسلام لعروة بن أبی الجعد، فکان لو اشتری التراب لربح فیه.

ودعا علیه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن عوف رضی الله عنه بالبرکة، قال عبدالرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوتُ أن أُصیب تحته ذهباً.

وندت علیه ناقة فدعا بردّها، فجاءها إعصار ریح حتّی ردّها علیه.

فانظر کیف من کساه خِلَع القُرب والمنزلة عنده أن جعلها سائسة بعیره.

والإعصار أحد الأعاصیر، وهو الریح العاصف التی ترتفع إلی السماء کأنّها عمود.

وفی حدیث أسماء بنت عمیس رضی اللّٰه عنها أنّه- علیه الصلاة والسلام-:

(کان یُوحی إلیه ورأسه فی حِجْر علیّ رضی الله عنه، فلم یصلِّ العصر حتّی غَرُبت الشمس، فقال علیه الصلاة والسلام: اللّهمّ إنّه کان فی طاعتک وطاعة رسولک، فاردد علیه الشمس. فقالت أسماء رضی اللّٰه عنها: فرأیتُها غربت، ثمّ رأیتُها طلعتْ بعدما غرُبتْ، ووقعتْ علی الجبال، وذلک بالصبهاء بخیبر).

۱- وعلمه. انتهی. مصحِّحه.

ص: ٢٠٧

وقيل: رجعت حتّى بلغت نصف المسجد (١).

ومثل هذا كثير جدّاً، وقد ذكرتُ جملة من ذلك في فصل الحجّ في كتاب «تنبيه السالك على مظانّ المهالك».

يا من أمدّ أبا هرٍّ بمزْودةٍ فأُوقرتْ منهُ للغادينَ أحمالُ

جئناكَ نَطْوى الفِجاجَ المُقْفِراتِ على عيسٍ لها في السُّرى وجدٌ وإرقالُ

قال أبو هريرة رضي الله عنه:(أصاب الناس مخمصة، فقال لي رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: هل من شيء؟ فقلت: نعم، شيء من التمر في المِزْود. قال: فأْتِني به، فأدخل يده، فأخرج قبضة، فبسطها ودعا بالبركة. ثمّ قال: ادعُ عشرة فأكلوا حتّى شَبِعوا، ثم عشرة كذلك؛ حتّى أطعم الجيش كلّهم وشبعوا. ثمّ قال: خذ ما جئتَ به، وأدخل يدك واقبض منه، ولا تُكفِئه، فقبضتُ على أكثر ما جئتُ به، فأكلتُ منه وأطعمتُ حياة رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم وأبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما إلى أن قُتل عثمان رضي الله عنه، فانتُهب مني، فذهب).

وفي رواية: فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا أوسقاً في سبيل اللّه تعالى.

فقد تحققتَ بهذا- فضلًا عن غيره، وهو مثل الرمال كثيرة- يا صحيح الذهن وقويّ الإيمان به، أنّه لا يكون قبره وثناً ألبتة.

بل في الحديث الصحيح:(قد أيس الشيطان أن يُعبد في جزيرة العرب).

أوَ مثل هذا السيّد المُعظَّم المُكرَّم لا يُتوسّل به، ولا تُشدّ الرحال إليه؟!

قاتل اللّهُ العزيزُ من قاله، وضاعف العذاب عليه.

١- هذا حديث ردّ الشمس.

ص: ۲۰۸

جديرٌ بنا نسعى إليه ونُدلجُ فذاك الذى يُسعى إليه ويُدلَجُ

جعلنا إليه فى الحياة احتياجنا ونحنُ إليه فى القيامةِ أحوجُ

جميعُ الورى والرُّسْلِ تحت لوائه ومن ذا له عن جاهِ أحمدَ مَخْرجُ

أو لهذا السيّد الجليل المبجَّل لا يشدّ إليه رحل ولا يتوسّل به؟!

قاتل اللّه قائله، وجعله على رَضْف (۱) جهنّم يتمايل.

زكا قدرُهُ من ذا يُجاريهِ فى العلا وأعلامُهُ فى ذِرْوة العزّ تُركَزُ

زحاماً ترى للرُّسْلِ تحت لوائِهِ وكلُّ نبيٍّ باللِّوا يتعزّزُ

زعيم بتعجيل الشفاعةِ عندما أُولو العزمِ عنها فى القيامة تعجزُ

زفيرُ لظىً عنّا يُردُّ بجاهِهِ إذا هىَ من غيظٍ علينا تميَّزُ

زكاة على الأبدان تسعى لقبره فسيروا وزوروا فالغنائمُ تُحرَزُ

فمن زارهُ نالَ السعادَة كلَّها ومن ماتَ عجْزاً ذاك واللّه أميزُ

فمن توسّل به- عليه الصلاة والسلام- إنّما توسّل به لعلُوّ قدره ورتبته، وارتفاع منزلته وكمالها عند ربّه، وعظيم إجلاله وفضله على جميع خلقه، كما أخبر هو عن نفسه.

فإنّه سيّد الأوّلين والآخرين، وحبيب ربّ العالمين، وأحبّ الخلق إليه أجمعين.

ذلك شائع وذائع فى الأقدمين والآخرين؛ حتّى فى أعدائه المبطلين.

قديماً بدا قبلَ النبيّينَ فضلُهُ وإن قدموا بعثاً ففى الفضل أسبقُ

قضى اللّهُ أن لا يلحق الرُّسْلَ لاحقٌ ولا أحدٌ منهم بأحمدَ يلْحَقُ

قَطعنا بأن لا يخلق اللّهُ شبههُ قديماً ولا فى آخر الخلق يُخلَقُ

قل الحقّ هل تدرى لأحمدَ مُشْبهاً فبادر وقل: لا لا، فإنّك تصدُقُ

قرأنا أحاديثاً صِحاحاً بأنّه عليه لواءُ الحمدِ فى الحشرِ يخْفِقُ

قياماً له الأملاكُ والرُّسْل تحتَهُ ومن حولِهِ صفّواً وحفّواً وأحْدَقوا

قوىّ ولكن ليّنٌ فى أُناسه رفيق ولكن بالمساكين أرفقُ

قريب لأرباب الحوائجِ ما ترى لأحمدَ حُجّاباً ولا البابُ يُغلقُ

وكيف لا يكون كذلك؟ وهو كما قيل فيه:

أكرمُ العالمينَ أصلًا وفصلًا وجلالًا وسيّد البطحاءِ

خُصّ بالحوضِ والشفاعةِ فى الحشرِ لكلِّ الورى ورَفْع اللواءِ

والمقام المحمود والسبق للنّا سِ دُخولًا فى الجنّةِ الفيحاءِ

ثمّ يُعطى وسيلةً هى أعلى درجاتِ الجنانِ ذات البقاءِ

هو جارى وعُدّتى ونصيرى وعمادى فى شدّتى ورخائى

وليس هذا خاصّاً بى وبفقرى، بل هو كما قيل فيه:

له المقام الذى ما ناله أحدٌ والفخرُ والمجدُ والإحسانُ والحَسَبُ

وَهْو الشفيعُ الذى تُنجى شفاعتُهُ كلَّ الأنامِ إذا ما مسَّها العَطَبُ

محمّدٌ خيرُ خلْقِ اللَّهِ قاطبةً وَهْو الذى لفخار المجدِ يكتسبُ

نوِّهْ بِهِ يا مُنادى الحيِّ إنَّ بِهِ تزولُ عن قلْبىَ الآلامُ والكُرَبُ

عانٍ له مُقلةٌ تشتاقُ تنظرُهُ ومُهجةٌ بلهيبِ الشوقِ تلتهبُ

وكيف لا تلتهب؟! وقد شاهدت ما شاهدت ممّا لا يمكن النطق به، ولا أفوه، وكيف كيف أسلوه؟!

وعى اللَّهُ بالبطحاءِ أيّامنا التى مضت كوميضِ البْرقِ ثَمّ تولّتِ

١- الرَّضْف: الحجارة المحماة.

ص: ۲۰۹

ص: ۲۱۰

ص: ۲۱۱

وحيّا قِباباً بين سَلْعٍ إلى قِبا لعزّتها يحلو خضوعی وذِلّتی

نَعِمتُ بها لکن کأحلامِ نائمٍ کأنْ لم تَزُرْها العیسُ حتّی تولّتِ

فهل لی إلی تلک العوالمِ عودةٌ ولو دونها بیضُ الصوارمِ سُلّتِ

وألثَمُ إجلالًا ثَراها وأجْتلی شموسیَ فی أرجائها وأَهلّتی

سقی اللَّهُ ذاتَ الظلِّ من دارة الحِمی حیاً نَهِلتْ منهُ رُباها وعلّتِ

وسحّتِ علی أعلامِ سَلْعٍ مدیمةً غمائمُ بالنوءِ الرَّویّ استهلّتِ

فتلکَ لَعمْرُ اللّهِ دارُ أحبَّتی وسُکّانها کلّ المرادِ وبُغیتی

ألا لیتَ شِعْری هل أزورُ قِبابَها فتحمَدُ فیها العیسُ شدّی ورِحْلتی

وأنشدُ فی أکنافِها مترنّماً لمن نظم مدحی فیهِ بیت قصیدتی

ألا یا رسولَ اللّهِ أنتَ وسیلتی إلی اللّهِ إذْ ضاقت بما رُمتُ حیلتی

وان شئت قلت:

إلی اللّهِ فی غفرانِ ذنبی وزلّتی.

فالتوسّل به- علیه الصلاة والسلام- لم یزل منذ آدم علیه السلام، لا- یتوقّف فیه أحد، ولا- یطعن؛ إلی أن ظهر بعض زنادقة الیهود وغلاتهم فی بغضه- علیه الصلاة والسلام-.

قال: وإنّه بموته بطلت حُرمتُهُ وجاهُهُ، فلا یتوسّل به، ولا یقال: یا جاه محمّد.

وتمّ ذلک بتوارث سلالتهم معتقدین ذلک مُصرّین علیه.

استدلال ابن تیمیة علی أن التوسل شرک، والرد علیه

ثمّ زاد هذا الخبیث: أنّ التوسّل به شرک.

وقرّره بتقریر ألحقه بقوله: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِیُقَرِّبُونَا إِلَی اللَّهِ زُلْفَی.

وذلک یدلّ علی انّه من أجهل الجهلة.

ص: ۲۱۲

فإنّ التوسّل به- عليه الصلاة والسلام- معناه: أسأل اللَّه- عزّوجلّ- برسوله، وأتشفّع إليه به.

فهو سائل للَّه- عزّوجلّ- لا لغيره.

ولا يلزم من التوسّل به أو بشخص والتشفّع إليه به، أن يكون عبده، ولا اتّخذه إلهاً وربّاً من دون اللَّه، ولا جعله شريكاً فى الإلهية.

ومن جعل التوسّل بشخص، مثل هؤلاء (۱)، فهو من جهله وسوء فهمه وعدم تعقّله ما يقول.

ومثل هذا لا يحلّ لأحد أن يقلّده، ولا ينظر فى كلامه إلّامن له رتبة التمييز بين الحقّ والباطل، وإلّا هلك وهو لا يشعر.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:(حياتى خير لكم ومماتى خير لكم) قالوا: يا رسول اللَّه قد عرفنا أنّ حياتك خير لنا، فكيف وفاتك خير لنا؟ قال:(أمّا حياتى فإنّكم كلّما أحدثتم حدثاً أحدث اللَّه لكم المخرج منه بى، فإذا متّ فلا أزال أُنادى من قبرى: «ربّى أُمّتى» حتّى يُنفخ فى الصور، ثم لا أزال أُجاب أربعين سنة حتّى يُنفخ الأُخرى، وتعرض علىّ أعمالكم، فما كان من حسن شكرتُ اللَّه عليه، وما كان سيّىء دعوتُ اللَّه أن يغفره).

رواه الإمام العلّامة هبة اللَّه فى كتابه «توثيق عُرى الإيمان»، ورواه غيره.

فهو- عليه الصلاة والسلام- رحمة لنا فى حياته وبعد وفاته، فكيف لا يُتوسّل به إليه، ولا نُعمل البُزُل (۲) القناعيس (۳) نحوه وإليه.

وذلك ممّا أجمع أهل التوحيد عليه، وأجمعوا على تكفير من قال بخلاف ذلك.

۱- هنا محذوف هو المفعول الثانى ل «جعل»، تقديره «شركاً» ليستقيم الكلام. انتهى مصحِّحه.

۲- مفرده: بازل، وهو البعير الذى طلع نابه.

۳- مفرده: قِنْعاس، وهو الجمل الضخم العظيم.

ص: ۲۱۳

صرّح به أئمّة الأُمّة، وأوّلهم مالك.

وكان ابن تيميّة ممّن يعتقد ويُفتى: بأنّ شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء حرام؛ لا تُقصَر فيه الصلاة، ويصرِّح بقبر الخليل وقبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

وجاء بريدىّ من مصر باعتقاله على ذلك فاعتقل.

ابن القيم و ابن كثير و تعزيره لأجل اتباع ابن تيمية

وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيّم الجوزيّة الزرعى، وإسماعيل بن كثير الشركوينى.

فاتّفق أنّ ابن قيّم الجوزيّة سافر إلى القدس الشريف، ورقى على منبر فى الحرم ووعظ، وقال فى أثناء وعظه، بعد أن ذكر المسألة، وقال: ها أنا راجع، ولا أزور الخليل. ثمّ جاء إلى نابلس، وعمل له مجلس وعظ، وذكر المسألة بعينها حتّى قال: فلا يزور قبر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

فقام إليه الناس وأرادوا قتله، فحماه منهم والى نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرّفون صورة ما وقع منه، فطلبه القاضى المالكى، فتردّد، وصعد إلى الصالحية إلى القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى، وأسلم على يديه!

فقَبل توبته، وحكم بإسلامه، وحُقن دمه، ولم يعزّره لأجل ابن تيميّة.

ولمّا كان يوم الجمعة رابع شعبان، جلس القاضى جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية، وأحضر جماعة من جماعة ابن تيميّة كانوا معتقلين فى سجن الشرع، فادّعى على إسماعيل بن كثير صاحب التاريخ أنّه قال: إنّ التوراة والإنجيل ما بُدِّلا، وأنّهما بحالهما كما أُنزلا، وشهدوا عليه بذلك، وثبت فى وجهه، فعُزِّر فى المجلس بالدِّرّة، وأُخرج وطيف به، ونُودى عليه بما قاله.

ثمّ أُحضر ابن قيّم الجوزيّة، وادُّعى عليه بما قاله فى القدس الشريف وفى

ص: ۲۱۴

نابلس، فأنکر، فقامت علیه البیّنة بما قاله.

فأُدّب وحمل علی جمل، ثمّ أُعیدوا فی السجن.

ولمّا کان یوم الأربعاء أُحضـر ابن قیّم الجوزیّة إلی مجلس شـمس الدین المالکی، وأرادوا ضرب عنقه (۱)، فما کان جوابه إلّاأن قال: إنّ القاضی الحنبلی حکم بحقن دمی وبإسلامی وقبول توبتی.

فأُعید إلی الحبس إلی أن أُحضر الحنبلی، فأُخبر بما قاله، فأُحضر ولم یثبت له عُذر.

وضرب بالدِّرّة، وأُرکب حماراً وطیف بن فی البلد والصالحیة، وردّوه إلی الحبس، ولم یزل هذا فی أتباعه.

وحضر شخص إلی دمشق یقال له أحمد الظاهری، وکان قد حفظ آیات المتشابه وأحادیثه، فکان یسردها علی العوامّ وآحاد الناس من الفقهاء، فعظّمه أتباع ابن تیمیّة وأکرموه.

ثم إنه توجّه إلی القاهرة، فشـرع یسـرد الآیات والأحادیث، فعلم به الإمام العلّامـة الشـیخ سـراج الـدین البلقینی فطلبه، وأَعلم به برقوق، فأخذوه وقیدوه، وکانوا یضربونه بالسیاط أوّل النهار، ثم یستعملونه فی العمارة، فإذا کان آخر النهار أعادوا علیه الضرب.

ثمّ بلغنی أنّ آخر الأمر أن ضربوا عُنُقه.

ابن رجب الحنبلی یکفر ابن تیمیة

وکان الشیخ زین الدین ابن رجب الحنبلی ممّن یعتقد کفر ابن تیمیّة، وله علیه

۱- هذه قیمة ابن القیّم یراها القاریء مجسّمة أمامه فی هذا السیاق، فلیعرفها ولا یغترّ. انتهی. مصحِّحه.

ص: ۲۱۵

الردّ، وکان یقول بأعلی صوته فی بعض المجالس: معذور السُبکی؛ یعنی فی تکفیره.

والحاصل: أنّه وأتباعه من الغلاة فی التشبیه والتجسیم، والازدراء بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم وبغض الشیخین، وبإنکار الأبدال الذین هم خلفوا الأنبیاء.

ولهم دواه أُخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس فی لحظة واحدة.

فنسأل اللَّه تعالی العافیة ودوامها، إنّه علی ما یشاء قدیر، وبالإجابة جدیر.

وجرّسوا (۱) بابن القیّم وابن کثیر، وطیف بهما فی البلد وعلی باب الجوزیّة؛ لفتواهم فی مسألة الطلاق، واللَّه أَعلم.

وأعلم: أنّی اقتصرت علی الکلام علی هذه الفتوی لإشاعتها بین العوامّ، وفیها التعرّض لمنع الوسیلة، ومنع شدّ الرحال إلی قبر سیّدنا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم، واستدلاله لما قاله بالتجسیر والتمویهات التی بینا بطلانها وفسادها.

وأنّ ذلک من أظهر الأُمور علی فجوره فی النقل والإغراء.

وأنّه لا یحلّ أن یقلّده ولا یأخذ عنه، ولا ینظر فی کلامه ولا یسمعه إلّامن یکون له رتبة التمییز بین الحقّ والباطل، وإلّا هلک وهو لا یشعر (۲).

۱- أی ندّدوا.

۲- هذا حکم من هذا الإمام الکبیر علی کلّ من یتبع ابن تیمیّة بأنّه هالک فی دینه. وانظر معنی الهلاک فی مثل هذا المقام.

ص: ۲۱۶

الدعوة إلى معارضة ابن تيمية و أتباعه السلفية قولا و عملا

ثمّ من الأُمور المهمّـة المقرّبة إلى اللَّه- عزّوجلّ- وإلى رسوله وإلى وزيريه رضـى اللَّه عنهما، بسط الألسن والأيدى فيهم؛ جرياً على ما درج عليه العلماء والسلاطين؛ منذ أثار هذا الخبيث هذه الخبائث.

وأن يُعلن بالتوسّل بسيّد الأوّلين والآخرين.

وأن يُعتنى بإظهار شدّ الرحال وإعمال المُطىّ والأقدام إلى خير خلقه وحبيب القلوب، ومن بذكره تنجلى الكروب، ويهتزّ الطروب.

وبالصلاة والسلام عليه تذهب الذنوب، التى بسببها حصل الإبعاد عن المزار وبعد الدار:

روى زيد بن أسلم أنّ عمر خرج ليلة يحرس، فرأى مصباحاً فى بيت، وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمّد صلاة الأبرارْ صلّى عليه الطيّبون الأخيارْ

قد كنتَ قوّاماً بكا فى الأسحار يا ليت شعرى والمنايا أطوارْ

هل تجمعُنى وحبيبى (۱) الدارْ

تعنى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

قال: فجلس عمر رضـى الله عنه يبكى شوقاً إلى حبيبه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم، وتتصعّد أنفاسه من نار الشوق، لولا دموع المحبّين تطفىء نار الشوق لاحترقت أكبادهم بأنفسهم.

يا خليلىَّ قد بلغتُ القصدا وعرفتُ الغرام هَزْلًا وجدّا

خلّيانى من ذكر سلمى ونجدٍ ودعانى من حبّ سلمى وسعدى

أنا لى فى حشاشتى حبُّ بدرٍ أقسم الدهرُ أنّه لا يبدى

۱- «وحبيبى» انتهى مصحّحه.

ص: ۲۱۷

نار وجدى بحبّه فى ازديادٍ وغرامى به تزايدَ جدّا

كُلّما رُمتُ أنّ نفسىَ عنهُ تتسلّى أبت ولا تتهدّى

وتراها إذا ترنّم حادٍ بُرباها تذوب شوقاً ووَجْدا

لا تَلُمْها إذا بدت بحنينٍ وأنينٍ يقِدّ ذا القلبَ قدّا

فلها مَعْهدٌ وأنسٌ قديم ليس يفنى وإن تطاول عهدا

كان الصدّيق رضى الله عنه من المشغوفين بمحبّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.

قال سيف بن عمر: وكان سببُ موتِ الصّديق رضى الله عنه وفاةَ رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم؛ كمداً عليه، فما زال جسمه يتحرّق حتّى مات.

والكمد الحزن المكتوم

كنتَ السوادَ لناظرى وعليك كنتُ أُحاذرُ

من شاء بعدكَ فلْيمتْ فَعليكَ يبكى الناظرُ (۱)

۱- أحفظ هذين البيتين هكذا:

ص: ۲۱۸

والحمـدُ للّٰهأوّلًا وآخراً؛ وباطناً وظاهراً، والحمد للّٰه ربّ العالمين، وصـلّى اللّٰه على سـيّد الأوّلين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، ورضى اللّٰه عن الصدّيقين والصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. آمين آمين.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قالَ الإمامُ علىّ ُبْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ١٥٩؛ عُيونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشّـيخ الصَّدوق، الباب٢٨، ج١/ ص٣٠٧).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ١٣٤٠ الهجريّة الشمسيّة (=١٣٨٠ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨۵ الهجريّة الشمسيّة (=١۴٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨۶٠١۵٢٠٢۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢۵-٢٣۵٧٠٢٣- (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣۵٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهرانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التِّجاريّة و المَبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠۴۵(٠٣١١)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.